ذرية إبراهيم

مقدمة عن اليهودية للمسلمين

"ولقد آتينا بني إسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على العالمين"

سورة الجاثية, آية 16

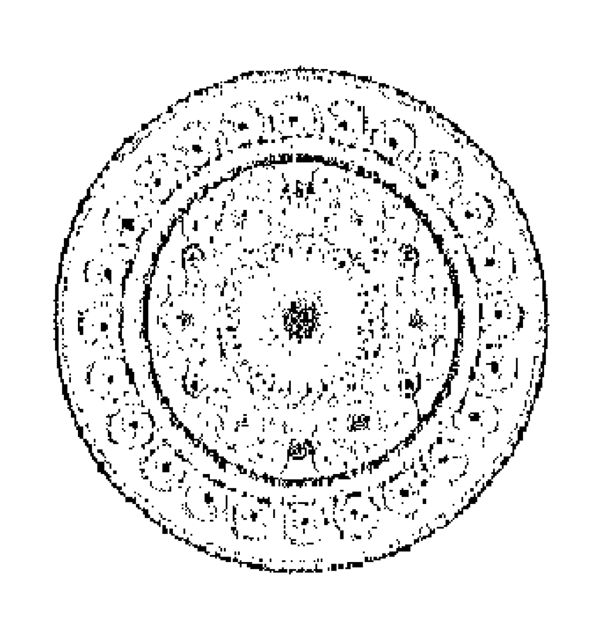
روبن فايرستون

معهد هارييت وروبرت للتفاهم الدولي بين الأديان

اللجنة اليهودية الأمريكية

ذرية إبراهيم

مقدمة عن اليهودية للمسلمين



تأليف
روبن فايرستون
وبمشاركة آخرين منهم:
د. ستيفن ستاينلايت

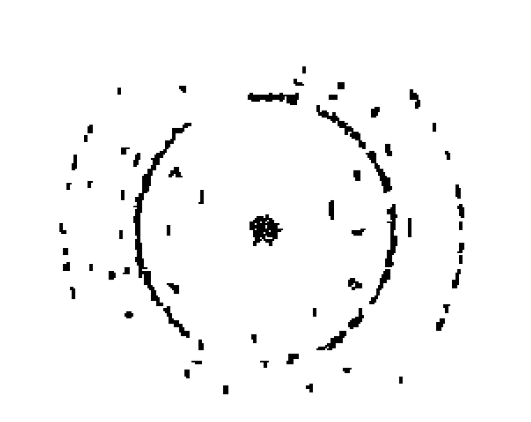
المحرر التنفيذي للنص الإنجليزي:
الحاخام جيمز أ. رودين
مستشار في شئون العلاقات بين الأديان

ترجمه للعربية: عبدالغني بن إبراهيم

تحرير الترجمة العربية و تنقيحها:
وصفي كيلاني – و د. إران ليرمان

من منشورات:
معهد هارييت وروبرت للتفاهم الدولي بين الأديان
اللجنة اليهودية الأمريكية

المحتويات



تمهيد

لماذا ننشر هذا الكتاب: مقدمة عن الديانة اليهودية للمسلمين لروبن فايرستون، ولماذا الآن؟ إن ظهور هذا العمل يلقي الضوء على فترة مهمة في العلاقة التي امتدت حوالي 1500 سنة بين الإسلام واليهودية. كانت هذه الفترة محفوفة بالمخاطر ومشحونة بالفرص. ونحن في اللجنة اليهودية الأمريكية ميالون تماما نحو هذا الواجب بسبب عاصفة التحضر التي تلوح في الأفق الآن، وبسبب الأهمية الهائلة لما نراهن عليها في حوار الأديان. وبعد أحداث الحادي عشر من أيلول 2001, ساد الحديث بأن "الحرب ضد الإرهاب" هي "حرب ضد الاسلام", لكننا لم نقبل بهذا التفسير ولا يمكن أن نقف ولن نقف مكتوفي الأيدي أمام هذا التحدي الكبير. فعلينا واجب تعزيز التفاهم المتبادل وتقليص الجهل والشكوك المتبادلة في عالم يتسم بالإنكماش والتقوقع وتختفي فيه الحدود بين المحلي والعالمي.

نتمنى بكل جدية أن نقدم هذا الكتاب خدمة جليلة لليهود والمسلمين، بتذكيرنا إياهم بأهمية إنعاش وتوحيد الحقائق التي تحتوي على بذور التطور المستقبلي.

وفي المقام الأول فهو يبين لنا التشابه الديني والأخلاقي المدهش بين الإسلام واليهودية، وبالفعل فلا توجد ديانتان أقرب من بعضهما مثل الإسلام واليهودية. فمن بين الديانات التوحيدية الثلاث تعتبر اليهودية والإسلام، أكثر قرابة. فكلتاهما تنحدر بالفعل من إبراهيم، أبينا الطبيعي والروحي المشترك. إن العلم بهذا الارتباط مجهول في معظمه بين اليهود والمسلمين وقد وقع ضحية العداوة في العصور الحديثة.

يذكرنا الكتاب أيضا بالعلاقات التاريخية الطويلة والغنية والمفيدة في كثير من الأحيان بين اليهود والمسلمين في كثير من البلدان كما يذكر بالعطايا الهائلة للإنسانية التي أثمرها تفاعل المسلمين واليهود في تقدم المعرفة والثقافة. وحقا فإن التاريخ بينهما معقد كما يبين الكتاب وأنه لم يصل إلى مستوى الجنة الأرضية التي تخيل بعضنا وجودها في العصر الذهبي لا سيما في العصر الأندلسي، وحتى في الفترات التي تعد أقل مجداً وتنويراً فيما بين الديانتين، فهي على الأغلب أقل خطرا بكثير مما جرى في التاريخ اليهودي المسيحي.

يشكل هذا العمل نقطة تحول في أكثر من وجه:
يقدم عمل البروفيسور فايرستون لقاءً مميزاً مع الديانة اليهودية وهو موجه بخاصة للمسلمين. والمؤلف باحث في الإسلام وحاخام له شأن في الديانة اليهودية ويأخذ في عين الاعتبار المنطلق وأحاسيسه من الفكر الإسلامي؛ وهكذا فإن عمله يؤسس علاقة حميمة منقطعة النظير بين الوعي اليهودي والإسلامي وبين وجهات النظر العالمية. وبالفعل فإنه يمثل أول عمل من نوعه يعطي معلومات شاملة عن الديانة اليهودية مع تركيز خاص على القضايا ذات الاهتمام الخاص لدى المسلمين. ويستكشف بحساسية وصراحة موضوعات صعبة مثل مفترق الطرق بين إبراهيم وولديه إسحاق وإسماعيل، ودور القبائل اليهودية في المدينة المنورة في معارضتها النبي محمد، كما ويسلط الضوء على الحركة الصهيونية، وظهور دولة إسرائيل.

إن مشروع اللجنة اليهودية الأمريكية الأساسي في العلاقات الإسلامية اليهودية – في الكتاب الحالي وما سيتبعه من أعمال، بما في ذلك كتاب عن الديانتين موجه لطلاب الثانوية، وكذلك ترجمة كل الكتب إلى اللغة العربية – ما كان ليتمّ لولا العمل الرائد الذي بذله معهد هارييت وروبرت هايلبرن لتفاهم الأديان العالمي للجنة اليهودية الأمريكية الذي تأسس دعماً منهما للتفاهم بين الأديان وخصوصاً في تحسين العلاقات الإسلامية اليهودية. فقد كان التزامهما حجر الزاوية الضروري لجدول الأعمال داخل اللجنة اليهودية الأمريكية.

وقد ساهم عدد من زملائي في اللجنة اليهودية الأمريكية في هذا العمل الطموح. أود أن أعترف بخاصة بمجهودات د.ستيفن ستاينلايت والحاخام جيمز أ. رودين، وكذلك شولا بهات، ورالف جرونولد، وروبرت روزنباوم، وليندا كريج، وميل ليفر، ويهوديت بارسكي، ولاري غروسمان، وأليدا رودريغز, وبراندا رودزين؛ وبالإضافة إلى هؤلاء فإن بورني شرفستاين من مطبعة الكتاب كانت كالعادة شريكة رائعة. ولا أنسى في هذا المقام الجهد الكبير الذي ساهم به وصفي كيلاني, محرر هذه الطبعة العربية.

قال المرحوم أسقف نيويورك المحبوب أوكونور مرة: "لم تقم أي منظمة أعرفها في هذه المدينة على أهميتها وفي هذا العالم بأكثر مما قامت به اللجنة اليهودية الأمريكية في تحسين العلاقات اليهودية المسيحية".

دعونا نأمل، من هذه المبادرات ذات المدى البعيد والتي أصبحت ممكنة بفضل هارييت وروبرت هايلبرن بأن هذا الكلام نفسه سيقال يوما ما من قبل زعماء الدين عن رغبتنا في بناء عهد يتسم بتعزيز التفاهم وتقوية الارتباط بين المسلمين واليهود حول العالم.

دافيد أ. هاريس
المدير التنفيذي
اللجنة اليهودية الأمريكية
شباط/فبراير سنة 2005

مقدمة المؤلف

تسببت التكنولوجيا المتقدمة في تقارب العالم ماديا أكثر من ذي قبل. فإن التقدم الدراماتيكي وتخفيض أسعار النقل والاتصالات العالمية قد مكنت الأشخاص المتشتتين على نطاق واسع من اللقاء والتحدث مع بعضهم البعض عبر الأقمار الصناعية أو البريد الألكتروني ومكنتهم أيضا من التفاعل عبر عدد من الوسائل لم يكن يُحلم بها أبدا حتى قبل جيل. لكن زيادة تقاربنا المادي لم يقابله تقارب مماثل في المسافة البشرية على الصعيد الروحي. لقد مكنتنا التكنولوجيا من شراء بضائع أكثر واكتساب ثروة لم يسبق لها مثيل، وساهمت أيضا في سرعة انتشار أمراض كثيرة ومواد ملوثة عبر الجبال والصحارى والمحيطات التي تفصل بيننا. لكنها (أي التكنولوجيا) لم تمكنا من تعايش سلمي أكبر، أو ثقة واحترام متبادلين أكثر.

عندما كانت الشعوب المختلفة تعيش منفصلة وفي شبه عزلة عن بعضها عدة قرون، كانت الشعوب الأجنبية تعد بالطبع غريبة علاوة على كونها مصدر تهديد. فالجماعات الأجنبية تميل للدخول إلى أراضي غيرها بقصد الاستيلاء عليها أو على ثروتها ونهبها أو غزوها. وقد كانت الجماعات الإثنية، والجماعات العرقية والدينية تستخف بغيرها التي تهددها وذلك من أجل حماية طريقة حياة جماعتها المألوفة وتشديد المقاومة ضد الأجانب المخيفين. ولقد كانت الشكوك بالغير، طبعاً، جزءا من سمة البشرية؛ ولقد تطبع معظم الناس حتى يومنا هذا علي الارتياب من الغريب. لكن اليوم، أصبحت العلاقة التقليدية بين "الداخلين" و"الخارجين" تتغير بشكل سريع، ومع تقدم العولمة وصعود نسبة المهاجرين الجدد بشكل سريع وحركات الأشخاص عبر الأوطان تقريبا في كل المجتمعات المفتوحة، فإن الشعوب الإنسانية بدأت تختلط بشكل لم يكن تصوره ممكناً، أبدا، قبل عقود من الزمن فقط. إن الأفكار المتحجرة حول الوطنية بدأت تعطي مكانا لترتيبات اجتماعية وسياسية معقدة، كما بدأت الولاءات الوطنية التاريخية في كثير من الأماكن تعطي مكانا لأفكار مؤقتة وأكثر غموضا حول الانتماء والولاء للجماعة. وكثيرا ما تكون الأوطان القومية موطنا لأقليات إثنية وعرقية أو دينية مهمة. وكنتيجة لهذا الوضع فإن كثيرا من الناس بدأوا يدركون أن

الآخر كثيرا ما لا يكون غير الذات. لكن رغم صلتنا الإجبارية بمختلف الشعوب فإنه لا يزال لدينا سوى القليل من نماذج التعايش في عالم متعدد. إن السرعة المذهلة والعجيبة للتغيير الاجتماعي العالمي تتخطى بكثير قدرتنا على مواجهة عواقبها بطرق واضحة وذات معنى؛ وقد أدت إلى رفع التوتر النفسي حول هويتنا الذاتية وإلى خوف أكبر من الآخر. لم يكن الآخر في مأمن بعيد، بل إننا نشعر أنه يصطدم مع أهم حقائقنا الظاهرية بكل جلاء في حياتنا الاقتصادية والثقافية والاجتماعية والسياسية.

حتى حكمتنا الدينية والمبنية على الإرشاد الآلهي للتنزيل والتقليد، قد مالت لأن تنظر إلى الأديان الأخرى بتحفظ. وهذا هو على الأقل منطق حركة التوحيد. فإذا كان الله واحدا، خيِّرا رحيما وعالما بكل شيء، فلماذا أعطى تنزيلا مختلفا ومتناقضا في كثير من الأحيان إلى مختلف الأمم؟ إن الجواب التقليدي لهذا السؤال افترض أنه لو كان أكثر من تنزيل واحد صحيحا، فإن الله، إذاً، ليس واحدا، ولا خيِّرا ولا رحيما ولا عالما بكل شيء، لكن هذا الجواب التقليدي ليس بالضرورة منطقيا، وكما ورد في القرآن، فإن الله في حكمته الواسعة قد بعث برسالة إلى مختلف الأمم (يونس 10: 47، النحل 16: 36) بلغة كل أمة وبحسب مستواها الثقافي ليستطيعوا فهم الرسالة. وتنشأ الإشكالية عندما تظهر النصوص المختلفة والإرادة الإلهية المنزلة في الظروف الثقافية المختلفة متناقضة. والجواب التقليدي لهذه الإشكالية كان دوما إتهام كتابات الآخر المقدسة بعدم الدقة والصدق أو أنها مشوهة. وتشجع هذه الاتهامات على الجواب نفسه من أتباع الديانة الأخرى، وبذلك تغوص الأديان وأتباعها في صراعات مريرة تقود في بعض الأحيان إلى حروب.

إن الأديان القائمة هي التي تتهم الأديان الناشئة بالكذب. ولهذا السبب فاليهودية لم تقبل بكتاب المسيحية ولم تقبل المسيحية ولا اليهودية بكتاب الإسلام. وعلى عكس هذا، فإن كانت الأديان الناشئة تعترف بكتب ما قبلها فإنها كذلك تحاول التقليل من شأن مصداقيتها وشرعيتها حامية بذلك تنزيلها الجديد من التناقضات مع ما قبلها. وهكذا فإن المسيحية اعتبرت القوانين الإلهية المصرح بها في التوراة متجاوزة بقدوم المسيح، واعتبر الإسلام وحي التوراة والانجيل محرفا، وبالتالي غير صادق كنص مقدس، وقد نجحت هذه المواقف في المحافظة على وحدة الأنظمة الدينية من قبل الداخلين، لكن، في الوقت نفسه، قد شجعت الصراع بين الأديان الذي قاد بعضه – ويستمر إلى الآن، إلى إراقة الدماء والمعاناة الفظيعة. ومع الاختلاط المتزايد اليوم، في العالم وازدياد الأمم التي تقتني أسلحة الدمار الشامل والتي تخوض في منازعات تاريخية مبنية على الاختلاف الديني في مجملها، فإن هذا النوع من معاملة الأديان الأخرى لم يعد مشروعا ومقبولا. إن تفكيرا جديدا حول العلاقة بين شعوب الديانات الثلاث مطلوب، وهذا النوع من التفكير قد يكون ممكنا فقط عندما نتعرف أكثر إلى التعاليم والتقاليد الدينية لدى الآخر.

ليس هدف هذا الكتاب تشجيع الهداية إلى الاعتناق الديني. لم يبذل أي جهد لمحاولة إقناع القارئ بأن الديانة اليهودية تملك حقيقة أو قيمة أكثر من الديانة الإسلامية. وفي الوقت نفسه،

فإن الهدف لم يكن هنا تقديم مبررات للجوانب التي تعد مشكلة صعبة في الديانة اليهودية. ومن جانب آخر، فإن المؤلف لا يرغب أن يساهم في استمرار الأفكار المسبقة الخاطئة وفي تشويهات الديانة اليهودية التي يمكن أن تكون عقبة للحوار وتفاهم أفضل.

كثيرا ما يشار هنا إلي التشابه والتطابق بين الديانة اليهودية والديانة الإسلامية لصالح القارئ المسلم. إن هدف القيام بذلك هو مساعدة القارئ على فهم أفضل للديانة اليهودية من خلال رؤيتها عبر العدسات الإسلامية. إن الإشارة إلى التشابه والتطابق تساعد في بعض الأحيان على إلقاء الضوء على الفروقات غير الظاهرة أيضا. ليست هنا لديَّ أي محاولة للاقتراح أن الديانة اليهودية والديانة الإسلامية هما الشيء نفسه، أو أنهما تعلمان ذات الدروس. الحقيقة هي أن اليهودية والإسلام حضارتان دينيتان منفصلتان نشأت كل منهما في أماكن مختلفة لدى شعوب مختلفة، في فترات تأريخية مختلفة نتيجة مجموعة مختلفة من القوى والظروف الاجتماعية والتأريخية. إن الإشارة إلى أوجه التشابه والتطابق بين الديانتين قد لا تساعد القارئ المسلم فقط على فهم أفضل لليهودية، بل قد تساعده أيضا على تقدير قيمتها لدى اليهود.

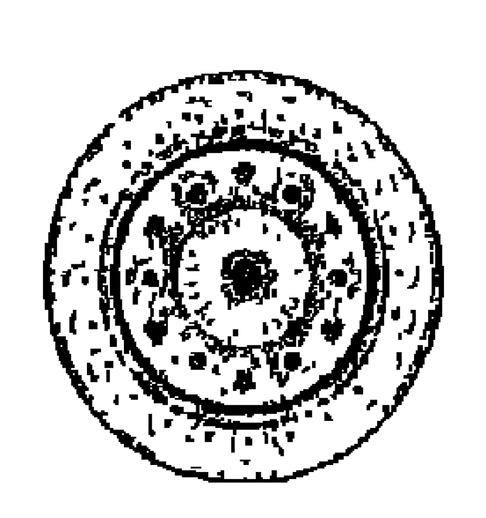
لا بد من ملاحظة أن الديانة اليهودية قد تطورت عل مر قرون عديدة وأن اليهود يعترفون أن أنواع اليهودية الممارسة اليوم تختلف جوهريا عن اليهودية التي كانت تمارس في فترات التوراة القديمة. وتوجد أيضا أشكال متنوعة للديانة اليهودية اليوم. وكما هو الحال في كل فترات التأريخ اليهودي هناك مدارس مختلفة لتفسير التوراة، ومدارس مختلفة للقانون، واتجاهات مختلفة نحو الممارسة والتدين. إن القارئ المسلم سيلاحظ على وجه السرعة أن لدى هذه الظاهرة نظيرتها في الإسلام كذلك. إن المقصود بالديانة اليهودية في هذا الكتاب هو ما يمكن تسميته بالاتجاه السائد (Mainstream)، بخلاف الممارسة الرادكالية للأرثوذكس المتطرفين (متحمسين دينيا)، أو الممارسة الرادكالية، أيضا، للإصلاح المتطرف (Ultra Reform)، بالرغم من أن كليهما قد لا يختلف، في كثير من الحالات، مع الاتجاه المتبنى هنا. حاولت أن اتبع طريقا وسطا في الأوصاف التي اقدمها عن الديانة اليهودية والتي يمكن أن يتفق معها معظم المتدينين اليهود.

سيلاحظ القارئ أن الإشارات إلى الله وإلى محمد، والأنبياء تستعمل العادة الانجليزية المتعارف عليها. وإن كنت أحترم كل أنبياء الديانة اليهودية، والمسيحية، والإسلام فإنني استعمل طريقة الإشارة اليهودية المعتادة. لذلك فإنني تجنبت كتابة التعبير الإسلامي المعتاد "صلى الله عليه وسلم" بعد ذكر الأنبياء الآخرين. فإن هذه الطريقة ليست إلا مجرد مقتضيات أسلوب النثر في اللغة الإنجليزية ولا تعبر عن عدم الاحترام.

أرجو السماح لي باختتام هذه المقدمة بهذه الملاحظة: إن الهدف السامي لهذا الكتاب هو تحسين العلاقات بين المسلمين واليهود من خلال بناء تفاهم واحترام متبادل كبير. إن هذا الهدف يعد مُلحا بشكل خاص في الوقت الذي أصبحت فيه العداوة والعنف مرتبطين بالصراع الإسرائيلي الفلسطيني الذي يعد دمويا ومأساويا في الوقت الحاضر إلى درجة

أنه يهدد بزيادة تنافر اليهود والمسلمين عبر العالم. إن صميم الصراع الذي يعوق عملية السلام الحالية يدور حول القضية الحساسة والصعبة المتعلقة بالسيادة على الأماكن المقدسة خصوصا في القدس. وهكذا فإنه لا يمكن تجاهل البعد الديني للصراع؛ وبالفعل، لا بد أن ينظر اليه كالأساس وأن تأثيره على العلاقات اليهودية الإسلامية في مجملها غير مبالغ فيه مهما أخذ في عين الاعتبار.

يمثل هذا الكتاب والمشروع الكبير الذي يعد هذا جزءا منه مجهودا للمساعدة في بناء تفاهم بين الديانتين من خلال قول الحقيقة عن تأريخنا وأنظمتنا الدينية ودوافعنا، وهذه وظيفة خطيرة وملحة تحت الظروف الحالية الحالكة. وهذه فرصة لا بد من اغتنامها. لهذا كنت سعيدا لتلبية دعوة الحاخام جيمس رودين والدكتور ستيفن ستاينلايت من اللجنة اليهودية الأمريكية (AJC) للمساهمة في هذه السلسلة عن العلاقات اليهودية الإسلامية. لقد لعبت اللجنة دورا رائدا في شق الأرضية الجديدة، نسبيا، في العلاقات اليهودية الإسلامية الحديثة. وعلينا أن لا نتوقف الآن، ونحن الملتزمون بتحسين التفاهم الإسلامي اليهودي بأعمالنا.



الجزء الأول
مسح التأريخ اليهودي

خرج التأريخ اليهودي من سُحب الشرق الأوسط القديم الذي أنتج بعض الأدب الإنساني المبكر. وقد كان معظم هذا الأدب الجماعي القديم على شكل أساطير ويوجد في مادة التوراة القديمة أدب ولغويات مماثلة لبعض أدب الشرق الأوسط الأسطوري للعصور البعيدة في القدم. إن علماء التأريخ لا يعتمدون على النصوص الدينية مصدرا للتأريخ دون سند من مصادر أخرى مثل نتاج الإنسان الاصطناعي القديم، وتأريخ اليوميات الملوكية أو أرشيفات الممالك المجاورة، أو الدراسات الأركيولوجية (علم الآثار). وعلى ضوء هذا، فإنه لا يوجد سند قاطع لمجمل التأريخ الموجود في الأسفار المبكرة للتوراة، وبالتالي فإن المؤرخين لا يقبلون أنه يمثل بالضرورة واقعا ملموسا بالرغم من احتمال وقوعه تأريخيا. ويرون بالأحرى أن التأريخ القديم للديانة اليهودية وللشعب اليهودي قد خرج من عالم قديم تختلط فيه الأسطورة مع التأريخ[2]. وقد سُمي هذا الاختلاط في بعض الأحيان "بالتأريخ المقدس" ومما هو واضح أن تأريخ الديانة اليهودية الأكاديمي قد خرج من التأريخ اليهودي المقدس.

وبالنسبة لنا، فإن التمييز بين التأريخ المقدس والتأريخ الأكاديمي ليس له أهمية كبرى. فسواء قام إبراهيم أو موسى أو الملك داوود* فعلا بما قاموا به (بكل التفاصيل) أو تحدثوا عن كل الأشياء المذكورة في التوراة أم لم يقوموا بها فإن ذلك يعتبر أقل أهمية من ملاحظة الكيفية التي وصفوا بها في التقليد اليهودي، وأقل أهمية أيضا من فحص محتوى أقوالهم وأفعالهم. فعلى سبيل المثال، لو اختلف وصف شخصية يهودية مذكورة أيضا في القرآن عن وصفها في التقليد الإسلامي، فإنه لا يعنينا إصدار حكم عن أيهما على الصواب وأيهما على الخطأ، كما لا يمكن إثبات صحة أي حكم يمكن اتخاذه تجاه تلك الشخصية. فسيؤمن اليهود المؤمنون بكتابهم المقدس فوق كل الكتب، وسيفعل المسلمون الشيء نفسه. ومن جهة أخرى ستساعدنا الاختلافات وأوجه الشبه بين الأوصاف التوراتية والقرآنية على فهم الاختلافات وأوجه الشبه بين الديانتين، ومن المؤكد أن هذه المعرفة هي التي ستساعد على التفاهم، والحكمة والأخوّة بيننا.

---

* هذه الاسماء بحسب المأثورات الإسلامية رفقة وراحيل وليقة

أسماء بني إسرائيل

لقد أطلق الشعب اليهودي على نفسه عددا من الأسماء مثل العبرانيين، والإسرائيليين، وبني إسرائيل واليهود... إلخ. وقد تسبب هذا التعدد في نوع من الارتباك في تطابق هذه الأسماء، إلى درجة ما، في فترات التأريخ اليهودي؛ ولقد ميز القرآن بدوره بين بني إسرائيل واليهود (أو الذين هادوا) بحيث تشير تسمية بني إسرائيل إلى الإسرائيليين المذكورين في التوراة وتسمية اليهود (الذين هادوا، أي أصبحوا يهودا) إلى اليهود الذين عاشوا زمن محمد.

تشير لفظة "عَبري" إلى "عبر" (عبر من الرافدين) وتنسب الأجداد الأعلون إبراهيم، وإسحاق، ويعقوب وإلى الجدات العلياوات سارة ورفكة وراحيل وليئا* وأولادهم. لقد وصف يعقوب، آخر الأجداد القدامى، في سفر التكوين 32: 25-33 وهو يقوم بمصارعة أحد الملائكة الذي بارك له بالكلمات التالية "لا يدعى اسمك فيما بعد يعقوب، بل إسرائيل لإنك جاهدت مع الله والناس وقدرت". قد تعني كلمة إسرائيل "الذي يجاهد مع الله". يمثل أولاد يعقوب الإثنا عشر، قبائل إسرائيل الإثني عشر والتي ورد ذكرها في التوراة كبني إسرائيل، أو إسرائيل، باختصار.

وبعد قرون من الزمن، انقسمت إسرائيل إلى مملكتين بعد وفاة الملك سليمان**. اشتملت المملكة الشمالية، أكبر المملكتين، على معظم القبائل واتخذت اسم إسرائيل. وسيطرت على المملكة الجنوبية القبيلة الكبيرة يهودا وأصبحت هذه المملكة تعرف باسم تلك القبيلة. وفي سنة 721 قبل الميلاد[3]، قضت الامبراطورية الأشورية على المملكة الشمالية وسكانها ولم ينج من بطشها إلا المملكة الجنوبية وسكانها اليهود. ومنذ ذلك الوقت أصبح الناس يعرفون باليهود؛ ومنها جاءت الكلمة الإنجليزيه المعروفة "Jews". ولكن، بالرغم من ضياع معظم القبائل، فإن التقليد اليهودي يميل حتى يومنا هذا، إلى تسمية الشعب اليهودي بإسرائيل.

وبالتالي، فإن لفظة "إسرائيل" في التقليد اليهودي، لا تشير إلى الأرض فقط، أو إلي الدولة القومية الحديثة بل إن لفظة إسرائيل تشير إلى شعب أو أمة. إن الاسم الرسمي للدولة اليهودية الحديثة هو: دولة إسرائيل (عبري: مدينات يسرائيل) بمعنى "دولة شعب إسرائيل" مع أن التسمية تختصر عادة من أجل التسهيل إلى إسرائيل. إن الأراضي التوراتية التي يقع كثير منها خارج حدود دولة إسرائيل الحديثة، تسمى، بحسب التقليد اليهودي، بأرض إسرائيل. سنستخدم في هذا الكتاب مسميات "اليهود" و"الشعب اليهودي" و"إسرائيل"، للإشارة إلى يهود أي فترة زمنية، بينما سنستخدم كلمة "الإسرائيليين" أو "بني إسرائيل" فقط للإشارة إلى الفترة التوراتية.

* هذه الاسماء بحسب المأثورات الإسلامية رفقة وراحيل وليقة

** يعد سليمان في الإسلام نبياً

الفصل الأول

الجذور

التكوين

تبدأ التوراة بالتكوين الآلهي للكون وكل العوالم التي جعلها فيه. إن القصة التوراتية للتكوين هي قصة وحدانية الله كخالق لكل شيء ولكل الطاقة وكل الحياة. لا قوة خالقة غيره ولا شريك له. وكما أن وحدانية الله تتجلى في التوراة من خلال رحمته المطلقة في خلق العالم ولكل ما يحويه فإن وحدة العالم وكل مخلوقاته، أيضا، ناتجة عن قوته الإبداعية.

تحققت وحدة العالم من خلال قوانين الفيزياء والطبيعة التي كان مصدرها الإرادة الإلهية. وكل الكائنات المخلوقة – سواءً أكانت حيوانا أم معدنا أم نباتا، أم غازا أم سائلا أم جمادا – فإنها موجودة داخل الوحدانية الإلهية لأنها تعمل بحسب هذه القوانين الطبيعية. إن الإستثناء الوحيد لهذا النظام الموحد هو البشرية جنس المخلوقات الذي أثبت دائما قدرة محدودة على توظيف قوانين الطبيعة.

ومن وجهة النظر التوراتية، فإن هذه الطبيعة الخاصة بالطبيعة البشرية يمكن أن تكون نعمة ونقمة. ومنذ البداية، فإن التوراة تصف البشرية على أنها غير قادرة على بلوغ حد إمكاناتها دون المساعدة الإلهية. وأثبتت قصة آدم وحواء في الجنة هذا المبدأ منذ البداية (سفر التكوين 3). واستمرت قصة خطيئة الإنسان وخطئه في الحكايات الثلاث التالية: قصة قابيل وهابيل (سفر التكوين 4)، قصة نوح (سفر التكوين 6-9)، وقصة برج بابل (سفر التكوين 11).

وبالرغم من أن كل واحدة من هذه القصص تركز على شخصيات معينة، إلا أنها تعبر عن وصف عام لحالة الطبيعة الإنسانية التي لا تقبل الحدود. إن القوة الإبداعية نفسها الكامنة في البشرية وطبيعتنا المستقلة قد تقود إلى سقوطنا وإلى عدم استطاعتنا المستمرة في العيش بحسب التوقعات الإلهية.

وبعد تثبيت هذا كحقيقة، تبين التوراة كيف يمكن لليهود بخاصة، وللإنسانية بعامة، أن يعيشوا بحسب إمكاناتهم. ولا يمكن تحقيق هذا إلا من خلال التدخل الإلهي.

فمن سفر التكوين رقم 12 وصاعدا، وخلال بقية التوراة، فإن الله يعطي التعليم والإرشاد للإنسانية من خلال الشعب اليهودي. ولقد تم هذا، أولا، عن طريق التدخل الشخصي مع أسرة إبراهيم، وثانيا بإنزال التوراة (حرفيا، التعليم) أو قوانين السلوك التي يتوقع من البشر اتباعها.

إبراهيم: الهجرة والميثاق

طلب الرب من إبراهيم مغادرة أرضه الأصلية، ووعده ببركة كبيرة، (سفر التكوين 12:1-3):

> "وقال الرب لأبرام: اترك أرضك وعشيرتك وبيت أبيك، واذهب إلى الأرض التي أريك فأجعل منك أمة كبيرة، وأباركك وأعظم اسمك وتكون بركة لكثيرين، وأبارك مباركيك وألعن لاعنيك، وتتبارك فيك جميع أمم الأرض".

يمثل هذا النداء الرباني بداية التوحيد وبداية تأريخ الشعب اليهودي الذي ينحدر من سلالة إبراهيم. لا يعرف في الديانة اليهودية سفر إبراهيم الذي استجاب فيه للنداء الإلهي بالهجرة كما جاء في الإسلام، لكن الديانة اليهودية ترى فيه وجه الشبه مع الهجرة كحد فاصل وكنقطة تحول إلي حالة روحانية جديدة – تتمثل في حالة إبراهيم في العلاقة الشخصية مع الله. إن سبب نداء الله إبراهيم لم يفسر أبدا في التوراة، وبالرغم من هذا، فإن الأدب اليهودي اللاحق من القرنين الرابع والخامس ميلادي (Common Era: CE) يعطي أجوبة على شكل نصوص قريبة من السرد القرآني.

قال الكاهن حيا، حفيد الكاهن أدي من يافو: كان تيرا يصنع الأوثان. لقد خرج يوما وأمر إبراهيم ببيعها له. وعندما جاء رجل لشراء وثن سأله إبراهيم: "كم عمرك؟ فأجابه: خمسون (أو ستون) سنة. تعجب إبراهيم: وأسفاه على رجل بلغ ستين عاما ويريد أن يعبد شيئا له من العمر يوم واحد فقط". شعر الرجل بخجل وانصرف. وبعد ذلك أتت امرأة بطبق من الدقيق وقالت لإبراهيم: "خذ هذا واهده إليهم" فقام وأخذ هراوة وكسر كل الأوثان وبعد ذلك وضع الهراوة في يد أكبر الأوثان. فلما عاد أبوه صرخ قائلا: "من الذي قام بهذا العمل ضدهم؟ أجاب: لن أخفي ذلك عنك، جاءت إمرأة بطبق من الدقيق الممتاز وقالت لي "خذ هذا واهده إليهم، أهديته إليهم وبدأوا يتخاصمون حول من سيبدأ منهم، وبعد ذلك قام كبيرهم وأخذ الهراوة في يده فحطمهم جميعا". وقال أبوه: "لماذا تتهكم علي، هل لديهم أي علم؟" أجاب إبراهيم: "يجب على أذنيك أن تسمع ما يخرج من فيك".

وقد وصف إبراهيم، هكذا، بأنه أثبت علمه بوحدانية الله قبل نداء الله له، وعلى هذا فإنه يعطي جوابا على السؤال السابق. فقد نادى الله إبراهيم أنه هو مثال الوحدانية الوحيد الذي أثبت أن وحدانية الألوهية يمكن التوصل إليها عن طريق العقل.

وقد يكون هذا مصدر اختيار الله لإبراهيم، لكن على إبراهيم إثبات أحقيته في هذا الاختيار وذلك بإظهار طاعته لإرادة الله، وقد قام بذلك. وكما ورد في القرآن 2: 124 (وَإِذِ ابْتَلَى إبراهيم رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ)، وقد ذكر الله بعد موت إبراهيم أن "إبراهيم أطاع قولي، وحفظ أوامري ووصاياي وفرائضي وشرائعي" (سفر التكوين 26: 5). وفي الاصطلاح الإسلامي، فإن إبراهيم يعتبر المسلم المثالي لأنه أسلم كلية للإرادة الإلهية[5]. وفي المصطلح اليهودي فإن إبراهيم متقي الله ومطيع أوامره.

إن لمنح الله إبراهيم عهدا أبديا أهمية بالغة في الديانة اليهودية (سفر التكوين 17: 1-8):

"وعندما كان أبرام في التاسعة والتسعين من عمره، ظهر له الرب قائلا: أنا هو الله القدير، سر أمامي وكن كاملا، فأجعل عهدي بيني وبينك، وأكثر نسلك جداً. فسقط أبرام على وجهه، فخاطبه الله قائلا: "ما أنا بقاطع لك عهدي، فتكون أبا لأمم كثيرة. ولن يدعى اسمك بعد الآن أبرام (ومعناه الأب الرفيع) بل يكون اسمك إبراهيم (ومعناه أب لجمهور) لأني أجعلك أبا لجمهور من الأمم. وأصيرك مثمرا جدا، وأجعل أمما تتفرع منك، ويخرج من نسلك ملوك. وأقيم عهدي الأبدي بيني وبينك وبين نسلك من بعدك جيلا بعد جيل، فأكون إلها لك ولنسلك من بعدك، وأهبك أنت وذريتك من بعدك جميع أرض كنعان التي نزلت فيها غريبا، ملكا أبديا، وأكون لهم إلها."

إن هذا العهد أساسا هو عقد. يتعهد الله لإبراهيم وذريته بالطيبات ويتحتم عليهم طاعة أوامره (السير في طريقه):

وقال الرب لإبراهيم: "أما أنت، فاحفظ عهدي، أنت وذريتك من بعدك مدى أجيالهم... أن يختتن كل ذكر منكم، تختتنون رأس قلفة غرلتكم فتكون علامة العهد بيني وبينكم، تختتنون على مدى أجيالكم كل ذكر فيكم ابن ثمانية أيام."

وكما ورد في القرآن، فإن التوراة يرد فيها التكرار عندما تتحدث عن أفكار وأوامر بمعانٍ دقيقة ومصطلحات مختلفة، تشتمل بنود الميثاق الإبراهيمي على ذرية كثيرة وعهد بوطنٍ في أرض كنعان التي سميت فيما بعد بأرض إسرائيل[6]. وعلى إبراهيم وذريته الامتثال لإرادة الله. ولم تعط قوانين معينة هنا فوق الختان كدليل على الميثاق، لأن الله مازال مستمرا في علاقته مع إبراهيم وذريته وبإمكانه أن يبلغهم المطلوب منهم. لكن الله فيما بعد قد أعد إسرائيل للزمن الذي يكون فيه الله صعب المنال، ولقد حدث هذا الاستعداد على جبل سيناء الذي أنزل عليه الله التوراة بمعنى التعليم. ومنذ سيناء وصاعدا، فإن العهد أصبح محكوما بطاعة مدونة من القوانين الرسمية.

إسحاق وإسماعيل

وفي الوقت نفسه، بقيت سارة زوجة إبراهيم دون أولاد رغم الوعد بكثرة الذرية. وقامت، إذاً، بتقديم جاريتها هاجر إلى إبراهيم زوجة ثانية. ولد إسماعيل من هذا الزواج وأخضع للختان امتثالا لأوامر الميثاق. لقد بارك الله إسماعيل إلا أنه عهد لإبراهيم وسارة أن ابنهما المقبل سيكون ابن إبراهيم الوحيد الذي سيقيم عهده معه إلى الأبد،(سفر التكوين 17: 20).

"أما إسماعيل فقد استجبت لطلبك من أجله. سأباركه حقا، وأجعله مثمرا وأكثر ذريته جدا فيكون أبا لاثني عشر رئيسا ويصبح أمة كبيرة. غير أن عهدي أبرمه مع إسحاق الذي تنجبه لك سارة في مثل هذا الوقت من السنة القادمة".

لم يتم في التوراة، أبدا، تفسير السبب الذي استبعد إسماعيل من الميثاق. يميل علماء التوراة للاعتقاد أن هدف القصة، كما ورد من أمثاله في سفر التكوين، هو تفسير العلاقات الإثنية واللغوية القريبة بين الإسرائيليين والشعوب التي تعيش في أوساطهم. ورد إسماعيل في التوراة كالجد الأعلى للشعوب العربية. بعض أولاده في سفر التكوين (رقم 25)، مثل حدار في 15:25 لهم أسماء عربية. وبعضهم له أسماء توحي بأسماء الأماكن في الأراضي العربية مثل دومة (دومة الجندل في الصحراء السورية) أو تيماء (مثل تيماء في الجزيرة العربية). إن قيدار، ابن إسماعيل هو أيضا اسم أحد القبائل العربية التي عاشت في وادي آل سرحان، في الأردن الحالي[7] وبالنسبة لهذه النظرة فإن علاقة النسب بين إسماعيل وإسحاق يمكن أن تفسر أوجه التشابه الملحوظة في الشعوب العربية القديمة التي كانت تربطهم علاقات اجتماعية واقتصادية. وعلى المنوال نفسه، فإن سفر التكوين يصف العلاقة بين الإسرائيليين وجيرانهم الأدوميين من خلال ولدي إسحاق: يعقوب الذي يمثل إسرائيل، وأخوه التوأم عيسو* الذي يمثل قبائل أدوم[8].

وفي سفر التكوين رقم 21، طردت هاجر وطرد إسماعيل من قبيلة إبراهيم، ولم يرد ذكر أي شيء آخر في التوراة عن إسماعيل وذريته. وبحسب التقليد اليهودي، فإن إبراهيم استمر في الاتصال مع ابنه إسماعيل لكن الديانة اليهودية لا علم لها بأي خبر عن بناء إبراهيم وإسماعيل الكعبة أو تطهيرها، أو أن إبراهيم أمر باستقرار إسماعيل وذريته هناك[9].

بلوى إسحاق وعقدته

إن ذروة حياة إبراهيم كانت استجابته لأمر الله في سفر التكوين رقم 22 للتضحية بولده إسحاق في أرض الموريا. وعلى عكس السرد القرآني، فإن سرد هذه القصة في التوراة يحدد بالضبط أن إسحاق هو المعني بالتضحية وتعرف القصة بكاملها في التعبير اليهودي الشائع بالعقدة، أو عقدة إسحاق 10. ويحصل إبراهيم مرة أخرى وآخر مرة على العهد والبركة الإلهية بعد أن اجتاز بنجاح الامتحان النهائي في الطاعة والإيمان بالله. ستكون ذريته كثيرة مثل نجوم السماء وكرمل شاطئ البحر، وسيحتلون أبواب مدن أعدائهم، وستتبارك جميع أمم الأرض بذريته.

يمثل إبراهيم نموذجا في التقليد اليهودي لبعض الخصائص الإنسانية الثمينة. إنه صبور في المشقة ويحب السلام (سفر التكوين 13: 8-9)، إنه كريم تجاه الغرباء، ويهتم برفاهية الآخرين (18: 23-33) وملتزم بتعليم مثاليات العدل والصواب لذريته (18: 19) وهو دائما مطيع لله ولأوامره.

* يعد سليمان في الإسلام نبياً

يعقوب والهبوط إلى مصر

إن يعقوب، ابن إسحاق، المعروف كذلك في التوراة، بإسرائيل[11]، هو أب اثني عشر ولدا الذين يمثلون قبائل إسرائيل. إن قصة يوسف، ابن يعقوب، وخذلان إخوته له وبيعه للعبودية في مصر وتبوئه قمة السلطة والثروة مذكورة معا في القرآن (سورة يوسف) وفي سفر التكوين (37: 39-50). وكما هو الحال في الإسلام، فإن قصة يوسف محبوبة جدا في الديانة اليهودية وقد كتبت عنها تعليقات، وكتب عديدة لكن الأهم من هذا بالنسبة لأهدافنا هو معنى خلاص بني إسرائيل من العبودية المصرية.

الخروج

عرف إبراهيم في التوراة بالعبري (سفر التكوين 13-14) وعرفت، أيضا، ذريته بذلك حتى الخروج من مصر. ومنذ الخروج إلى تقسيم الأمة الموحدة إلى مملكتين بعد وفاة سليمان، فإن الناس كانت تسمى إسرائيل، أو، "بني إسرائيل". إن تغيير المصطلح يتطابق مع التغيير في طبيعة الناس. لقد اندمج المنحدرون من قبيلة إبراهيم مع المصريين المنبوذين عندما فروا جميعا من أغلال فرعون سفر الخروج (12) وكونوا مجتمعا موحدا على أساس خبرة المعاناة المشتركة.

يعتبر خلاص إسرائيل من العبودية المصرية أحد الأفعال الإلهية العظمى المعبرة عن الرحمة لأنه استجاب لصراخ المضطهدين عندما استنجدوا به من الكرب العظيم الذي نزل بهم (سفر الخروج 3: 9-10)[12]. تعاد ذكرى قصة هذا الخلاص كل سنة خلال الاحتفال بعيد الفصح اليهودي (Passover) الذي يخلد هذا الفعل العظيم للرحمة الإلهية. ويرمز الخروج من مصر إلى إمكان الخلاص البشري الكامل لأنه يمكن إثبات أن الله الذي أنقذ إسرائيل والذين عانوا من العبودية المصرية، فإنه كذلك، سيأتي بالخلاص النهائي للعالم بأسره في آخر الدهر.

الميثاق في سيناء

يمثل الخروج بداية تكوين شعب إسرائيل، لكن هذا التكوين لم يكتمل إلا عندما أنزل الله التوراة على جبل سيناء. فتجربة سيناء، كما تسمى عادة، تمثل أحدى الفواصل الهامة في التأريخ اليهودي، وذلك لأن سيناء هي المكان الذي شاهد فيه كل الشعب اليهودي، الحي منه والذي لم يولد بعد بحسب تقليد، تنزيل الأوامر أو التوراة. كلهم كانوا متواجدين وسط الرعد والبرق وكل فرد منهم وافق على طاعة أوامر الله بالقول معا: "سنعمل كل ما أمر به الرب" (الخروج 24: 7). وتمثل التوراة، نفسها، آية من عهد سيناء الموسع لأن التوراة تسمى بـ "كتاب العهد" (الخروج 24: 7). في العهد الذي أبرمه الله مع إبراهيم، كان الختان والامتثال بعمله آية حية للعلاقة الإلهية مع ذرية إبراهيم وفي تأكيد العهد في سيناء، فالتوراة

بأكملها والالتزام بأوامرها هي التي أصبحت الآية الحية للعلاقة الإلهية مع كل اللاجئين من مصر الذين أصبحوا أمة إسرائيل.

تكونت أمة إسرائيل عندما تقبل الناس التوراة الإلهية كمؤسسة مركزية للحياة، ولقد تقبل كل الناس مسؤولية محاولة الالتزام بها، ومن خلال ذلك، وجدوا أنفسهم شعباً وأمة تحت إشراف الله وتحت أوامرة. إن تجربة سيناء هي بمثابة بداية تكوين دعم إسرائيل، أي "شعب إسرائيل" أو الأمة الإسرائيلية. كل هذه الألفاظ قريبة من المعنى الذي تدل عليه لفظة الأمة في اللغة العربية، لأن اليهود ينظرون إلى أنفسهم كأمة دينية محكومة بأوامر التوراة التي تؤثر على جميع أوجه الحياة البشرية من الطقوس إلى الأخلاق والشئون الاجتماعية والأسرية والمدنية. وفي سيناء، ولأول مرة في التاريخ البشري، تم إعطاء جزء من البشرية الفرصة الحقيقية للعيش، كما تقتضيه توقعات الإرادة الإلهية لأنها تملك سجل الإرادة الإلهية على شكل قانون العهد (Covenantal Law). وهذه ليست عملية سهلة بالطبع، وكثيرا ما تشير التوراة إلى الصعوبة التي يواجهها الإسرائيليون في تحقيق المطالب الإلهية. ولكن من وجهة نظر الديانة اليهودية، فبالرغم من أن عدم الالتزام غير مقبول، إلا أنه لم يلغ العهد، نفسه، أبدا. يعني هذا أن العهد القائم بين الله واليهود أزلي ولا يمكن إلغاؤه والتراجع عنه أبدا. إن الذين سوف لا يستطيعون أو أنهم غير قادرين على طاعة أوامر وأحكام العهد فإنهم سيعاقبون، لكن العهد نفسه لن يزول أبدا (التثنية 4: 31).

لقد خاض المفكرون اليهود معركة فكرية مع مسألة اختيار التوراة لبني إسرائيل كالمتسلمين الوحيدين للتوراة. هل هذه خصوصية وإبعاد؟ هل هذا يعني أن في طبيعة اليهود ما يجعلهم أفضل من أي أمة قومية أخرى؟ هل اليهود شعب أرفع مقاما لأن التوراة نزلت عليهم؟ إن التوراة، نفسها، لم تعط إجابات قاطعة. فمن جهة، تقول (التثنية 14: 2). "إنكم شعب مقدس للرب إلهكم، وقد اختاركم من بين شعوب الأرض كافة لتكونوا له شعبا خاصا". ومن جهة أخرى، تقول في عاموس (9: 7) "ألستم لي يا بني إسرائيل مثل الكوشيين؟ ألم أخرج إسرائيل من ديار مصر والفلسطينيين من كفتور والأراميين من قير؟"

إن الكهنة في التلمود، مثل العهد القديم، يشعرون بعدم الارتياح للتصور الخصوصي لليهود في الديانة اليهودية. يعطي التلمود، أحيانا، تفسيرات مباشرة لآيات التوراة كما جاء في الرسالة التلمودية للأب زارة 26: ألم يرد في (التوراة) أن "أقبل الرب من سيناء، وأشرف عليهم من سعير، وتألق في جبل فاران" (التثنية 33: 2). وورد فيها أيضا: "لقد أقبل الله من آدم" (حبقوق 3: 3). ماذا كان الرب يريده في سعير وفي جبل فاران؟ يقول الكاهن يوحنان:

> "يعلمنا هذا أن الرب المقدس تبارك وتعالى قد أعطى التوراة لكل أمة ولسان، لكن لم يقبلها أحد حتي جاء إلى إسرائيل التي تقبلتها". ونجد في مكان آخر من التلمود شبها ممتعا للنص القرآني 2: 63، 93 و

> 4: 154 فأخرج موسى الشعب من المخيم للقاء الله، فوقفوا عند سفح الجبل". يقول حما بن حسا إن هذا يعلمنا أن الرب المقدس قلب عليهم الجبل رأسا على عقب كبرميل مقلوب وقال لهم: "إذا تقبلتم التوراة، فذلك حسن، وإذا لم تقبلوها فإن هذا سيكون قبركم." (شبات 88 أ).

يعترف هذان التفسيران ويؤكدان بأن الشعب الإسرائيلي ليس في طبيعته ما يجعله أفضل من إي أمة أو شعب آخر. والشيء الوحيد الذي يميز بني إسرائيل هو استعدادهم ليكونوا أول من تقبل الأوامر الإلهية والعيش بحسب القانون الرباني. ففي العهود القديمة، لا يوجد شعب بحسب علمنا، أخذ على عاتقه التخلي عن الوثنية والعيش في ظل القانون الإلهي.

كان بنو إسرائيل دائما أمة صغيرة محاطة بشعوب وثنية، فلذلك ليس من الغريب ملاحظة أنهم يعيشون بمعزل عن الشعوب التي يعيشون في وسطها. إن هدف هذا السلوك كان الحفاظ على العقيدة الوحدانية لبني إسرائيل، لكن هذا الهدف فسر في الفترة اليونانية – الرومانية أنه نخبوي (elitist). لم تكن رغبة بني إسرائيل في العيش عن معزل من الشعوب الأخرى نابعة من شعور نخبوي، بقدر ما هي نابعة من سمة البقاء بعيداً عن الانغماس في الوثنية المتفشية التي يمارسها اليونان والرومان وشعوب الحضارات القديمة.

التوراة أحكام للسلوك البشري

تعني التوراة، حرفيا، التعليم، وتشتمل تعاليم التوراة، تقريبا، على كل السلوك الإنساني الممكن. ويمكن تقسيم التوراة في العالم الحديث إلى القانون الشعائري، والقانون المدني، والقانون الجنائي، ومتطلبات الأخلاق والآداب، وتشتمل هذه على التعليمات التفصيلية المتعلقة بموضوعات مختلفة مثل: تقديم القربان الحيواني، ومتى تؤكل بعض الأطعمة الطقوسية، إلى الأزواج المناسبة، والممارسة التجارية، والقواعد العادلة والمناسبة في الأحكام، والقواعد التي تحكم تقبل الأدلة في الاحتكام، ومعاملة غير الإسرائيليين، والعناية بالفقراء والمحتاجين واليتامى والأرامل، ومتى وكيف يحتفى بالأعياد الدينية ونوع الأطعمة المستحبة والممنوعة، وكيف تعالج بعض الأمراض، وكيفية توزيع التركة... وهلم جرا.

وردت التعليمات في عدد من الأجزاء المختلفة داخل الأسفار الخمسة للتوراة المعروفة "بالتوراة" (وبعض الأحيان تعرف بالحومش، أي خمسة). وترد التعليمات إما على شكل أوامر إيجابية (الواجب القيام به) أو على شكل أوامر سلبية (ما يجب اجتنابه).

وهذه الكتب الخمسة هي: التكوين، والخروج، واللاويون، والعدد، والتثنية، وتشكل هذه الكتب الوحيدة في التوراة التي يعتبرها التقليد اليهودي منزلة على كل بني إسرائيل في جبل سيناء. وتعتبر بقية الكتب التسعة عشر في التوراة اليهودية أيضا مقدسة، إلا أنها لم تصل إلى درجة قداسة الأسفار الخمسة الأولى.

الفصل الثاني
التعزير والشتات

دخول الأرض

بعد استقبال التوراة، يذكر أن بني إسرائيل مكثوا في الصحراء أربعين سنة قبل دخول الأرض. إن هذا الفصل من تأريخ الشعب اليهودي جدير بالمناقشة لأنه يطرح قضية معنى التأريخ والنصوص المقدسة (Scripture) في الديانة اليهودية. كثيرا ما تصف التوراة بني إسرائيل بعدم إستطاعتهم الامتثال للأوامر الإلهية. عبدوا العجل الذهبي في الصحراء (التثنية 32)[14]، وفشلوا في الثقة بالله لما فيه الكفاية للدخول إلى أرض الميعاد بعد سماع تقرير المستكشفين الاثني عشر (العدد: 12-13) ويشتكون باستمرار من وضعهم[15].

إن بني إسرائيل بشر بمعنى الكلمة، فهم ضعفاء على الصعيد الأخلاقي ويميلون للوقوع فريسة للإغراء، ويفشلون كثيرا في القيام بالصواب. فالتأريخ التوراتي هنا يقوم بوظيفة ملحمة وطنية وقصة أخلاقية معا. ورغم القانون الإلهي، فإن بني إسرائيل لا يستطيعون العيش دوما بحسب المتطلبات الإلهية. إن الفشل جزء من الحياة الإنسانية، لكن يوجد، أيضا، في كل حالة فشل، نور الأمل لأن الله غفور رحيم، ولأن الأشخاص المستقيمين يتصرفون تصرفا بطوليا وأخلاقيا. وبسبب هذا ظل بنو إسرائيل على البقاء ودخلوا في النهاية أرض الميعاد مع أنهم شعب مذنب.

فبحسب التوراة فإن الإنسان العادي ليس الوحيد الذي يقترف الذنوب، بل حتى الأنبياء والملوك. حتى النبي موسى فشل أمام الله عندما ملكه الغضب والإحباط أمام شكاوى الناس فضرب صخرة لتفجر ماء في الصحراء بدلا من مخاطبتها كما طلب الرب (العدد 20: 7-13). وعلى أية حال، وبالرغم من شكاواهم وفشلهم، فإن جيلا جديدا من بني إسرائيل قد خرج من الصحراء يربطه وحي التوراة وشعور بهدف مشترك، مستعداً لدخول الأرض التي وعدها الله لإبراهيم وذريته كأرض إسرائيل.

يوصف عادة دخول الأرض بعد أربعين سنة في الصحراء أنه غزو، والسبب في ذلك يرجع إلى سفر يشوع الذي يذكر أن بني إسرائيل استولوا على الأرض بقوة السلاح. وذلك لأن جيلا من المقاتلين الأشداء الذين قوتهم الحياة في الصحراء أربعين سنة اجتاح السكان المحليين بإرادة الله. لكن التنقيبات الأثرية الحديثة لا تعزز هذا الوصف لعدم وجود أي آثار للدمار أو طبقات محروقة مثل التي توجد في الأماكن التي تعرف بأن الغزو والاحتلال وقع فيها. وبالتالي فقد اقترح المؤرخون الأكاديميون احتمال دخول بني إسرائيل إلى الأرض على شكل هجرة كبيرة توصلت في النهاية إلى السيطرة على الأديان والثقافات المحلية في المنطقة، وأثارت في بعض الأحيان معارك أدت إلى المقاومة لكنهم نجحوا بسبب قوة الأعداد ونجاح حضارة دينية (التفسير الثقافي لما يعرف بغلبة بني إسرئيل على الهوية الكنعانية).

من القضاة إلى الملوك

كانت الفترة التالية فترة سيطرة القبائل الإسرائيلية الاثنتي عشرة على ممتلكاتها الخاصة بها من الأراضي تحت شيوخ القبائل المعروفين "بالقضاة". تعيش كل قبيلة منفصلة عن بعضها وتتشاجر بعض الأحيان أو تدخل في نزاع مسلح مع بعضها البعض. وقد أصبح فقدان الوحدة مشكلة كبيرة إلى درجة أن بعض الناس طلبوا من الكاهن الرئيس أن يعين لهم ملكا. ووصف هذا الطلب في حينه بعدم الورع لأنه لم يكن يسمح حتى ذلك الوقت لأي إنسان بمفرده أن يجمع سلطة كبيرة في يده في إسرائيل. كان الرب حتى ذلك الوقت الملك الوحيد والحاكم على بني إسرائيل. ولكن الله لبى طلب الشعب ونزل عند رغبتهم (صموئيل الأول رقم 8) وتم تحذيرهم بأن الملوك قد يتسلطون عليهم ويستغلون رعاياهم الأمر الذي حدث فعلا. وبعد هذا عين شاؤول ملكا إلا أنه فشل فشلا ذريعا كحاكم وهزم عسكريا ومات في المعركة وخلفه الملك الكبير داوود، بطل جبار لكنه بالرغم من ذلك شخصية غير مثالية، بحسب ما ورد في التوراة. وحد داوود القبائل في مملكة واحدة وأسس إمبراطورية إسرائيلية كبرى امتدت من الحدود المصرية إلى بلاد مابين النهرين. قابلت بسالته العسكرية إنشاءه لمزامير مخصصة لعبادة الله، لكنه ومع ذلك فبحكم كونه بشرا فإنه وقع فريسة لشهواته المادية، واستغل سلطة الملك في الكسب الشخصي وقد عوقب على ذلك بشدة (صموئيل الثاني 11-12).

تابع سليمان ابن داوود الحكم على إسرائيل موحدة وبنى الهيكل الكبير في القدس. وتغلب على ملكة سبأ، وباختصار، كان حكمه ناجحا وحكيما. ورغم حكمته الكبيرة فقد وقع تحت تأثير ضعف طبيعته البشرية، وذلك بانحرافه عن الديانة الموحدة المطلقة عندما سمح لزوجاته الأجنبيات بالعبادة على طريقتهن الوثنية الأصلية. ولقد قام بتشييد معابد لآلهتهن، وادعى بعضهم أنه قد عبدها، الأمر الذي من أجله عوقب أعقابه بشدة، (الملوك الأول 11: 1-13).

يوصف دائما أبطال إسرائيل في التوراة كلها بأنهم بشر فانون ومصابون بالمشاكل والضعف البشري الذي يصيب الناس العاديين. إن اليهود يفتخرون بأجدادهم وبالنجاحات الكبيرة التي حققها شعبهم، لكن الديانة اليهودية لا تؤله أجدادها ولا ماضيها. فالإتعاظ بالدروس والحذر واجب حتى وإن كانت من قبل أبطال إسرائيل لأنه لا يخلو أي كان من فشل أو إثم.

من ضمن الأشياء التي حققها داوود هو تأسيس مدينة القدس كعاصمة المملكة حوالي سنة 1000 قبل الميلاد. كانت المدينة قبل أن يستولي عليها داوود من اليبوسيين أحد الأماكن القليلة التي لم تخضع لسيطرة قبيلة أو أخرى من القبائل الاثنتي عشرة. كانت القدس معروفة كمكان مقدس، وذلك قبل زمن إبراهيم، لأن بها جدولا مقدسا ومعبدا لإله يعرف بالعليون "الله العلي" (سفر التكوين 14: 17-20). كانت عاصمة مثالية لمملكة داوود الموحدة لأنها تقع خارج المناطق القبلية، وبالتالي فهي محايدة سياسيا، وفي موقع مركزي، وكانت تعرف من قبل بالقداسة. وفي خاتمة المطاف إنها مدينة حصينة شيد فيها داوود قصرا ملكيا، إلا أن الله

منعه أن يكون هو الباني للهيكل نظرا لمكانته الحربية (كتاب أخبار الأيام الأول 22: 9-7) وأعطي هذا الامتياز لابنه سليمان الذي شيد الهيكل الكبير في القدس (الملوك الأول 6-7). تمثل فترة المملكة المتحدة بداية "عصر ذهبي"، لأن الفنون والأدب والاقتصاد ازدهرت كلها في هذه الفترة.

شيد سليمان مدنا جميلة وقوية، كما بني حصونا في مناطق عديدة من الأرض، وكانت إسرائيل فخورة وموحدة تحت نظام ديني وحكومة مركزية قوية.

المملكة المنقسمة

وكما هو الحال في البلدان الحديثة حيث وجود التوتر الدائم والمنافسة بين الحكومة المركزية والمصالح الإقليمية، فإن المملكة المتحدة واجهت توترا بين الحكومة الملكية وحاجيات ومصالح المناطق القبلية. لقد نجح داوود وسليمان في مراقبة وإبعاد قوى التمزيق لكن رحبعام، ابن سليمان، فشل في إبقاء المملكة موحدة (الملوك الأول 12). وفي النهاية تمردت القبائل الشمالية العشر وكونت مملكتها المستقلة بعاصمتها في السامرة. يشكل هذا الحدث فترة التقسيم للمملكة التي انقسم فيها الشعب الإسرائيلي لمدة مئتي سنة إلى إسرائيل مملكة الشمال، ويهودا، مملكة الجنوب.

كان يحكم مملكة الشمال، التي تعد الأكبر والأقوى تسعة عشر ملكاً يمثلون عددا من الأسر الحاكمة. وإن كانت هذه المملكة قوية على الصعيد الخارجي، فإنها كانت ضعيفة داخليا مع كثرة الصراعات الداخلية والانحرافات الأخلاقية. وأدت زيادة الفروقات بين الطبقات الاجتماعية إلى الظلم والفساد، وتخلى كثير من الناس عن واجباتهم الدينية بالتعبد في الأضرحة المحلية. وكانت هذه الفترة هي التي ظهر فيها كبار أنبياء إسرائيل ليطالبوا بالعبادة الصحيحة والعدالة الاجتماعية، ولكن بالرغم من استقامة عدد من الأفراد، فإن الأمة ككل وصفت في كتب التوراة (الملوك الاول والملوك الثاني) بأنها مستمرة في إصرارها على ارتكاب الشر. وفي الأخير دمرت المملكة الشمالية سنة 721 قبل الميلاد على يد الجيوش الآشورية.

كانت مملكة يهودا الجنوبية تحكم من قبل أسرة الملك داوود. بالرغم من أنها أيضا عرفت الثورة والصراع، إلا أنها تمتعت بقدر أكبر من السلام الداخلي عند مقارنتها بالمملكة الشمالية. ولكن، بالرغم من اتحادها القوي حول مؤسسات بيت داوود وهيكل القدس، إلا أنها أيضا عانت من الفساد الاجتماعي والديني. فلذلك قام أيضا في يهودا أنبياؤها فشجبوا التصرفات السيئة، وأنذروا بانتقام الله القادم.

هذه فرصة مناسبة للتعليق على رؤية التوراة للتأريخ ودور إسرائيل في هذا التأريخ. إن الله يتدخل بشكل فعلي في الشؤون الإنسانية بحسب التوراة ويمثل القوة التي تحدد مجرى كل التاريخ. فالقوى الاقتصادية والاجتماعية والسياسية في التأريخ هي مصطلحات حديثة لم

تكن معروفة في التوراة، ولهذا السبب فسر كتّاب التوراة – وهنا يمكن التحدث عن كتاب التوراة مثل الذين نقلوا الأحداث في كتاب الملوك الأول والثاني وأسفار أخبار اليوم أو كتاب النبوءات في الأسفار العديدة للأنبياء – كل الأحداث على ضوء ردة الفعل الإلهية على سلوك إسرائيل. فإن أي كارثة، سواء كانت وبائية، أم جفافا، أم هجوما عسكريا أم ضعفا إداريا، فإنها تفسر على أنها عقاب إلهي مباشر على فعل شرير. وبالنسبة للنجاحات الكبرى مثل الانتصارات العسكرية والسياسات الحكومية الرائعة فإنها تمثل المكافآت الربانية في الفهم التوراتي.

إن المؤرخين الاكاديميين يقرأون التأريخ التوراتي بوسائل تحليل مختلفة عن الوسائل التي يستعملها المؤمنون المتدينون. فمن وجهة نظر المؤرخ الأكاديمي سواءً أكان يهوديا أم مسلما أم مسيحيا فإن انحطاط مملكة إسرائيل المتحدة كان نتيجة التغيرات الاقتصادية والتطورات الثقافية والأوضاع السياسية والسياسات المتبعة داخل المملكة وفي الشرق الأوسط على العموم. إن إمبراطورية داوود، على سبيل المثال تأسست، فعلا، في الوقت الذي كانت فيه مصر وبابل القوتان العالميتان العظيمتان في الشرق الأوسط ضعيفتين. وقد أخذت في الانحطاط في الوقت نفسه الذي تعافت فيه هاتان القوتان الكبريان وسيطرت على المنطقة مرة أخرى. كانت هناك، بكل تأكيد، فترات فساد فاحش وفترات فساد أقل، وكان هناك ظلم اجتماعي وانحراف ديني داخل كيان إسرائيل ويهودا، لكن الأنبياء والمخبرين نظروا إلى كل تأريخ العالم على أنه ناتج من سلوك بني إسرائيل. فلهذا السبب تنبؤوا بخراب المملكتين إذا لم يستقم الناس في سلوكهم ويطيعوا القانون الإلهي كاملا، ويلتزموا بالقيام بالشعائر ومناسك الديانة اليهودية الموحدة بإخلاص. ولقد اقترن انحطاط إسرائيل بالسلوك السيء واقترن التحسن في وضعها بالسلوك المستقيم. فعندما دمر الأشوريون مملكة الشمال سنة 721 قبل الميلاد، اعتبر هذا التدمير عقابا إلهيا. واعتبرت نجاة المملكة الجنوبية ناتجة عن طاعتها للقانون الإلهي وإرادته.

لكن يهودا سقطت في النهاية عام 586 قبل الميلاد. وكانت بابل القوة المسيطرة في الشرق الأوسط آنذاك، ورأى أنبياء يهودا في بابل أداة إلهية. كان الأنبياء مصلحين ورعين حاولوا إبقاء إسرائيل في الطريق المستقيم. وبالرغم من شجبهم كثيرا السلوك الإسرائيلي، إلا أنهم كذلك أعلنوا بشارة الأمل التي بقيت بعد تدمير القدس والهيكل. بالإمكان تدمير المملكة لكن لب الشعب الموعود سينجو وسيرده الله إلى القدس وإلى الأرض (إشعياء 37: 3-32، إرميا 31: 7-9، ميخا 2: 12-4، إلخ). إن اعتماد الأنبياء وثقتهم في الوعد الأزلي منحتهم الثقة للم شمل الناجين للاستمرار في العيش على ضوء تعاليم التوراة، حتى وهم في المنفى خارج أرض إسرائيل.

السبي والرجوع

عندما دمرت مملكة الشمال شتت المنتصرون القبائل في كل أنحاء الإمبراطورية الأشورية بطريقة لم تستطع فيها تلك القبائل المحافظة على هويتها الدينية والثقافية. وكانت النتيجة إذابة وإبادة مملكة إسرائيل الشمالية. وتعرف هذه القبائل "بالقبائل العشر المفقودة" التي لم يعد لها وجود لأنها لم تحظ بالبقاء بعد غزو الأشوريين لمملكتهم. أما قبيلتا يهودا وبنيامين اللتان بقيتا في المملكة الجنوبية لمدة مئة وخمسين سنة أخرى فقد كانتا تعرفان مجتمعتين باسم اليهود لأن القبيلة الكبيرة يهودا كانت هي المسيطرة إلى حد بعيد. وقد عمل هؤلاء اليهود في خلال هذه الفترة بجد لغرس الديانة اليهودية وقيمها وأخلاقها في أعماق قلوب الناس. وعندما غزت بابل في النهاية يهودا سنة 586 قبل الميلاد، ودمرت الهيكل، سبت عددا كبيرا من سكانها إلى العاصمة البابلية. إستطاع اليهود أن يحافظوا على هويتهم الدينية والثقافية حتى وهم أقلية صغيرة في أرض أجنبية. يسجل المزمور المئة والسابع والثلاثون شعور اليهود المسبيين في بابل:

> على ضفاف أنهار بابل جلسنا، وبكينا عندما تذكرنا أورشليم، هناك علقنا أعوادنا على أشجار الصفصاف، هناك طلب منا الذين سبونا أن نشدو بترنيمة والذين عبّدونا أن نطربهم قائلين: "أنشدوا لنا من ترانيم صهيون[16] كيف نشدو بترنيمة الرب في أرض غريبة؟ إن نسيتك يا أورشليم ، فلتنس يميني مهارتها. ليلتصق لساني بحنكي إن لم أذكرك ولم أفضلك على ذروة أفراحي.

دام السبي الإجباري في بابل قرابة خمسين عاما. وبدخول سنة 539 قبل الميلاد، هزم كورش ملك فارس البابليين. وسمح بعودة الراغبين من اليهود إلى أرض إسرائيل (كتاب عزرا 1-2). عاد عشرات الآلاف في السنة التالية، لكن كثيرون آخرين اختاروا البقاء في بابل. انضم العائدون في بناء الهيكل في القدس إلى اليهود الذين لم يغادروا الأرض. واكتملت إعادة الهيكل سنة 515 قبل الميلاد، إلا أن كل شيء لم يكن على ما يرام في يهودا، لأن البلد بقيت فقيرة والقدس كانت دون تحصينات ومعرضة للخطر، وكان الناس يعيشون في فوضى، ودون نظام ديني وحكومي قوي، وازداد التزاوج من الجيران الوثنيين وأصبح الالتزام الديني ضعيفا.

عزرا والإعادة

وصلت أخبار الظروف القاسية في القدس إلى عزرا اليهودي المولود في السبي. وكتب عريضة إلي ملك فارس (ربما هو أرتحشتا الأول) يطلب منه السماح له بالرجوع مع مجموعة من السبايا، ولبى الملك طلبه. كان الفرس في غاية التسامح ولم يكن لديهم أي اعتراض على تقوية مكانة يهودا. وهكذا سمح لعزرا بل إنه حصل على الدعم من التاج

الفارسي لإنشاء نظام للتعليم ولتطبيق القانون اليهودي وقوانين ملك فارس معا. حدد معظم الباحثين تأريخ وصول عزرا إلى القدس بسنة 457 قبل الميلاد. لقد نجح عزرا في تنظيم الأمة، وتلا التوراة بالكامل جهرا كما أجبر اليهود أن يلتزموا مرة أخرى بطاعة أوامر المناسك والتقليد اليهودي (نحميا 9-10).

وفي الوقت نفسه تقريبا طلب يهودي ذو مركز عال في بلاط الملك أرتحشستا، يسمى نحميا الإذن بالانضمام إلى مجهود إعادة بناء القدس، وعينه الملك حاكم يهودا. وفي الوقت الذي أعاد فيه عزرا نظام الديانة اليهودية الاجتماعي والديني، أعاد نحميا البنية التحتية الاقتصادية والسياسية. ولقد استطاعا معا تعزيز المجتمع اليهودي في القدس ويهودا وضمان إنعاش يهودي قوي وناجح.

كان لفترة السبي والرجوع أثر بالغ علي تطور الديانة اليهودية. فأولاً، تغيرت الديانة اليهودية من ديانة قومية محلية إلى ديانة عالمية. يعتقد مؤرخو الديانة أن كل الأديان الإنسانية قبل السبي كانت محلية. وكان الافتراض هو أن الإنسان إذا انتقل إلي أرض جديدة فإنه سيعبد آلهة جديدة. لم يتطور بعد إدراك الإنسان لفكرة الإله الشامل حتى أصر المسبيون من اليهود على الاستمرار في عبادة إلههم، إله إسرائيل حتى في أرض بابل الغريبة. وقد ثبت أن إله إسرائيل كان حقيقيا في بابل مثل ما كان حقيقيا في القدس وبالتالي فإن هذا برهان علي الوحدانية وعالمية الإله الواحد. ثانيا، أثبت السبي لليهود أنهم يستطيعون أن يعبدوا الله حتى وإن كان ذلك يعني عدم تقديم القربان في الهيكل الذي أصبح مدمرا. لقد كانت العبادة الإلهية قبل السبي البابلي، تتم في كل الأديان من خلال تقديم القربان في المعابد أو في الأماكن المقدسة. ويبدو أن أول احتمال العبادة الرسمية دون تقديم القربان الحيواني قد ولد من الحاجة في بابل بعيدا عن الهيكل القدسي. لقد كان محظورا تقديم القربان لله خارج هيكل القدس، وبالتالي كان لزاما اختراع وسائل أخرى لعبادة الله. وهكذا أسس المسبيون في بابل نوعا جديدا من العبادة أخذ شكل الصلاة الجماعية، وأصبح فيما بعد مقننا في المعبد اليهودي، وفي الكنيسة وفي المسجد. لقد أثبتت تجربة اليهود (مواطني يهودا في السبي) أن الصلاة والدعاء كانت فعالة في كل مكان وأثبتت التجربة أيضا أن الله سيستجيب للعبادة حتى لو كان ذلك خارج إطار تقديم التضحية الحيوانية وخارج الأماكن المقدسة.

إن تجربة النفي الديني قد وسعت آفاق اليهود الدينية في كثير من الأوجه التي ستؤثر في النهاية تأثيرا عميقا على كل التقاليد الموحدة. لم تبرهن هذه فقط على أن الله رب العالمين وعلى استطاعة بني البشر التعبد في أي مكان دون تقديم القربان، بل إنها أثبتت أيضا عالمية الشعور بالمسؤولية نحو الديانة الموحدة. ولقد حاول بنو إسرائيل قبل تدمير الهيكل الأول أن يظلوا ملتزمين بتعاليمهم الدينية في وجه وثنية تكاد تكون عامة إلا أنهم لم يشعروا بواجب التأثير على الآخرين ليصبحوا موحدين؛ ولكن مع رجوع اليهود من السبي البابلي، أصبحت الوثنية من وجهة نظرهم شرا لكل الناس في كل مكان.

فترة الهيكل الثاني والهيلينية

تسمى الفترة الممتدة أربعمئة سنة تقريبا بين تشييد سليمان الهيكل وحتى تدميره على أيدي البابليين بفترة الهيكل الأول. وتسمى الفترة الممتدة ما يقرب من ستمئة سنة منذ إعادة تشييده سنة 515 قبل الميلاد، وحتى تدميره الثاني على يد الرومان عام 70 ميلادي بفترة الهيكل الثاني. ولا يعرف كثير عن الفترة الزمنية التي تقع بين الإعادة التي تزعمها عزرا ونحميا ومجيء الإسكندر إلى الشرق الأوسط في الثلاثينات من القرن الرابع قبل الميلاد. ولكن يعتبر غزو الإسكندر نقطة تحول في تأريخ الشرق الأوسط، لأن هذا الغزو يمثل بداية دخول الأفكار اليونانية إلى المنطقة على نطاق واسع. تستعمل لفظة الهيلينية لوصف تأثير الأفكار اليونانية على ثقافات الشرق الأوسط الأصلية، وقد غيرت الهيلينية حضارة الشرق الأوسط إلى الأبد.

فالهيلينية، أولاً وقبل كل شيء، جمعت ثقافات وأديان المنطقة المختلفة والمتعددة. فكان هناك تبادل واسع للبضائع وللأفكار، واعتبر كثير من الناس أنفسهم لأول مرة أنهم مواطنو العالم. وكان أحد الأسئلة الكبيرة التي واجهت اليهود هو ما هو حجم التأثير الهيليني المقبول في الديانة اليهودية الذي لا يخل بالهوية اليهودية ولا يخل بطاعة اليهود لإرادة الله؟ وإلى أي مدى اصطدمت الأفكار والتقاليد اليونانية مع المتطلبات الإلهية للحفاظ على الإيمان بالتوراة؟

ظهرت أجوبة مختلفة وطرحت عدة تعبيرات عن الهوية اليهودية. ولقد مددت سلسلة الإجابات اليهودية للهيلينية النسيج الاجتماعي اليهودي إلى حد التمزق في القرن الثاني قبل الميلاد. ولقد عانى اليهود من جراء حرب أهلية كادت أن تقضي على الشعب اليهودي خلال الهيلينية القسرية التي قام بها اليهود الرادكاليون بمساندة مؤيديهم من اليونانيين تحت حاكم يوناني مستبد باسم أنتيوكوس الرابع (Antiochus). انتصرت الفرق اليهودية المحافظة المعروفة بالمكابيين (Maccabees) بإخراج الهيلينيين الرادكاليين حوالي سنة 168 قبل الميلاد، واستقطعوا دولة يهودية مستقلة محافظة على العادات القديمة. ويحتفي بهذا الانتصار حتى يومنا هذا، في عيد الأنوار(الحانوكاة)، العيد اليهودي الذي يخلد ذكرى إعادة تدشين هيكل القدس الذي لوثه ونجسه اليونانيون بمساعدة حلفائهم من اليهود الهيلينيين الرادكاليين.

تسمى سلالة ملوك اليهود الذين حكموا يهودا في القرنين التاليين بالحشمونائيين، لكن هؤلاء الملوك أنفسهم أصبحوا في النهاية يونانيي الثقافة، أكثر فأكثر، كما أصبحت القدس فيما بعد مدينة هيلينية (يونانية) انتشرت فيها أماكن التعليم، والفن واللغة، والثقافة والدين. ولم يكن بإمكان اليهود والديانة اليهودية أن يظلوا أبدا منعزلين عن الاتجاهات الفكرية والسياسية لبقية العالم. لكن هذا الاختلاط لم يكن فقط مصدر تهديد للديانة اليهودية، بل كان أيضا مصدر اندفاع وتطور. حيث لم تكن الديانة متأثرة تأثيرا بالغا بالأفكار الأجنبية فقط، بل إنها أثرت أيضا على الشعوب التي احتكت معها. ولقد أدى هذا الأمر إلى تحرير الديانة اليهودية من حدودها في يهودا.

لقد تهود كثير من اليونانيين والرومانيين باتخاذهم مظاهر الديانة اليهودية، فتبني بعضهم بعض الممارسات أو الأفكار اليهودية، بينما اعتنق بعضهم الآخر رسميا الديانة. وهكذا انتشرت الديانة اليهودية عبر العالم الهيليني، وأصبحت دينا عالميا مهمّا – أول تعبير عالمي للديانة الموحدة – وذلك بفضل الكثير من المعتنقين من اليونانيين والرومانيين وسكان الشرق الأوسط المحليين، وبفضل الآخرين الذين تعلموا الديانة ولم يتخذوا بعد قرارا نهائيا حول الاعتناق. كانت هذه الفترة فترة بداية ظهور فرق مختلفة للديانة اليهودية. ولقد ورد ذكر بعض هذه الفرق الدينية المختلفة مثل الصدوقيين والفريسيين في الإنجيل (العهد الجديد). وذكر الكتّاب والمؤرخون اليهود واليونانيون والرومانيون فرقا أخرى مثل الاسينيين (مؤسسي المسيحية Essenes) والقنائيين (Zealots) وتعني الأخيرة (المتحمس الوطني:طائفة يهودية قديمة عرفت بمقاومتها الشديدة للسيطرة الرومانية على القدس).

اليهودية والمسيحية

كان القرن الذي سبق تدمير الهيكل الثاني عام 70 ميلادي أحد القرون الأكثر توترا بالنسبة ليهود فلسطين اليونانية- الرومانية. لقد احتلت الأمبراطورية الرومانية يهودا، وكان اليهود يعيشون في كل الشرق الأوسط، واستقروا في كل شمال إفريقية وفي اليونان وإيطاليا وفرنسا وأسبانيا، وألمانيا وحتى في بريطانيا. ونمت الجالية القديمة في بابل أيضا، وكان اليهود يعيشون في مصر وبلاد الرافدين، وقد دخلوا الجزيرة العربية حتى وصلوا اليمن.

لقد وعدت التوراة بمكافأة اليهود بالسلام، والثروة والصحة والحياة الطيبة في هذا العالم إذا هم أطاعوا التوراة الإلهية (التثنية 7: 9-15، 11: 13-27). لكن معظم اليهود لم يشعروا أن نصيبهم في هذا العالم يمثل تقواهم وإيمانهم بالله وبالميثاق. لقد شاهد اليهود إخوانهم المستقيمين يعانون من الفقر والمرض والعنف من قبل جنود روما ومسؤوليها وشاهدوا في الوقت ذاته كيف يبدو أن الكفار الأقوياء يتمتعون بأفضل ما يمكن أن توفره الحياة. لقد اضطهدت السلطات الرومانية الوثنية اليهود في أرضهم في الوقت الذي تمتعت فيه بكل اللذات الممكنة في الحياة.

لقد لمحت، بل بشرت نصوص من الكتاب المقدس، خصوصا من أسفار الأنبياء، بالزمن الذي سيقضي فيه الله على كل الجور في هذا العالم. وسيرد الله بني إسرائيل من كل شتاتهم إلى القدس، وإلى أرض إسرائيل، حيث سيحكمون بالعدل والسلام ويباركون بمحبة الله (إشعياء 11: 11-12، عاموس 9: 14-15). ولقد ورد في نصوص أخرى أن الشخص الذي سيحكم إسرائيل ويؤدي إلى الاستقامة والخلاص في نهاية الزمن سيكون من سلالة داوود الموحد الكبير لإسرائيل في قديم الزمان. لكن الله وحده هو الذي سيحقق معجزة الخلاص، علما بأنه لم يرد في العهد القديم ما يشير إلى أن شخصاً بطلاً منقذاً سيقوم بمعجزة تحقيق هذا الخلاص. وبالرغم من هذا فقد بدأ كثير من اليهود داخل الإمبراطورية الرومانية في الاعتقاد أن الشخصية التي سيكون على يدها الخلاص الإلهي هي شخصية

تحظى بالتوجيه الرباني، وذلك خلال فترة الحكم الروماني الشرير، وبعدما أصبح واضحا أن النبوة قد توقفت. وتطورت الأفكار اليهودية حول المهدي في هذه الفترة وخلدت في التلمود والمدراش التي هي مجموعة من التقاليد اليهودية والتفسيرات المعروفة "بالشريعة الشفوية"[17].

لقد كان شعور توقع المهدي عاليا خلال الفترة الرومانية واعتقد عدد من اليهود أن بعض الشخصيات النادرة هي فعلا المهدي المنتظر. كان أشهر هذه الشخصيات عيسى (يسوع) ابن يوسف من الناصرة. وإن كان بعض اليهود آمنوا بمقامه كالمسيح المخلص، فإن معظمهم لم يؤمنوا به. وشكل أولئك اليهود الذين آمنوا بمهديته مؤسسي المسيحية التي قبلت وطالبت بالاعتقاد بمهدية يسوع كحقيقة دينية. وبعد ذلك بوقت قصير تتطلب المسيحية الاعتقاد بأن يسوع لم يكن فقط المسيح المنتظر، بل إنه أيضا ابن الله بعينه. رفض معظم اليهود الاعتراف بمسيحية يسوع لأن المسيح الحقيقي بالنسبة للديانة اليهودية، سيأتي بالخلاص المباشر ولا يحتاج إلى "قدوم ثان". ولقد انتقلت المسيحية إلى ما وراء الإيمان اليهودي المقبول عندما بدأ اتباع عيسى يطالبون أيضا بضرورة الاعتقاد بأن عيسى ابن الله. وتعتبر الديانة اليهودية أن فكرة الثالوث انتهاك لوحدانية الله.

ونظرا لعدم قبول الاعتقاد المسيحي لدى الديانة اليهودية مطلقا أن يسوع هو ابن الله، فإن سورة التوبة في القرآن تبين إشكالية من نوع مثير. فقد ورد في الآية 30 من السورة: "(وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ)" (9: 30). لقد كان المشكل الذي تقدمه هذه الآية واضحا للفقهاء المسلمين منذ العهود الأولى، لأنهم كانوا يعيشون مع اليهود ولاحظوا بأنه لم يعرف عن اليهود أنهم يعتقدون أن عزيراً (عزرا) ابن الله. لقد كتب كل المفسرين القدامى تقريبا أن هذه الآية لا تشير إلى كل اليهود، بل هي بالأحرى تشير إلى بعض الأفراد أو الجماعات التي كانت تعيش في الجزيرة العربية. إن سورة التوبة سورة مدنية، وقد أورد المفسرون الأحاديث التي ألقت الضوء عليها في محيط حياة النبي محمد في المدينة. وعلى سبيل المثال، فقد أورد محمد بن جرير الطبري في تفسيره الأحاديث التالية*:

> "حدثنا القاسم، قال: ثنى الحسين، قال: ثنى حجاج، عن ابن جريج، قال: سمعت عبد الله بن عبيد بن عمير، قوله: (قالت اليهود عزير ابن الله)، قال: قالها رجل واحد، قالوا: اسمه فنحاص"**. "حدثنا أبو كريب (في سلسلة من الأسناد إلى) عن ابن عباس، قال أتى رسول الله (صلعم) سلام بن مشكم، ونعمان بن أوفى، وشأس بن قيس،

---

* جامع البيان عن تأويل اي القرآن (بيروت 1405/1984)، 9: 3. (الجزء العاشر، ص ص 11-111).

** لقد ذكر فنحاص هذا في نفسه سيرة ابن هشام ونسبت اليه أقوال منحرفة مثل "إن الله فقير ونحن أغنياء" فجاء تنزيل سورة 3 آية 181 في قوله تعالى : "لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء... الخ.

ومالك بن الصيف، فقالوا: كيف نتبعك وقد تركت قبلتنا، وأنت لا تزعم أن عزيراً ابن الله؟ فأنزل في ذلك من قولهم (قالت اليهود عزير ابن الله، وقالت النصارى المسيح ابن الله)".

وإن كان واضحا أن الديانة اليهودية، كدين حضاري، لا تقبل بالرأي الذي يذهب الى أن لله شركاء أو ذرية، فإنه من المحتمل أن يكون هناك وجود بعض المجموعات الهامشية التي تجاوزت حدود الإيمان المقبول مع شخصية مهمة مثل عزير. فلقد ربط مثلا كتابان قديمان يهوديان في الأصل المركز الإلهي أو الملائكي بعزير وإينوخ من الشخصيات التوراتية. هذان الكتابان هما: عزير 4، المعروف أيضا بـ 2 إحدراس (2) 14: 9، 2. و4 إينوخ (2)، 11: 22. وبالرغم من أن كتابتهما تمت على أيدي اليهود، إلا أنهما رفضا من قبل الديانة اليهودية ولا يعتبران جزءا من الأدب التشريعي العبري. ولكن وبحكم تماثلهما مع المعتقدات المسيحية، فإن بعض الجماعات المسيحية تبنتهما وحافظت عليهما. ويبدو أن بعض أعضاء فرقة يهودية من الذين يؤمنون بهذه المعتقدات كانوا يعيشون في المدينة في زمن النبي، وقد أعلنوا عن مثل تلك الآراء التي رفضت فورا، وعورضت بالتنزيل القرآني للآية.

تزعم كلتا الديانتين معا، المسيحية واليهودية بأن التوراة لها. وبالإضافة إلى قبول المسيحية للتوراة اليهودية – التوراة (تسمى عند المسيحيين "العهد القديم")، فإنها كذلك تؤمن أن يسوع نفسه ابن الله، يمثل الإرادة الإلهية. فبالنسبة للمسيحية فبما أن الله بعث ابنه إلى الأرض لغاية إلهية فإن كل ظرف من حياته على الأرض يعكس إرادة الرب، وكأن يسوع يعتبر من ثم بمثابة التنزيل الحي الرباني، وبالتالي فإن قصص حياته المكتوبة تعتبر كتاب الله المقدس. فهي البشارة، والإنجيل وصلب كتاب المسيحيين المقدس، أو العهد الجديد. وبشكل عام فإن المسيحية تعتقد أن النبوءات الكبيرة الواردة في التوراة (العهد القديم عند المسيحيين) قد تحققت في حياة يسوع كالمسيح والرب في شكل بشر. لكن اليهودية تعتقد أن النبوءات الكبيرة لم تتحقق بعد. إن اليهود والديانة اليهودية لا يقبلان العهد الجديد على أنه الكتاب المقدس في الوقت الذي يعتبر فيه المسيحيون والمسيحية أوامر العهد القديم غير ملزمة لأنهم يرون أن قدوم يسوع نسخها. توجد طبعا فروقات كثيرة بين الديانة اليهودية والديانة المسيحية لكن جوهر التمييز بينهما يكمن في اختلافهما حول مسيحية وألوهية يسوع، وحول دور الأوامر الإلهية في الحياة.

الدمار والتشتيت

لقد وضعت روما سيطرتها المحكمة على أرض يهودا مع القرن الأول من الميلاد. أصبح حكام روما وولاتها أكثر قساوة وظلما حتى ثار اليهود سنة 66 تحت زعامة المتحمسين الذين يؤمنون بأن الله سيمدهم بعونه في حربهم ضد كفار الرومان ويأتي "بآخر الزمان" المتوقع. لكن اليهود لم يكونوا علي رأي واحد فيما يتعلق بهذه الحرب. اعتقد كثير منهم

إما أن الوقت ليس هو الوقت الموعود، وإما أن الحرب ليست الوسيلة المناسبة لتحقيق الخلاص. إن الثورة اليهودية ضد روما قد تسببت في تمزيق هائل في الإمبراطورية الرومانية، واستقدمت وحدات من الجيش الروماني من مناطق متعددة من أوروبا والشرق الأوسط لإخمادها والقضاء عليها. ونجحت روما في النهاية بإعادة السيطرة على القدس سنة 70 ودمرت الهيكل في أثناء العملية. وكانت آخر قلعة تسقط في أيدي الرومان هي مسّادا قرب البحر الميت وذلك سنة 73 ميلادي.

لقد توقفت القرابين بعد تدمير الهيكل وانتهت الكهانة الوظيفية، ولم تعد القدس تلعب دور الموحد للأمة اليهودية المشتتة. ومع نهاية زعامة الكهانة اليهودية بدأ حكماء اليهود المتعلمين، أو الأحبار، يملئون الفراغ. ولعب السنهدرين أو مجلس العلماء دور المجلس التشريعي والقضائي المركزي وأصبح رئيسه السلطة اليهودية المركزية في العلاقات مع روما. ووضع تدمير الهيكل نهاية لليهودية التوراتية وبداية لظهور اليهودية الربانية (الحاخامية).

حدثت ثورة يهودية أخيرة في غاية التدمير ضد روما، وكان سببها أيضا الحكم الروماني الجائر، وقادتها شخصية عسكرية مهدية (Messianic) باسم شمعون باركوخبا ومساندة الحاخام عقيبا. لقد انتزعا القدس من الرومان سنة 132 وحاولا إعادة بناء الهيكل. لكن فشلت "انتفاضة باركوخبا". ومحى الامبراطور الروماني هدريان مدينة القدس بأكملها سنة 135، وبنى بعد ذلك مكانها مدينة كافرة تسمى إليا كابيتولينا، ومن هذا الاسم اللاتيني تكون أحد أسمائها العربية إلينا. ومنع اليهود من الظهور حول القدس تحت تهديد الموت. وأصبحت المنطقة حول المدينة خرابا مهجورا. مارس الرومان نوعا من "التطهير العرقي" من أجل إبعاد اليهود عن القدس عاصمتهم المركزية، وكانوا مصممين على منع وقوع مزيد من الثورات اليهودية إلى درجة أنهم تخلوا عن تسمية المنطقة يهودا، وذلك من أجل فصلها عن اليهود تماما. غيّر الرومان اسم يهودا إلى اسم "فلسطين" المأخوذ من اسم الشعب القديم البائد المعروف بالفلسطينيين. أصبحت يهودا خرابا، وفر الناجون شمالا إلى الجليل أو خارج المنطقة كليا. ومنع الرومان الوثنيون - وكذلك المسيحيون فيما بعد - اليهود من دخول القدس ما عدا يوما واحدا في السنة، اليوم التاسع من شهر آب الذي يصادف يوم حداد يهودي شامل.

الفصل الثالث
يهودية الأحبار، التلمود وعالم القرون الوسطى

من يهودية التوراة إلى يهودية الأحبار

لقد دمر الرومان هيكل القدس، لكنهم لم يدمروا الديانة اليهودية ولا اليهود. والحقيقة أنه بالرغم من أن ضياع الهيكل الثاني سبّب ألما شديدا، مثل ما حدث في أثناء ضياع الهيكل الأول، فإن النتيجة النهائية من جراء الحرقتين كانت تقوية الشعب اليهودي وتقوية دينه مع دخول اليهود فترات النفي التي تستمر آلاف السنين. ومع التدمير الثاني (للهيكل) لم تعد الديانة مرتكزة على نظام تقديم القربان تحت إشراف كهانة وراثية، ولم تعد كذلك محصورة في مدينة مقدسة معينة ولا في الأرض المقدسة. ومن الآن فصاعدا فإن التوحيد الإلهي والنظام الأخلاقي الذي يتطلبه الإيمان بهذا التوحيد سيتم تحقيقهما في نظام ديني تقوم فيه الدراسة والعبادة الجماعية والفردية محل تقديم القرابين، وتقوم فيه الأعمال الصالحة بتعزيز الجماعة التي كان يعززها نظام سياسي في السابق. أخذ الحاخامات المتفقهون مكان الكهان الوراثيين كزعماء الجماعة وأخذ البيت والمعبد مكان الهيكل المقدس كمركز الشعائر والحياة الروحية. جاءت هذه التغييرات البنيوية المهمة بعد الانتقال التأريخي من اليهودية التوراتية إلى اليهودية الربانية (الحاخامية) لكن، بالرغم من هذه التغييرات، فإن صميم الديانة اليهودية ظل دائما كما هو. لقد حصر التوحيد الإلهي المطلق المعتقدات الدينية اليهودية، وبقيت الحياة اليهودية دائما خاضعة للتوراة – التعاليم والأوامر الإلهية ولكن، من الآن فصاعدا فإن الديانة اليهودية تكون دائما نظاما دينيا سهل الانتقال أكثر مما كانت عليه خلال الفترة التوراتية. وكانت الأشياء الوحيدة المقدسة فعلا في المنفى والشتات هي اللفائف وكتب التوراة.

المشناة والتلمود

إن الديانة اليهودية الربانية كانت تتطور على مهل في أرض إسرائيل عدة قرون في الفترة التي كان فيها الهيكل قائما، وكان تطورها موازيا للعبادة القديمة التي كانت تقام في المعبد. فبالإضافة إلى الكتابات المقدسة – التوراة وكتب الأنبياء ومختلف الكتب الأخرى مثل المزامير، والأمثال، والأخبار، ولفائف أخرى – قد تطور رصيد من الحكمة الشفاهية في المجتمع، وانتقل هذا الرصيد من حكيم إلى تابعه، وذلك عبر أجيال كثيرة. وبقي هذا الجمع الهائل من الحكمة شفهيا مئات السنين؛ إلا أن كثيرا منه قد جمع ودون في أثناء آثار محرقة انتفاضة باركوخبا الفاشلة. تسمى هذه المجموعة من التقاليد المشناة وتشتمل في معظمها على أقوال وأفعال كبراء حكماء اليهود عدة قرون، وتعني اللفظة العبرية "مجموعة الدراسة". جمع المشناة ودون كتابها حوالي عام 200 ميلادي وهي مصنفة في

ستة من كتب التقليد التي تحوي آراء الحكماء فيما يتعلق بكيفية تطبيق التوراة على الأفعال الإنسانية في الحياة اليومية. كتبت المشناة باللغة العبرية وكل كتاب أو صنف منها يتناول ظاهرة مختلفة من الحياة. "زراعيم" (بذور) تتحدث عن القضايا الفلاحية والعبادة اليومية ويتناول "موعديم" (الأعياد) الطقوس المطلوبة في السبت والمهرجانات اليهودية والصيام. يتناول كتاب نشيم (النساء) قانون الزواج وحقوق النساء ومسؤوليتهن وقوانين الطلاق والعهود. يتناول كتاب "نزكيم" (الأضرار) أنواعا مختلفة من القانون المدني والجنائي مع إرشادات أخلاقية شعبية. يسجل كتاب "قداشيم" (المقدسات) كثيرا من الطقوس الرسمية لهيكل القدس، ويتناول كتاب "طهروت" (الطهارة) مختلف أوجه الطهارة المتعلقة بالجسد والطقوس والطعام. جمعت كتب المشناة في فلسطين واستنسخت فيها ثم أرسلت إلى كل أنحاء العالم اليهودي. وأصبحت الأداة الشائعة لتطبيق القانون الإلهي الوارد في التوراة على الحياة اليومية لليهود أينما تواجدوا.

أصبحت المشناة النص الأساسي الذي يدرسه اليهود بإخلاص جنبا إلى جنب مع التوراة. ويعتبر أعلى شرف أن يكون الواحد طالبا عند أحد الحكماء، حيث يرتكز منهج الدراسة على معرفة التوراة ومناقشة المشناة. إن العديد من أجيال مناقشات المشناة، وبالخصوص في كل فلسطين وفي الجاليات اليهودية القديمة في بابل (التي تحكمها الآن أسرة فارسية مختلفة)، قد وسعت كثيرا موضوعات المناقشة. وبالفعل، قد بدأ مركز العالم اليهودي يتحول ثانية تجاه بابل (العراق الحالي) بعد تدمير الرومان ليهودا كما كان التحول إليها بعد تدمير الهيكل الأول قرونا سابقة. وما زال أعضاء الجالية اليهودية القديمة في العراق يعتبرون أنفسهم بابليين إلى يومنا هذا بالرغم من أن البابليين أنفسهم انهزموا وطردوا من السلطة قبل ما يزيد عن 2500 سنة.

مع زمن جمع المشناة سنة 200 ميلادي تغيرت لغة اليهود من العبرية إلى الآرامية القريبة منها، والتي هي اللغة المشتركة لمجمل الشرق الأوسط في ذلك الوقت. استمر معظم اليهود في معرفة العبرية والصلاة باللغة المقدسة لكن اللغة اليومية لمعظم يهود الشرق الأوسط هي اللغة الآرامية. أصبحت إذن الآرامية لغة التعليم اليهودي. استمر الحكماء اليهود وأتباعهم مدة قرنين أو ثلاثة في المناقشة وتطبيق قواعد المشناة وقوانين التوراة وازداد حجم هذه المناقشات حتى وصل مجلدا ضخما من التقليد الشفهي الذي يحفظه الإنسان بصعوبة شديدة في ذاكرته. وعندما أصبحت هذه الثروة الثقافية الشفهية واسعة جدا ومنيعة الحفظ حتى على الموهوبين دونت منها نسختان في النهاية. دونت نسخة في فلسطين حوالي بداية القرن الخامس ودونت الأخرى في بابل بعدها بمئة سنة علي وجه التقريب. نظمت النسختان بحسب المشناة وتحتويان علي كثير من المادة المشتركة، لكن التدوين البابلي أكثر شمولية وكمالا. وتسمى هاتان المدونتان، المكتوبتان بالآرامية "الغماراه" أو "الختام" لأنها تشكل تعليقات وتفسيرات إضافية على المشناة. وتشكل المشناة والغماراه معا التلمود أو "كتاب التعليم" المميز لليهودية الربانية. يعتبر التلمود بحرا واسعا للتقليد اليهودي الذي يطبق قوانين التوراة بتفصيل معقد على أوجه الحياة اليومية لليهودي من طقوس وشعائر والحياة المدنية والاجتماعية والشخصية والأخلاقية.

لقد قارن بعض العلماء التلمود اليهودي بالحديث الشريف في الإسلام. وبالفعل يوجد عدد من أوجه الشبه بينهما بالرغم من وجود فوارق مهمة بينهما أيضا. لقد ظل كلاهما شفهيا عدة أجيال قبل تدوينهما. وحفظ كلاهما عددا كبيرا من المعلومات حول طريقة الحياة بحسب الإرادة الإلهية التي لم تكن بينة بشكل مباشر في نصوص التوراة أو في القرآن. كلاهما يعتبر ملزما بالرغم من أنهما ليسا مثل نص الكتاب المقدس. كلاهما يوفر أسماء الأشخاص الذين نقلوا أو شاهدوا التقليد. يشكل مصدر التقليد أحد أهم الفروقات بينهما. فبالنسبة للحديث فإن مصدر كل التقليد الملزم هو النبي. أما بالنسبة للتلمود فإن كبراء حكماء اليهودية هم مصادر التقليد الذي يقال عنه بأنه يعود في النهاية إلى جبل سيناء. تعتبر أقوال النبي محمد من الوحي الإلهي في الديانة الإسلامية وكذلك الحال بالنسبة للتلمود في الديانة اليهودية وبالتالي فهي ملزمة، لكن النظام الديني لكل منهما لا يقبل سلطة التقليد للآخر. ولا يجب أن يكون هذا غريبا نظرا لأن كل نظام ديني نشأ مستقلا عن الآخر.

لكن بالرغم من الفوارق، فإن العديد من أوجه الشبه بين التلمود والحديث أنتجت بالطبع أنظمة دينية متشابهة في عدد من التركيبات والظواهر. فالديانة اليهودية والديانة الإسلامية، مثلا، محكومتان في الغالب من قبل نظام يستهدف تنظيم السلوك البشري. يسمى ذلك النظام في الديانة اليهودية "هالاخاة" بينما يسمى في الديانة الإسلامية "الشريعة". بالرغم من أن الكلمتين ليستا مرتبطتين لغويا، فإنهما تعطيان المعنى نفسه: فالشريعة تعني "الطريق إلى مكان الماء" أو "الطريق إلى المنبع"، بينما تعني هالاخاة "طريق السير" أو "شيء للسير عليه": كلاهما نظام حكم للسلوك البشري مستمد من الله عن طريق النصوص المقدسة والتقليد، ولا يعلِّمان تماما السلوك نفسه لكنهما يطلبان أن نتخذ الاحتياط لنعيش حياتنا بحسب الإرادة الإلهية. يمتد هذا من الطعام الذي نضعه في أفواهنا، وإلى الكلمات التي نسمح لها بالخروج منها، وكيف نعامل أهلنا وأصدقاءنا والغرباء، وكيف نمارس الأعمال بطريقة عادلة، وكيف نصلي... وهلم جرا. لا يجب أن نستغرب من مدي التشابه والفروقات. لقد كرّس كل من اليهود والمسلمين أنفسهم قروناً عديدة، وسخروا مجهودات جبارة ومضنية للبحث عن الإرادة الإلهية في الحياة اليومية البسيطة لبني البشر. ولا بد أن تختلف خصوصيات كل نظام، لكن الرغبة والمقصود يظلان واحدا.

الديانة اليهودية في الجزيرة العربية وظهور الإسلام

دخل اليهود إلى الجزيرة العربية، بحسب المصادر الإسلامية، واستقروا هناك منذ زمن موسى. لقد ورد في كتاب الأغاني المشهور لأبي الفرج الأصفهاني عدد من الأساطير التي تفترض الأصول التأريخية ليهود الجزيرة العربية. تقترح إحدى هذه الأساطير أصول القبيلتين اليهوديتين الكبيرتين التي عرفهما محمد في المدينة. "يسمى بنو قريظة وبنو النضير الكاهنين لأنهما منحدران من الكاهن بن هارون بن عمران (في العبرية:عمرام) أخي موسى بن عمران، صلوات الله على محمد وآله وعليهما جميعا. وقد استوطنت القبيلتان بالقرب من يثرب (اسم المدينة قبل الإسلام) بعد موت موسى عليه السلام"[20]. ويقترح حديث

آخر أن موجة ثانية من اليهود هاجرت إلي الجزيرة العربية بعد غزو الرومان يهودا.

> "واستولى الروم على كل بني إسرائيل في سورية وداسوا عليهم بأقدامهم وقتلوهم وتزوجوا نساءهم. فلما غزتهم الروم في سورية، فر بنو النضير وبنو قريظة وبنو بهدال إلى بني إسرائيل المقيمين في الحجاز. ولما غادروا بيوتهم أرسل ملك الروم وراءهم لإعادتهم لكن ذلك كان مستحيلا عليه بسبب الصحراء بين سورية والحجاز ولما وصل المطاردون الرومان التمر ماتوا من العطش فلذلك سمي ذلك المكان بتمر الروم الذي هو اسمه إلي يومنا هذا".

وليهود اليمن في جنوب الجزيرة العربية بعدُ تقاليد أخرى عن الأصول اليهودية. يرد أحد هذه التقاليد أصول يهود اليمن إلى اتحاد الملك سليمان مع ملكة سبأ المعروفة في المصادر الإسلامية باسم بلقيس. أنجب سليمان وبلقيس ولدا، بحسب الأسطورة، ورغب سليمان أن يتربى الطفل على الطريقة اليهودية الصحيحة، فلذلك بعث اليهود من القدس إلى أرض بلقيس حيث استقروا هناك وبنوا قلعة قرب صنعاء*.

مهما تكن أصولهم، فمن الواضح أن جالية يهودية مستقرة جيدا كانت تعيش في الجزيرة العربية مع ولادة محمد، تماما كما كان المسيحيون يعيشون في شبه الجزيرة. لكن ليس واضحا تماما نوع اليهود الذين كانوا يعيشون في الجزيرة العربية. تشير الأدلة أنهم كانوا يمارسون شكلا من الديانة اليهودية التي لا تمثل دائما مقاييس ومعايير الديانة اليهودية الربانية كما نعرفها. إن الآية القرآنية الواردة سابقاً التي تشهد أن بعض يهود المدينة، على الأقل، يعتبرون عزيراً ابن الله، هي مثال على الأفكار غير التقليدية التي تسربت إلى معتقدات يهود الجزيرة العربية. وبعض الإشارات القرآنية الأخرى إلى معتقدات غريبة تعطي دليلا إضافيا علي الممارسة والمعتقد غير التقليدي. ورد في سورة المائدة، على سبيل المثال (5: 64): "وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدَيهِمْ وَلُعَنُوا بِمَا قَالُوا". يبدو أن القرآن في هذه الآية يرد على تفسيرات اليهود حول نص التوراة الذي يندب تدمير الهيكل الأول. ولقد ورد في مقطع من سفر المراثي (مراثي إرميا) (2: 3) في التوراة أن الله "رد يمينه في حضور العدو". هذا المقطع تعبير شعري يدعي أن إرادة الله هي التي أمرت بتدمير القدس على يد البابليين برفضها الدفاع عن المدينة لصد الغزاة. إن الله قد عاقب إسرائيل برد يمينه[22]** من الدفاع عن القدس. لا يوحي هذا المقطع بأي حال من الأحوال أن الله عاجز أو ضعيف، لكن بالأحرى إن الله اختار بكل بساطة منع الحماية الإلهية.

---

* أنظر كذلك: New by; p 33; Reubn Aharoni; Yemenite Jewry: Culture and Literature [Bloomington; Indiana: Indiana University Press; 1986]

** لفظة "يمين الله" (عبري : بمينو) هى لغز لقوة الله وقدرته في التوراة العبري ولا تعني بأن اليهود يحسدون الله

إن تفسير هذا المقطع في الكتاب اليهودي من المدراش المسمى مراثي رباه (آخَر 2: 6) يقول: "غلت يمين الله*. لقد حددت نهاية لغل يميني. عندما أنقذ أولادي (بني إسرائيل) سأخلص يميني كما قال داود (في الزبور 60: 7) لكي يكون ممكنا إنقاذ أولئك الذين تحبهم أطلق يمينك وأجب دعوتي". يقترح هذا التفسير مجازا لا حرفيا أن الله غل يمينه عن قصد، لكي يسبب في تدمير القدس كعقاب على ذنوب إسرائيل. ليس في هذا التفسير أي شيء غير مقبول لدى الديانة اليهودية أو لدى الديانة الإسلامية. لكن تفسيرا آخر في مجموعة من النصوص المرفوضة من قبل الديانة اليهودية تورد التصريح التالي: "قال لي الحاخام إسماعيل: تعال معي وسأريك يُمنى الموجود المطلق (أحد الأسماء اليهودية لله) التي غلت وراءه وذلك بسبب تدمير الهيكل"**. إن التفسير الأول يفهم غل اليد الإلهية كمجاز للرفض الإلهي لحماية القدس بسبب ذنوبها. والتفسير الثاني يتجاهل الاستعارة ويدعي بكل صراحة أن يد الله عاجزة أو لا فائدة فيها بسبب خراب هيكل القدس. فالتفسير الأول مقبول لدى الديانة اليهودية بينما الثاني ليس مقبولا. الحقيقة أن التفسير الثاني موجود في كتاب (حانوخ) كان قد رفض من قبل التقليد اليهودي. ويذم القرآن ما كان يبدو أنه التفسير الأخير، ولا بد أنه كان ينعم بعدد من الأتباع من ضمن يهود المدينة في زمن النبي.

لماذا يحتمل أن اليهود الذين عاشوا في التيه أن يبالغوا فوق الحدود المقبولة في الإيمان اليهودي في المدينة؟ الجواب هو أن عزلة الجزيرة العربية توفر بشكل منتظم ملاذا للذين يبحثون عن الحرية من الاضطهاد. لدينا معلومات، مثلا، أن الجماعات المسيحية الأولى وجدت ملجأ من المضايقات الرومانية في مختلف مناطق صحراء الجزيرة العربية، وقد نجت جماعات لاحقة من الإجبار العقائدي للإمبراطورية البيزنطية الأرثوذكسية في مأمن شبه الجزيرة العربية. كان هؤلاء من المسيحيين غير الأرثوذكسيين الذين بحثوا عن الأمان في الجزيرة العربية من أجل أن يعيشوا بحسب معتقداتهم دون إزعاج. وبالرغم من أننا نملك عن يهود هذه الفترة وثائق أقل من تلك التي نملكها عن المسيحيين، يحتمل جدا أن الجماعات اليهودية الهامشية قد قامت بمثل ما قامت به الجماعات المسيحية من أجل الإفلات من النظام اليهودي القائم، وأن جماعة أو أكثر قد استقرت في المدينة.

ألقى القرآن والسيرة النبوية بعض الضوء المهم على يهود المدينة والديانة التي كانوا يمارسونها. قد يبدو غريبا عند بعضهم معرفة أن يهود المدينة قد شجعوا في الواقع بعض وثنيي العرب وربما كثيرا منهم علي اتباع محمد والدخول في الإسلام. لقد أورد كاتب السيرة النبوية الكبير محمد بن إسحاق هذا الحديث:

---

* لفظة "يمين الله" (عبري : يمينو) هي لغز لقوة الله وقدرته فى التوراة العبري ولا تعنى بان اليهود يجسدون الله

** ترجمة النص بالعبري

"حدثنا عاصم بن عمر بن قتادة عن رجال من قومه قالوا: قال رسول الله عندما لقيهم: "من أنتم؟" قالوا: "من الخزرج" (قبيلة من المدينة). "هل أنتم في حلف مع اليهود؟" قالوا: نعم. قال: "هلا جلستم لأحدثكم؟" قالوا: "أجل" فجلسوا إليه ودعاهم إلى الله وشرح لهم الإسلام، وقرأ عليهم القرآن. قالوا: "إن مما دعانا إلى الإسلام، مع رحمة الله تعالى وهداه ما كنا نسمع من رجال يهود. كنا أهل شرك وأصحاب أوثان، وكانوا أهل كتاب عندهم علم ليس لنا، وكانت لا تزال بيننا وبينهم شرور. فإذا نلنا منهم بعض ما يكرهون قالوا لنا: إنه تقارب زمان نبي يبعث الآن نقتلكم معه قتل عاد وإرم. فكثيرا ما نسمع ذلك منهم". فلما تحدث رسول الله مع القوم قال بعضهم لبعض: "والله إن هذا لهو النبي الذي كانوا يتوعدوننا به، فبادروا إليه قبلهم وأجابوه حين دعاهم، فآمنوا به ودخلوا في الإسلام"*.

يسجل هذا الحديث المهم انتظار اليهود لمشيح (المسيح المنتظر)، منقذ يشيرون اليه بالنبي. بالرغم من أن اليهود لم يقصدوا تشجيع جيرانهم العرب من الوثنيين ليصبحوا مسلمين، إلا أن تأثيرهم الديني في المدينة خلق بيئة جعلت عرب ما قبل الإسلام منفتحين على فكرة نبي عربي. وكون محمد أهلا بهذا الدور واضح من النجاح الباهر الذي لقيه في المدينة.

حفظ ابن إسحاق حديثا آخر يلقي ضوءا أكثر على نظرة اليهود لمحمد من حديث: سلمة بن سلامة بن وقش – وكان سلمة من أصحاب بدر – قال (كان لنا جار من يهود في بني عبد الأشهل؛ قال فخرج علينا يوما من بيته حتى وقف على بني عبد الأشهل، قال سلمة وأنا يومئذ أحدث من فيه سنا، عليَّ بردة لي، مضطجع فيها بفناء أهلي – فذكر القيامة والبعث والحساب والميزان والجنة والنار، قال فقال ذلك لقوم أهل شرك أصحاب أوثان لا يرون أن بعثا كائن بعد الموت، فقالوا له ويحك يا فلان أوترى هذا كائنا، أن الناس يبعثون بعد موتهم إلى دار فيها جنة ونار يجزون فيها بأعمالهم؟ قال نعم والذي يحلف به، ويود أن له بحظه من تلك النار أعظم تنور في الدار، يحمونه ثم يدخلونه إياه فيطيعونه عليه بأن ينجو من تلك النار غدا، فقالوا له ويحك يا فلان فما آية ذلك؟ قال نبي مبعوث من نحو هذه البلاد – وأشار بيده إلى مكة واليمن – فقالوا: ومتى تراه؟ قال فنظر إلي وأنا من أحدثهم سنا، فقال إن يستنفد هذا الغلام عمره يدركه. قال سلمة فوالله ما ذهب الليل والنهار حتى بعث الله محمدا رسوله – صلى الله عليه وسلم – وهو حي بين أظهرنا، فآمنا به، وكَفَر به بغيا وحسدا. قال فقلنا له ويحك يافلان ألست الذي قلت لنا فيه ما قلت؟ قال بلى ولكن ليس به)[26].

---

* السيرة النبوية (بيروت: بدون تاريخ) جيوم 791-891 المترجم: هذا النص ليس نقلا حرفيا من المصدر.

كان يهود المدينة يعلمون عددا من المعتقدات الدينية المشتركة بين اليهودية والإسلام. تشتمل هذه المعتقدات على يوم الحساب والجنة والنار في الآخرة؛ وكان بعضهم على الأقل، يتوقع قدوم شخصية نبوية تنذر بيوم الحساب. ومع هذا، لما قدم محمد إلى المدينة، رفض معظم اليهود الاعتراف بنبوته. كانت هناك بعض الاستثناءات البارزة مثل عبد الله بن سلام المشهور، لكن يهود المدينة كجالية امتنعوا بأغلبية ساحقة أن يصبحوا مسلمين والتخلي عن تقليدهم القديم. ونظرا لنجاح محمد الكبير والسلطة الرهيبة التي يتمتع بها، ومنها نزول القرآن، فكيف يمكن أن يحدث هذا؟

يبدو من المستحيل استعادة الأسباب الدقيقة لرفض اليهود كجالية اتباع محمد، ومن الصعوبة بمكان استخراج أسباب معينة من المصادر المتاحة لنا. ذكر القرآن والسيرة كيف رفض اليهود بعناد أن يؤمنوا بنبوته، ولم ترد أسباب معينة غير العناد. وبالتالي فإن التخمين هو الطريق الوحيد للتعرف إلى تلك الأسباب. ربما لم تنطبق أوصاف المنتظر لدى اليهود على محمد، كما يقترح الحديث المذكور أعلاه. ويتضح من القرآن كذلك أنه بالرغم من أن الوحي الذي كان محمد يتلوه في مجتمع المدينة يشبه وحي التوراة التي يملكها اليهود، إلا أنهما مختلفان في التفاصيل بما فيه الكفاية لجعل اليهود يشككون في أصالته. ومما لا شك فيه أن القرآن أنزل باللسان العربي في محيط ثقافة عربية، بينما أنزلت التوراة باللسان العبري في محيط ثقافي إسرائيلي؛ يحتمل أن يفسر هذا الفرق في الإسلوب كثيرا من الاختلاف. لكن هذا التضارب كان كافيا على ما يبدو بالنسبة لليهود الذين كانوا قد ملوا حتى الآن مما اعتبروه التشويهات المسيحية لمعنى (التوراة) في العهد الجديد والتفسيرات المسيحية.

وإذا كان اليهود يستحقون الثناء أم لا على إصرارهم بالالتزام بتقليدهم القديم لا بد أن يظل أمرا يعتمد على الرأي. يكفي القول منا إن محمدا ويهود المدينة لم يجدوا أرضية مشتركة في خاتمة المطاف. ولقد نزلت بعض الآيات القرآنية التي تندد يهود المدينة للرد على الاختلاف التأريخي الحقيقي وعلى الجدالات والعداء الذي نشب بينهما. قام بعض المفسرين والعلماء المسلمين الآوائل بتأليف مجموعة من الكتب عن أسباب النزول التي ربطت بين الآيات القرآنية والأحداث التأريخية في حياة النبي. لقد ذكر هؤلاء العلماء المسلمون عدد الآيات والسور التي تصف اليهود بشكل سلبي، والتي نزلت خصيصا في مناسبة نزاع محمد معهم. ووردت هذه الآيات والسور للرد على أحداث معينة إما للتنديد بسلوك بعض اليهود في المدينة، وإما للتخفيف من الأذى والغضب الذي شعر به محمد من جراء ذلك. فنجد على سبيل المثال في سورة المائدة (5: 82) "لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى..." تبين هذه الآية حقيقة ألا وهي أن محمدا لم يعش بين المسيحيين وبالتالي فإنه لم يعانَ من رفضهم كما عانى من رفض مشركي مكة ويهود المدينة. ولم يدخل المسلمون في نزاع مفتوح مع المسيحيين في الجزيرة العربية ومع الإمبراطورية البيزنطية إلا بعد موت محمد. وتندد أيضا سورة المائدة (5: 49)، على سبيل المثال، باليهود لمحاولتهم "أن يفتنوه عن بعض ما أنزل الله من القرآن". وقد طبقت بعض هذه الآيات خطأ على اليهود كلهم في الأجيال اللاحقة مساهمة بالتالي في استمرار مقدار من التفكير المسبق ضد اليهود بين المسلمين بشكل عام.

لم يخلد ولم يعمم النزاع القصير بين النبي ويهود المدينة في القرآن فقط بل أيضا في الحديث وفي السيرة النبوية، وقد شكل الأرضية الأولى لتحديد معاملة اليهود في الإسلام. ولقد تلقي النبي سورة براءة (9: 29) في أواخر حياته التي جاء فيها: "قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ". فمن جهة قد أكدت أوجه التشابه بين الكتابات المقدسة الإسلامية واليهودية والممارسات الدينية بأن اليهود (والمسيحيين) يعتبرون أقليات دينية تضمن لها الدولة الإسلاميةحماية مطلقة لحقوقها الدينية والاقتصادية. ورفض اليهود (والمسيحيين) في النهاية اعتناق الإسلام قد أدى بمكانتهم الاجتماعية في المجتمع الإسلامي أن تبقى دائما في وضع موات. ذمتهم مشروطة بدفع الجزية، وقبول وضع ثانوي في المجتمع الإسلامي. ومع هذا، فإن وضع الأقليات الدينية المحمية (الذميين) كان بالتأكيد مرضيا إن لم يكن أفضل من وضع الأقليات الدينية في أي نظام ديني أو سياسي معاصر لذلك الزمن. وسنرى قريبا كيف ازدهرت الحياة اليهودية في كثير من مناطق العالم الإسلامي.

الفتوحات الإسلامية واليهود

لم يسيطر اليهود في أي مكان على جيوش أو دول في فترة الفتوحات الإسلامية بخلاف المسيحيين والزرادشتيين. كان اليهود يعيشون في الأماكن التي يقطنون فيها كأقليات دينية مع بعض المعوقات الاجتماعية والدينية، والاقتصادية المفروضة عليهم من قبل الدولة والدين الرسمي للدولة. وبالتالي لما تقدمت الجيوش الإسلامية ضد البيزنطيين والفرس فإنها لم تهاجم اليهود مباشرة، بالرغم من أن بعض اليهود اختاروا الالتحاق بمضيفيهم في الدفاع ضد الغزوات. لكن اليهود اختاروا في غالبية الأحوال إما عدم مقاومة المسلمين أو التعاون النشيط معهم. فقد ساعد اليهود في حمص على منع الجيش الروماني من الدخول للدفاع عن المدينة. وساعد اليهود المسلمين على اختراق دفاعات مدينتي الخليل وسيزاريا (قيساريا: جنوب حيفا). وقاموا بثورة مسلحة في أسبانيا ضد حكامهم المسيحيين، وعينوا من قبل المسلمين في محميات عسكرية لإبقاء المدن الأسبانية تحت السيطرة الإسلامية[27]*.

كان اليهود في حال أحسن عند المسلمين مما كانوا عليه عند المسيحيين الرومان ويبدو أن أحوالهم كانت أفضل مما كانت عليه عند الفرس الزرادشتيين. لكن عالم العصور الوسطى لم يكن يشارك في القيم الغربية الحديثة في التعددية والمساواة الدينية. كان اليهود أحرارا في ممارسة دينهم دون تدخل، لكن يطبق عليهم عدد من القيود التي قننت في ميثاق عمر (العهدة العمرية)[28]**. ففي بعض العصور الإسلامية، لم يسمح لهم القيام بأنشطة دينية عمومية، أو بناء معابد أو إصلاح الموجود منها إلا بإذن خاص من الحاكم ولا يسمح

* Norman Stillman (1978) *The Jews of Arab Lands*, Philadelphia: Jewish Publication Society 22-28

** Stillman 157-158

لهم أيضا برفع أصواتهم في أثناء الصلاة بطريقة تلفت انتباه المارة. إضافة إلى هذا فإن اليهود (والمسيحيين) يمنعون من حمل السلاح ومن ركوب الخيول المسرجة أو من بناء بيوت أكبر من بيوت المسلمين. وكانوا دائما مطالبين بإظهار الاحترام للمسلمين كالقيام من مكان جلوسهم إذا رغب المسلمون في الجلوس فيه، والنزول من على بغالهم وحميرهم عند المرور بأحد المشاة من المسلمين. ولقد منع اليهود أيضا من الوظيفة الحكومية ومن المراكز العمومية الحساسة أو من ضرب مسلم.

هذا وقد خضع اليهود لكثير من هذه القيود خصوصا عندما كانت الحياة مستقرة على الصعيد الاجتماعي، والاقتصادي والسياسي. لكن إذا تقرر أن اليهود انتهكوا واجبهم في قبول وضع ثانوي في المجتمع الإسلامي (كبناء معبد جديد، مثلا، واتخاذ وظيفة عمومية، أو الفشل في إظهار احترام كافٍ للمسلمين) فقد كان بالإمكان سحب وضع الذمية (الحماية) منهم، ويبقى اليهود دون حماية في أمام العامة. وبالإمكان ملاحظة أمثال الطريقة التي عمل بها النظام في حالة اليهودي المشهور شموئيل بن يوسف هاليفي، المعروف أيضا في التأريخ اليهودي بشموئيل هنغيد (الأمير) وفي المصادر العربية بإسماعيل بن نغريلا. كان حاخاما وتولى الوزارة وحتى قيادة الجيش لحبوس وابنه باديس من ملوك غرناطة المسلمين. منح باديس إسماعيل سلطة أكثر فأكثر كلما تقدم الملك في السن، ومارس إسماعيل سلطته وتأثيره في المملكة بحذر وحكمة كبيرة. فلما مات إسماعيل سنة 1055 عين ابنه يوسف مكانه. وبالرغم من أنه كان موهوبا بشكل غير عادي مثل أبيه إلا أن يوسف كان متكبرا ومكروها. ولقد ساهم سلوكه الخارج عن الذمية إلى سقوطه واغتيل في النهاية سنة 1066 وذبحت الجالية اليهودية في غرناطة. فمن المنظور التقني، فإن كلا من يوسف وأبيه قد انتهكا الميثاق في قبولهما وظيفة سامية في الدولة وممارسة السلطة على المسلمين. لقد أهملت هذه الحقيقة في الوقت الذي كان إسماعيل يتصرف فيه بتواضع نادر عندما كانت المملكة على العموم سعيدة. لكن عندما ظهرت الضغوط ورفض يوسف أن يتواضع نقضت ذميته فقتل ودمرت جاليته.

يحتمل أن تكون الحياة بالنسبة لليهود أفضل في ظل الإسلام أكثر من أي نظام سياسي أو ديني آخر في فترة ما قبل العصر الحديث. ولكن، بالرغم من ذلك فإنها كانت غير مستقرة ومحفوفة بالمخاطر في بعض الأحيان، وكان اليهود والأقليات الدينية الأخرى يعرفون دائما أنهم مواطنون من الدرجة الثانية. وتعتبر مكانة المواطنة من الدرجة الثانية غير مقبولة قانونيا في الديمقراطيات الحقيقية الحديثة، كما يعتبر الشغب الدوري والمذابح ضد اليهود والمسيحيين في عصور وسطى العالم الإسلامي غير مقبولة.

ومن الواضح أن الوضعية الدنيئة الثانوية للأقليات الدينية في العالم الإسلامي كان لها تأثير على التحويل إلى الديانة الإسلامية لأن معظم المسيحيين والزاردشتيين واليهود الذين كانوا رعايا الإمبراطوريات الإسلامية اعتنقوا الإسلام خلال القرون القليلة الأولى بعد الفتح. ويمكن التغاضي بسهولة عن المكانة الجيدة نسبيا التي كان اليهود والأقليات الدينية

الأخرى يتمتعون بها في ظل الإسلام خلال فترات زادت فيها فرص الحرية الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والاحترام لكن بشكل مختلف عن الحرية التي يحظى بها اليهود اليوم في ظل ديمقراطية حقيقية عصرية.

انتصار الربانية في ظل الخلافة العباسية

كانت الجاليات اليهودية في الجزيرة العربية أقلية صغيرة جدا في العالم اليهودي، ويبدو كما ذكر أعلاه أن ممارستها للديانة اليهودية كانت مختلفة عن الممارسة السائدة عند اليهود. وقد تحول مركز الديانة اليهودية المهم من فلسطين إلى بلاد ما بين الرافدين. وسبب هذا التحول هو أن الإمبراطورية الفارسية كانت أكثر ترحابا لليهود من الإمبراطورية المسيحية البيزنطية. وكان يمثل الجاليات اليهودية داخل الإمبراطورية الفارسية (في البلاط الفارسي) يهودي يحمل اللقب الرسمي "رأس الجالوت" أي رأس المنفى. وكان لليهود أيضا أكاديميات تعليم كبيرة خصوصا في مدينتي سورا وبومبديثا قريبا من الموقع الذي أصبح فيما بعد بغداد. يترأس كل أكاديمية أكبر علمائها الذي يحمل لقب غؤون. ولقد تولى الغؤونيم في النهاية زعامة العالم اليهودي بحكم علمهم وحكمتهم.

إن تكوين وتنظيم الجالية اليهودية في بابل لم يتغير تغيراً ذا دلالة مع الفتح الإسلامي، لكن القوة النسبية لهذه الجالية تزايدت بشكل خيالي عندما أسست الإمبراطورية العباسية عاصمتها في بغداد سنة 762. تقع بغداد، عاصمة إمبراطورية إسلامية ممتدة من نهر الهندوس إلى المحيط الأطلسي، بالضبط وفيها مركز أكبر جالية يهودية. ولهذا اتخذت أدوار رأس الجالوت والغؤونيم المحليين مركزا شاملا في كل العالم اليهودي. يجلس رأس الجالوت في بلاط الخليفة ويبعث الغؤونيم بتعليقاتهم الرسمية حول تفسير القانون اليهودي المعروفة بتشوفوت (Teshuvot) إلى الجاليات اليهودية في كل الإمبراطورية. وتعتبر هذه التشوفوت "أجوبة" (فتاوى) على الأسئلة التي ترد إلى الحكماء من قبل الحاخامات المثقفين الذين يلجؤون إلى ما يعادل "محكمة عليا" للقانون اليهودي في بابل/العراق. وأصبح الغؤونيم أعلى سلطة في القانون اليهودي (الشريعة) الذي يشتمل، كما هو الحال في الإسلام، على كل أوجه الحياة اليهودية. وتعتبر السلطة الدينية الغؤونية السلطة العليا لأنها مبنية على العلم بالقانون الإلهي وعلى تفسيراته. ولقد اعتمدت أحكامهم على التلمود وعلى التفسيرات التلمودية للتوراة. كانت هذه الفترة، فترة القوة العباسية الكبرى المصادفة للمركزية الكبري لسلطة الغؤونيم هي التي احتل فيها التلمود وتفسيراته للتوراة السلطة المركزية للحياة اليهودية.

يبدو أنه من المستحيل أن يحتل التلمود هذه المركزية في الديانة اليهودية لولم تكن مكانة الغؤونيم مرتبطة بالقوة العالمية وشرف العراق العباسي. أصبحت عاصمة الإمبراطورية تحتل مكانة في غاية الأهمية لدى اليهود إلى درجة أن أكاديمياتهم الكبرى في سورا وبومبديثا انتقلت في خاتمة المطاف إلى بغداد نفسها، بالرغم من أنها ما زالت تعرف

بأسمائها الأصلية. لقد مكنت وحدة الإمبراطورية العباسية تسهيل نقل الأشخاص والبضائع ورأس المال والأفكار من المركز اليهودي في بغداد إلى معظم العالم اليهودي، وبالفعل فإن حوالي 90 في المئة من يهود العالم آنذاك كانوا يعيشون في العالم الإسلامي. وكان ذلك العالم، أي العالم اليهودي، حرا في إدارة شئونه الداخلية بتدخل قليل من السلطات الإسلامية ما دام اليهود يدفعون ضرائبهم ويعترفون بسيادة الإسلام من خلال بعض التصرفات بعضها مذل شيئا ما. لا يهتم أسيادهم المسلمون كثيرا بما يقوم به اليهود ما داموا يحفظون السلام ويدفعون ضرائبهم (الحسبة أو الجزية) وما داموا ملتزمين بأماكنهم.

من العصر الذهبي إلى الانحطاط

وصلت الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى فترتها الأكثر إنتاجا بين السنوات 900 و1200، وتبعتها الحضارة اليهودية في العالم الإسلامي على المنوال نفسه. تطورت في أثناء هذه الفترة بعض أكبر أعمال الفلسفة اليهودية، والنحو، والقانون وفقه اللغة، وصناعة المعاجم مماثلا للتقدم الكبير لهذه الحقول في العالم الإسلامي. ووجد الشعر اليهودي بالعبرية نهضته أيضا في هذه الفترة وتشبه أوزانه وأسلوبه ومحتواه مثيلاتها في نظيره الشعر الإسلامي العربي.

وفي هذه الفترة أيضا بدأ العراق يفقد السيطرة السياسية للإمبراطورية، وربما ليس غريبا بأن تفقد القيادة اليهودية في بغداد احتكارها أيضا على معظم يهود العالم. إن قيام الدولة الأموية في أسبانيا والدولة الفاطمية في إفريقية ومصر قد جلب معه قيام الجاليات اليهودية التي تعيش في هذه المناطق. وجذب نجاح هذه المناطق النائية الاقتصادي والسياسي العلماء والمثقفين إلى المراكز الجديدة الناشئة.

لم يكن هذا أكثر وضوحا في أي مكان آخر مما هو في أسبانيا حيث ازدهرت الحضارة اليهودية جنبا إلى جنب مع ازدهار العلوم الإسلامية والدنيوية هناك. كان اليهودي حسدي ابن شبروت (ت 975) طبيب خلفاء بني أمية ومستشارهم مثل عبد الرحمن الثالث والحكم الثاني. لم يخدم فقط أسياده المسلمين بامتياز، لكنه أيضاً رعى الفنون والعلوم بين اليهود. فكما أن المسلمين الخلفاء والحكام والشخصيات البارزة لها بلاطاتها التي يدعمون فيها العلوم الإسلامية والدنيوية ويشجعونها، فكذلك تدعم الشخصيات اليهودية والمسيحية البارزة فنانيها ومثقفيها. وقد أدى هذا النشاط إلى انتشار ازدهار كبير للثقافة في كل أسبانيا المسلمة المعروفة بالأندلس في اللغة العربية. إن مجتمع الأندلس والمتفتح نسبيا قد أعيد إلى الوراء، وقضت عليه جيوش شمال إفريقية القادمة لمد يد العون للدفاع ضد "غزوات" المسيحيين الأسبان الذين يدفعون المسلمين باتجاه الجنوب انطلاقا من معاقلهم في الشمال. لقد عانى اليهود من قيود شديدة في ظل الأنظمة الأمازيغية الإسلامية (البربر) وبدأوا في النهاية في التحرك شمالا إلى المناطق التي تغلب عليها المسيحيون حديثا والتي وجدوا فيها، في ذلك الوقت معاملة أفضل.

لقد انعكست أيضا انتكاسة حظ اليهود في أسبانيا على مناطق أخرى من العالم الإسلامي الذي بدأت فيه، مع القرن الثالث عشر، العقلية الإقطاعية القاسية والمسيطرة تأخذ مكان القيم الإنسانية التي كان المجتمع الإسلامي يتميز بها. إنها كانت فترة كان فيها الإسلام في موقف الدفاع. فلقد هجم الصليبيون على الشرق سنة 1098 وظلوا فيه مدة قرنين. وبدأت جيوش استعادة الفتح تتغلب على المسلمين في أسبانيا واستولى النورمان على صقلية الإسلامية وعلى جنوب إيطاليا. وكان المسيحيون الأوروبيون يبحرون عبر الأبيض المتوسط للإغارة وسلب شاطئ شمال إفريقية. وجلبت حشود المغول الخراب للشرق الإسلامي وقضوا في النهاية على الخلافة العباسية سنة 1258.

بدأ الإسلام ينطوي على نفسه في أثناء هذه الفترة المتسمة بالانحطاط السياسي والاقتصادي وبدأ أيضا، من بين أمور أخرى، يقيد حريات وفرص الأقليات الدينية التي تعيش في وسطه. إن الوضع الحقيقي يختلف كثيرا من مكان إلى مكان، لكن الاتجاه العام كان نحو فرض القيود الواردة في ميثاق عمر وحتى الزيادة فيها. ضغط على اليهود (والمسيحيين) للخروج من الخدمة المدنية وأصبحوا منعزلين أكثر فأكثر، وأجبرت بعض الجاليات للعيش في الجيتوهات. وفي بعض الحالات ارتكبت المذابح ضد الجاليات اليهودية والمسيحية. وكما انحط العالم الإسلامي كذلك أيضا انحطت الجاليات اليهودية داخله، وبدأ الإبداع اليهودي في المجال الفكري والثقافي والديني يتحول في اتجاه الجاليات اليهودية في أوروبا. وكان العالم الإسلامي في هذا الوقت بعيدا عن الوحدة، وبالتالي فإن معاملة اليهود كانت مختلفة. وشهدت مناطق مختلفة انتكاسات مؤقتة وكانت الإمبراطورية العثمانية في القرنين الخامس والسادس عشر استثناء بارزا، لكن على العموم، استمرت مكانة اليهود في الانحطاط إلى العصر الحديث.

يهود أوروبا المسيحية

لم يعش في أوروبا في العصور الوسطى المبكرة أكثر من عشرة في المئة من مجموع يهود العالم. كانت أوروبا في ذلك الوقت غير متطورة في الغالب ويفضل اليهود أن يعيشوا في الأماكن المتحضرة جدا. ولكن الوضع الأوروبي تحسن كثيرا مع تقدم العصور المتوسطة وازداد سكانها اليهود تبعا لهذا التحسن. وكلما انحط العالم الإسلامي تحسن العالم الأوروبي المسيحي. لكن الوضع بالنسبة ليهود أوروبا المسيحية ظل غير مستقر. تعتبر الديانة المسيحية نفسها الوريث الطبيعي للديانة اليهودية، ويولع المسيحيون باعتبار أنفسهم "إسرائيل الحقيقية مفترضين بذلك أن اليهود ليسوا أهلا للإسم. وبسبب اعتبار المسيحية نفسها ناسخة لليهودية فإن النظرة المسيحية الذاتية نفسها تتطلب أن يهان اليهود والديانة اليهودية ويصغروا علانية. وأصبح إذاً في غاية الأهمية لليهود الذين يعيشون بين المسيحيين أن يعيشوا في وضع منحط ومهين. هناك شبه واضح بين هذا الوضع ونظرة الإسلام للذمية لكن النظام المسيحي في مجمله أشد قساوة وأكثر اتساقا مع فرض المكانة الثانوية لليهود.

ورغم كل ذلك، يزداد سكان أوروبا من اليهود بانخفاض عددهم في العالم الإسلامي وقد استفاد اليهود من تحسيس الأوضاع الاقتصادية والسياسية الأوروبية في العصور الوسطى المتأخرة. لكن على عكس العالم الإسلامي، فمع تقدم أوروبا المسيحية اقتصاديا، وفكريا، وعلميا فإن معاملتها لليهود لم تتحسن. وعلى عكس العالم الإسلامي أيضا حيث يوجد دائما مكان لليهود في المجتمع الواسع، فإن كثيرا من دول أوروبا المسيحية كانت تبحث عن التخلص من اليهود بالكامل. أشهر حالة هي حالة إسبانيا المسيحية التي طردت كل اليهود بالقوة أو أرغمتهم على تغيير دينهم سنة 1492 (وقامت بالعملية نفسها مع المسلمين بعد سنوات قليلة فيما بعد). لكن طرد اليهود كلهم أيضا من بريطانيا، وفرنسا، ومن عدد من الولايات الألمانية كذلك. ولحسن الحظ فإنهم إذا طردوا من مكان، فإنهم استطاعوا أن يجدوا ملجأ في مكان آخر في أوروبا ولكن النتيجة المحصلة كانت في الغالب الفقر والمأساة.

إن وحدة العالم المسيحي هي أقل من وحدة العالم الإسلامي، وكان لدى اليهود مهارات ممتازة جعلتهم مرغوبين عند بعض الحكام والملوك المسيحيين، بالرغم من أن هذه المهارات نفسها جعلت منهم تهديدا للآخرين. وفي بعض الأحوال السيئة جدا تعرض اليهود للمذابح في بعض المناطق، كما حدث في أثناء الحرب الصليبية الأولى سنة 1096 أو في أثناء مذابح أرمليدير (Armleder) الألمانية في السنوات 1336 – 1339. وهكذا فلقد عاش اليهود في أوروبا لكن، وضعهم لم يتحسن في الغالب إلا بعد دخول العصر الحديث.

الفصل الرابع
الديانة اليهودية والحداثة: أوروبا الغربية

الردود الدينية على التنوير والتحرر اليهودي

عاش معظم يهود العالم في أوروبا المسيحية مع أواخر 1700. لكن، لا توجد سنة معينة تؤرخ لبداية العصر الحديث في أوروبا، وذلك لأن الأفكار الحديثة تطورت عبر الزمن وأصبحت مؤثرة في أماكن مختلفة من القارة في فترات مختلفة. وكانت التحولات الكبيرة التي تعتبر مبشرة بالحداثة هي النهضة والاصلاح المسيحي. فلقد ساهما كثيرا في مفهوم التنوير الحديث وفي تحرر اليهود والأقليات الأوروبية الأخرى. وكانت لفكرتين من التنوير عواقب مهمة بالنسبة ليهود أوروبا. الفكرة الأولى تصر على أن يقيم كل إنسان بحسب مزاياه الذاتية. وليس كما كان الحال من قبل، بحسب أسرته، أو طبقته أو مكانته الدينية. لقد منح هذا إمكانية لليهود ليكونوا مقبولين ومندمجين في المجتمع الأوروبي لأول مرة دون تمييز أو ضرر. والفكرة الثانية تصر على أن كل فرد يستطيع استعمال العقل والرأي الشخصي لاتخاذ قراراته، ولا يحتاج أن يعتمد بشكل أعمى على التقليد. ولقد منح هذا الاتجاه الفرصة للترحيب باليهود في الحضارة الأوروبية دون الأفكار المسبقة المبنية على الكراهية التقليدية لهم. وشجع أيضا اليهود، مثل جيرانهم المسيحيين، على إعادة التقييم لمعنى تقليدهم الديني في العصر الحديث.

تحرير اليهود

أخذ الفلاسفة الاجتماعيون الأوروبيون الفكرة الجديدة للقوانين الكونية في العلوم الطبيعية وبدأوا يطبقونها على الوضع الإنساني. فتساءل بعضهم لماذا تملك طبقة من البشر امتيازات وتمنع عن آخرين، ما دام كل أعضاء جنس من الأجناس الحيوانية يحتاجون إلى ذات المتطلبات البيئية للازدهار؟ كان الإرث العائلي والطبقة الاجتماعية والمعتقدات الدينية هي التي تحدد في الغالب السعادة الدنيوية للأوروبيين وظل الحال إلى غاية العصر الحديث. ما هي الحجة الأخلاقية، مثلا، التي يمكن أن تبرر امتيازات الطبقة الأرسطوقراطية في الوقت الذي حرم فيه الفلاحون من كثير من لوازم الحياة المتحضرة اللائقة؟ كل دولة أوروبية لها كنيستها الرسمية القائمة وأتباع الديانات الأخرى، بمن فيهم مسيحيو المعتقدات الأقلية، يحرمون المساواة في المكانة. وكان الطريق إلى الحداثة يعني الحد من امتيازات الأرسطوقراطية، وتحسين ظروف الفلاحين، وكسر الانفصال الإقليمي، وتخفيض سلطة الكنائس ورجال الدين القائمين عليها. ولما شملت أخيرا مساواة الحقوق والمسؤوليات الأشخاص من الطبقات والخلفيات الدينية المختلفة كان يهود أوروبا من بين اولئك الذين تحرروا وسمح لهم أن يأخذوا مكانهم بجانب المسيحيين. لكن هناك تباين كبير في عملية

التحرر. فلم يمنح اليهود في كثير من الأماكن وضعا متساويا إلا في القرن العشرين، ولم يقبلوا أبدا في بعض الأماكن، وكان تحررهم في أماكن أخرى عكسيا تماما حيث قتل الملايين منهم في أثناء الهولوكست (المحرقة). لكن رغم هذا التفاوت فإن التحرر قد غير إلى الأبد وضع اليهود في الغرب، لأنه برهن على عدم وجود أي مبرر مقبول، بحسب المنطق وحده، لحرمانهم من الحقوق ومسؤوليات المواطنة في الدول التي يعيشون فيها.

لقد أثبت اليهود صحة هذه الحقيقة لأنهم ساهموا أكثر مما كان متوقعا من أعدادهم القليلة في رفاهية بلدانهم المضيفة، وأفادوها كلما سمح لهم في المشاركة كبقية المواطنين الآخرين. فلقد أظهروا القدرة والرغبة الكبيرة معا في التقدم على الصعيد الشخصي وفي المساهمة في رفاهية الدولة، ككل، في العلوم، والتجارة والتعليم، والفنون وحتى في السياسة. وأطلق هذا الوضع أحيانا ردة فعل لدى أولئك الذين كانوا أقل نجاحا أو شعروا بتهديد تقدم اليهود السريع والظاهر للعيان، خصوصا إذا أخذ في عين الاعتبار القرون العديدة التي أصبح فيها شعور معاداة اليهود عميقا في الثقافة والمجتمع الأوروبي.

الهوية اليهودية والدولة القومية الحديثة

ربما قد يكون تحرر يهود أوروبا متعذراً إلى الأبد لو لم يتم إنشاء الدولة القومية الحديثة. فلقد نجحت الهوية الوطنية الحديثة في إقامة الجسور بين الاختلافات الدينية التي كادت أن تشل أوروبا عدة قرون بحروب دموية ومعارك سياسية واقتصادية مضنية. فالدولة الوطنية العلمانية الحديثة التي ظهرت مع نهاية القرن الثامن عشر لم تكن تهتم بالمعتقدات والممارسات الدينية لمواطنيها. فإن اهتمامها بالعكس كان مرتكزا على استعدادهم للمساهمة في القضية الوطنية من خلال الخدمة العسكرية والمدنية، ودفع الضرائب، وعلى العموم، في العمل لصالح الوطن.

كان للتحرر والاندماج في الهويات الوطنية الجديدة للمجتمع الأوروبي أثر بالغ على تطور الديانة اليهودية لأن اليهود حتما طبقوا أفكار أوروبا الحديثة على القانون، والطقوس والفلسفة والأخلاق والممارسة اليومية لدينهم. وكانت النتيجة انخفاض درجة التأثير الديني على سلوكهم وازدياد الحزبية والانقسامات معا في مواجهتهم لتحديات الحداثة.

ردود اليهود على الحداثة في الغرب

بدأ التحرر اليهودي في أوروبا الغربية. ووجد اليهود أنفسهم متحررين من القوانين المقيدة لأول مرة منذ آلاف السنين. إنهم يستطيعون أن يعيشوا خارج الجيتو (الحارة الخاصة بهم) وأن يبعثوا أولادهم إلى المدارس العمومية، وأن يتعلموا أي حرفة أو مهنة، وأن يستخدموا المسيحيين، وأن يرتدوا اللباس نفسه الذي يرتديه الأوروبيون. ولم يحصروا في بيوتهم صبيحة أيام الأحد والأعياد المسيحية؛ وتم السماح لهم بالذهاب إلى الحدائق العمومية

وإلى أماكن الترفيه. وبالنسبة للكثير منهم فإن هذا يعتبر دعوة للتخلي عن هويتهم اليهودية والانصهار في الدولة الوطنية العلمانية أو حتى اعتناق المسيحية. إن الديانة اليهودية التقليدية التي كانت أساسا لثقافتهم قروناً عدة قد وجدت نفسها في وقت ومكان مختلفين، ويبدو أنها في نوع من التناقض مع جماليات وأحاسيس وأخلاقيات أوروبا الحديثة. وكانت إحدى الإجابات لما يبدو للوهلة الأولى تناقضاً مهماً بين الثقافة الدينية القديمة وجاذبية الثقافة الأوروبية الحديثة، هي تحديث، أو إصلاح الديانة اليهودية لتكون منسجمة مع العصر الحديث. ولقد تولى هذه العملية مجموعة كبيره مختلفة من الحاخامات وجمهور المؤمنين الذين يسمون أحيانا بال "إصلاحيين" الأوائل.

اليهودية الإصلاحية

لقد كان لبعض الإصلاحيين أثر في تطوير ما يسمى اليوم باليهودية الإصلاحية (Reform) أو التقدمية. وقد كان مجال الصلاة الدافع المبكر لإصلاح الممارسة اليهودية. لقد أصبحت طقوس الصلاة اليهودية التقليديية أطول وأكثر تعقيدا عبر قرون مضت، وأصبح أسلوب الصلاة ولغتها وموسيقاها غير جذابة بشكل استثنائي للفن الجمالي الأوروبي الحديث الذي أصبح ذا جاذبية كبيرة بالنسبة لليهود ذوي الثقافة الغربية. جاء الإصلاحيون الأوائل بإصلاح طقوس الصلاة لتتناسب مع الأحاسيس الغربية، وبدأوا أيضا بإخضاع دراسة الديانة اليهودية لذات المنهجيات الصارمة التي تستعملها العلوم الأخرى؛ وأعاد يهود آخرون فحص الأسس الفلسفية للديانة اليهودية وطوروا أساليب ومفاهيم حديثة لله وللتوراة ولدور بني إسرائيل في العالم، وللثواب والعقاب يوم القيامة.

اتفق طلاب الديانة اليهودية الجدد والإصلاحيون الأيدولوجيون بأن الديانة اليهودية لم تكن أبدا جامدة بل هي تقليد متطور باستمرار. فلقد تطورت الديانة وممارستها عبر آلاف السنين منذ نزول التوراة من على جبل سيناء عبر تدمير الهياكل والعصور الوسطى إلى العصر الحديث. وقد كانت اليهودية تتأقلم دائما من أجل تلبية حاجات الشعب اليهودي الدينية والفكرية والثقافية ابتداء من تقديم القربان في الهيكل إلى الصلاة في المعبد، ومن القيادة والممارسة الكهنوتية إلى القيادة والممارسة الحاخامية (الربانية). فلهذا يرى الإصلاحيون من الطبيعي أن تستمر الديانة اليهودية في التطور لأن التجديد كان دائما جزءا منها بالتأكيد.

أعاد الإصلاحيون بحث مسألة مكانة ومعنى الأوامر الإلهية كإحدى إبداعاتهم المهمة. لقد ميزت الحركة الإصلاحية بين الأوامر المتعلقة بالطقوس والأوامر المتعلقة بالأخلاق والآداب. وذهب رواد هذه الحركة أن الأوامر المتعلقة بالطقوس مثل أحكام الأطعمة المسموح بتناولها واستخدام العبرية في الصلاة، وأشكال ممارسة الشعائر الأخرى قد أعطيت من أجل تكوين شعب متماسك، ومن أجل فصله عن عالم كل سكانه من المشركين. ولكن، بما أن العالم الغربي أصبح الآن في الأساس موحدا، وأصبحت علاقة المسيحية والإسلام باليهودية كأديان عالمية فأصبحت الحاجة أقل للحفاظ على الطقوس الخاصة التي

عزلت اليهود عن الشعوب المتحضرة الأخرى. إن الأوامر الإلهية المهمة أكثر إذاً هي التي تتطلب السلوك الأخلاقي. وبالتخلص من قوانين الأطعمة المباركة، وقيود السبت والأوامر الأخرى المتعلقة بالطقوس مع المحافظة في الوقت نفسه على الفوارق الدينية المهمة، فإن اليهودية الإصلاحية قد قصرت من المسافة الثقافية بين اليهود والأوروبيين الآخرين، ومكنتهم من الإندماج التام في العالم الغربي الكبير مع بقائهم على يهوديتهم.

وكجزء من هذه العملية – فإن الإصلاحيين تخلوا عن الفكرة القائلة بأن اليهود يشكلون أمة منفصلة، وبدأوا عوضا عن ذلك باعتبار الديانة اليهودية كطائفة دينية على النموذج المسيحي. وهكذا فإن يهود فرنسا على سبيل المثال يستطيعون اعتبار أنفسهم الآن فرنسيين بالكامل من وجهة النظر الوطنية في الوقت الذي يمارسون فيه دينهم المميز تماما كما يمارس الفرنسيون الكاثوليك والبروتستانت أديانا مختلفة، وهم في كل الأحوال الأخرى إخوة في الوطنية.

كان لليهودية الإصلاحية في أوروبا قوة لها بعض الأهمية، لكن لم يتبنّها أبدا معظم يهود القارة. ولكنها نمت بسرعة في الولايات المتحدة حتى أصبحت حركة دينية قوية. ومن سماتها الأمريكية المميزة التركيز على حق كل يهودي، ومن واجبه دراسة التوراة والتقليد ثم يتخذ قراراته حول الممارسة والطاعة الدينية المبنية على علمه الشخصي بدلا من أن يطيع فقط أوامر حاخامه. وكانت نتيجة هذه الديمقراطية للديانة اليهودية هي تشجيع ممارسات دينية كبيرة ومختلفة. ولقد اختار كثير من اليهود الإصلاحيين إقامة الصلوات باللغة الإنجليزية بدلا من اللغة العبرية والالتزام فقط بالنزر القليل من الأوامر.

اليهودية الأرثوذكسية

كان إصلاحيو أوائل القرن التاسع عشر أقلية صغيرة من يهود أوروبا. وتخلى عدد آخر منهم عن تراثهم بالكامل، وبحثوا عن الانصهار في الدولة الوطنية الأوروبية الحديثة متخذين هوية وطنية مكان هويتهم اليهودية. نظر الذين يعتقدون أن الحداثيين قد عصوا الله في رفضهم اتباع أوامر التوراة بدقة إلى كل من الإصلاحيين والانصهاريين، أو العلمانيين، بانزعاج كبير. لقد أرادوا في أول الأمر تحدي ما رأوه استخفافاً بالأوامر، وذلك بتركيزهم على أهمية الالتزام الصارم بالشريعة والطقوس اليهودية. وبدأت بعض الجماعات اليهودية تنغلق على نفسها خوفا من خطر الحداثة الذي يهدد تلاحم الجماعة واستمرارها، وذلك من خلال تشكيل جماعات متراصة ترفض الحداثة. وقد احتج بعضهم بضرورة رفض الامتيازات التي وفرها التحرر. وأصر آخرون على الانفصال الاجتماعي والثقافي الكامل لليهود من المجتمع الحديث. كل هذه الجماعات، مجتمعة تشكل ما يسمى اليوم باليهودية الأرثوذكسية. وفرض الأرثوذكس قيودا شديدة على التفاعل الاجتماعي والثقافي مع غير اليهود ولم تكن هذه القيود معروفة لا في اليهودية القديمة ولا في يهودية القرون الوسطى. فكان أزاء أي عبث طفيف بالتقليد تتخذ قيود جديدة من أجل حماية اليهود من إغراءات الحداثة؛ وهذا وضع اليهودية الأرثوذكسية في الاتجاه المعاكس للعلمانية أو اليهودية الإصلاحية.

لكنه يجب ألا ينظر إلى الأرثوذكسية بعين ساخرة أو الاستهانة بها لرفضها الانغماس الثقافي في مجمله: فعلى سبيل المثال، فإن الأرثوذكسيين في ألمانيا (يصفون أنفسهم بالأرثوذكس الجدد) اعتنقوا الطريقة الغربية في اللباس واللغة والثقافة في الوقت الذي قاوموا فيه التغيير في الفكر والممارسة الدينية. وعلى مر الزمن، فإن عناصر مهمة في الحركة الأرثوذكسية في أوروبا الغربية، وبالخصوص في الولايات المتحدة، توخوا التوازن بين ولائهم للتقليد اليهودي والانعزال وبين مشاركة كبيرة في الحياة الوطنية والثقافية الواسعة للحداثة. ويسمى هذا الفرع من الأرثوذكسية الذي يشهد نموا قويا في الجالية اليهودية الأمريكية "الأرثوذكسية الحديثة" ويؤمن أعضاؤها المنغمسون ثقافيا (Acculturated) بمزج الالتزام بمبادئ اليهودية الأرثوذكسية والتفقه في النصوص الدينية مع المعرفة الدنيوية والمشاركة في الحياة الوطنية الثقافية، والاجتماعية والسياسية. وربما تكون جامعة يشيفا (Yeshiva) University في نيوورك أفضل ممثل لهذا الفرع من الأرثوذكسية؛ فلقد أنشئت سنة 1928 لتأهيل نوع جديد من الحاخامات الأرثوذكس الذين يستطيعون دمج عالم الأرثوذكسية مع عالم الفكر والحياة الأمريكية المعاصرة.

اليهودية المحافظة

أخذت الديانة اليهودية المحافظة طريقا وسطا بين اليهودية الإصلاحية واليهودية الأرثوذكسية. واتفق مؤسسو اليهودية المحافظة مع الإصلاحيين على أن تأريخ الديانة اليهودية كله كان تأريخ التغيير والتطور، فقد استجاب اليهود وديانتهم دائما بشكل إبداعي للتحديات التاريخية. لكنهم اختلفوا مع الإصلاحيين المتطرفين حول المدى المسموح به لتحديث الديانة اليهودية. وبرزت ثلاث نواحي تعتبر مقدسة للموقف المحافظ بالنسبة لواجبات الديانة اليهودية: الإخلاص للغة العبرية في طقوس الصلاة والأنشطة الأخرى، والتقيد بقوانين الطعام (كشروت)، والمحافظة على شعائر السبت التقليدي. إن اليهودية المحافظة مثل اليهودية الأرثوذكسية، وخلافا للإصلاحية، تؤكد على الالتزام الصارم بشعائر أوامر اليهودية، لكنها أكثر تساهلا في تأويلها لكيفية القيام بذلك. وهكذا يسمح لليهود المحافظين تناول بعض الأطعمة المحرمة على اليهود الأرثوذكس في الوقت الذي يكون التزامهم بالسبت أكثر تقيدا من التزام الإصلاحيين.

إن الغالبية العظمى من اليهود الملتزمين في الولايات المتحدة مقسمة بالتساوي تقريبا بين أتباع الممارسة الإصلاحية واتباع الممارسة المحافظة. وتمثل اليهودية الأرثوذكسية أقلية قوية ومؤثرة لكنها صغيرة. لكن الغالبية العظمى من اليهود الملتزمين في دولة إسرائيل هم من الأرثوذكس؛ ويشكل المحافظون والإصلاحيون أقلية صغيرة جدا لكنها متنامية. إن نصف سكان الولايات المتحدة تقريبا من اليهود لا ينتسبون إلى أي حركة دينية ويسمون غالبا باليهود العلمانيين بمعنى أنهم يتمسكون بشعور للهوية اليهودية، لكنهم يشاركون قليلا، أو لا يشاركون بالمرة، في الممارسة الدينية مثل الصلاة أو الأعياد. وأكثر من نصف سكان دولة إسرائيل علمانيون. وبالرغم من أن غالبية اليهود الملتزمين في إسرائيل أرثوذكس، فإنهم لا يشكلون إلا نحو عشرين في المئة من مجموع السكان اليهود.

الفصل الخامس
اليهودية والحداثة: أوروبا الشرقية

القومية اليهودية

ظلت الهوية اليهودية مبنية على القومية الدينية حتى العصر الحديث. وهذه لا تعني القومية الحديثة كما حددتها الدولة القومية الحديثة، بل تعنى بالأحرى شعوراً بالهوية والصداقة مع كل اليهود في أي مكان في العالم. يعتبر اليهود أنفسهم مختلفين عن جيرانهم من غير اليهود، سواء في بغداد أم القدس أم باريس، ويعتبرهم غير اليهود الذين يعيشون من بينهم كذلك. والذي يجمع اليهود مع بعضهم البعض سواء أكانوا في الصين أم اليمن أم المغرب أم بولندا هو الإيمان والممارسة الدينية المشتركة، والطريقة المشتركة المتبعة في حياتهم اليومية بغض النظر عن اللغة المستعملة، ودرجة انعكاس الاختلافات الإقليمية في ثقافتهم المحلية.

إن هذا المعنى للقومية الدينية أقرب إلى معنى الأمة الإسلامية من معنى الزمالة المسيحية، لأن تعاليم الديانة اليهودية تذهب إلى أبعد من شئون الإيمان المقبول. وقد ساعدت مكانتهم كمواطنين من الدرجة الثانية في البلدان التي يعيشون فيها على خلق هوية عالمية قوية على مر القرون وآلاف السنين إلى درجة أن معنى القومية اليهودية قد يتجاوز حتى معنى الأمة في الإسلام، بالرغم من أن هذه الملاحظة قد يستحيل إثباتها. ويكفي التصريح هنا أن الهوية اليهودية تظل قوة كبيرة حتى بين اليهود الذين يعتبرون أنفسهم ملحدين. وحتى الإلحاد لا يلغي الهوية اليهودية للشخص بحسب القانون اليهودي.

صعود قوميات أوروبا الشرقية وإقصاء اليهود

إن الهوية الشخصية كانت قبل العصر الحديث مبنية أساسا على الطبقة الاجتماعية، والدين والجنس والإقليم. ومع تطور الدولة القومية الحديثة أصبح الدين، نظريا، شأنا خاصا فقط، فأصبحت الدولة القومية الحديثة المرتكز الأساسي للهوية. وبالرغم من أن يهود أوروبا الغربية كان لهم الاعتبار، في الغالب في المرحلة الانتقالية ما قبل الانتقال إلى مرحلة التحديد الحديث للهوية، فإن اليهود في أوروبا الشرقية التي يعيش فيها غالبيتهم الساحقة في القرن التاسع عشر لم يتحرروا. ولقد عانى اليهود، خصوصا في الإمبراطورية الروسية، معاناة أكثر حتى من معاناة القوميات والإثنيات التي تعيش في عبودية القيصر. ومع نهاية القرن التاسع عشر حاول كثير من القوميات التي تعيش في الإمبراطورية الروسية أن تحرر نفسها من الحكم القيصري، وتشكيل دول قومية حديثة. لكن، بعكس الوضع في أوروبا الغربية، فإن يهود أوروبا الشرقية لم يقبلوا كأعضاء مشاركين في الدول الجديدة الناشئة. فلقد استبعدوا من حركات التحرير الوطنية، سواء في بولندا أو أوكرانيا أو رومانيا

أو روسيا أم حتى في الأماكن التي تكلموا ولبسوا فيها مثل السكان المحليين. لم يتعرض اليهود فقط للمذابح المنظمة والقتل الوحشي تحت حكم القيصر، بل إنهم تعرضوا أيضا إلى ذات المعاملة من قبل الناشطين في حركات التحرير الوطنية.

لقد واجه يهود شرق أوروبا حياتهم البائسة في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين بعدد من الطرق. حاول كثير منهم الفرار عن طريق الهجرة إلى أوروبا الغربية وإلى الأمريكيتين، وقد وصل منهم إلى الولايات المتحدة ما يزيد بكثير على مليون بين 1880 و 1920 وتمنى آخرون أن يجدوا السلوان وحتى الخلاص في الانغماس العميق في اليهودية. ولقد أصبح جزء من يهود أوروبا الشرقية ناشطين في حركات سياسية عالمية على أمل القضاء على الأفكار المسبقة، وعدم المساواة. وذلك عن طريق بناء عالم تسود فيه المساواة الاقتصادية والاجتماعية من خلال الاشتراكية أو الشيوعية. ولقد كان رد جزء آخر من يهود شرق أوروبا على مأساتهم بما فيها رفض حركات التحرير الوطنية لهم بأن وافقوا على أن طبيعة القومية اليهودية الخاصة هي التي منعتهم من الاندماج في الدولة الوطنية الأوروبية الحديثة.

لقد استنتج هؤلاء اليهود الوطنيون أينما وجدوا بأنهم كانوا مرفوضين بسبب يهوديتهم. ولقد استبعد من حركات التحرير الوطنية حتى اليهودُ العلمانيون الذين تخلوا عن الدين تماما وذلك بسبب هويتهم اليهودية. ولكن ما هو الإشكال الحقيقي حول هويتهم التي جعلتهم غير لائقين بالنسبة للحركات القومية ؟ بالتأكيد ليس هو الدين، لأن كثيرا من الزعماء القوميين المعادين لليهود كانوا أيضا علمانيين. بدأ بعض يهود أوروبا الشرقية يشعرون، منطقيا، بأن رفضهم لم يكن مبنيا على أساس هويتهم الدينية بل القومية. لقد بينت لهم تجربتهم الشخصية أنه حتى تجاوزهم العقدة الدينية لم يمكنهم من القبول التام كبشر. واستنتج موسى هيس (Hess)، أحد اليهود القوميين الأوائل:

> سنظل دائما غرباء بين الأمم.... إن التطرف الديني قد يتوقف عن تسبب كراهية اليهود في البلدان المتقدمة أكثر ثقافيا، لكن بالرغم من التنوير والتحرر فإن اليهودي في المنفى الذي لا يعترف بقوميته لا يمكن أبدا أن يحظى باحترام الأمم التي يعيش بينها.[29]

القومية اليهودية والصهيونية

لم يكن هناك أمل لدى اليهود في الالتحاق بالحركات القومية في أوروبا الشرقية، وكانوا يعانون بشدة من العنف والسرقة والاغتصاب، بل وحتى من المذابح على يد جيرانهم من الفلاحين، وحتى من الحكومات الاقليمية والوطنية التي يفترض أن تقدم لهم الحماية. فلذلك دعا اليهود الوطنيون إلى إنشاء وطن يهودي لا يقعون فيه أبدا ضحية الكراهية وسلبيات الأديان والقوميات الأخرى، حيث يكونون تحت حكومة وقوة شرطة خاصة بهم. ولقد توصل القوميون اليهود قبل وقوع الهولوكست (المحرقة) بزمن إلى نتيجة منطقية مفادها

أن الحياة لم تعد ممكنة تحت رحمة الشعوب التي تكرههم، وذلك نظرا لتجربتهم التأريخية الخاصة. ولقد كانت الأمم العديدة تخلص من عبودية السيطرة الأجنبية في العصر الحديث بتشكيل دول قومية خاصة بهم يستطيعون فيها تقرير مصيرهم. وأعلنوا أن هذا ممكن كذلك لليهود، لأن اليهود أيضا يشكلون شعبا قوميا.

لقد حدد منظرو القومية الأوروبيون في ذلك الوقت ما يسمى بالقوميات كجماعات لها تأريخ ولغة وأرض ونظرة مشتركة. ادعى القوميون اليهود أن اليهود يملكون كل معايير القومية هذه. فتأريخهم المشترك معروف جدا وواضح، ولغتهم المشتركة هي اللغة العبرية القديمة التي يتعلمها اليهود في كل العالم. لكن ليس كل اليهود يملكون النظرة نفسها. فكثير منهم كانوا ينتظرون بخشوع مجئ المشيح (المسيح) وعمل آخرون على تحديث اليهودية في الوقت الذي كان فيه آخرون يرغبون في العلمانية والاندماج. يتطلع القوميون إلى دولة يهودية. وكانت الأرض المشتركة مشكلة إضافية لأن اليهود كانوا يعيشون عدة قرون في كل أنحاء العالم، ولم يكونوا يسيطرون على مصيرهم السياسي مدة ألفي سنة تقريبا. رضي بعض القوميين اليهود بتأسيس دولة قومية يهودية في أي مكان شريطة أن تكون الأرض المختارة ملكية مقصورة على اليهود. لكن معظم القوميين أصروا على أن الأرض الوحيدة المؤهلة حقيقة أن تكون الأرض القومية لليهود هي الأرض التي استقر فيها اليهود وزرعوها وحكموها ودافعوا عنها ما يربو على ألف سنة: إنها أرض إسرائيل. أصبحت الحركة القومية اليهودية تسمى الحركة الصهيونية، وذلك بسبب إصرارها على أن صهيون فقط، وهو أحد الأسماء للعاصمة اليهودية القديمة القدس وبالتالي رمز كل أرض إسرائيل، هو الذي يجب أن يكون مكان الولادة الجديدة للشعب اليهودي في دولة قومية حديثة.

ظل الصهيونيون حركة أقلية بين الشعب اليهودي حتى وقعت الهولوكست (المحرقة)، حيث قام الذين يكرهون اليهود (بقيادة هتلر) بإبادتهم إبادة جماعية تقريبا، وبقي معظم أوروبا بكل بساطة واقفا يتفرج دون تدخل. إن حقيقة التواطؤ العالمي من خلال اللامبالاة، إن لم يكن التدخل المباشر، في تدمير يهود أوروبا ساهمت في إقناع الشعب اليهودي، مع استثناءات قليلة، لمساندة قيام دولة يهودية حديثة في أرض إسرائيل. يستطيع اليهود هناك أخيرا أن يحكموا ويدافعوا عن أنفسهم ولن يعودوا تحت رحمة الشعوب التي لا تهتم برفاهيتهم، أو تلك التي تعمل على اضطهادهم أو على تدميرهم.

آراء الصهيونية عن العرب

ستكون أية مناقشة غير كاملة إذا لم نتطرق إلى إشكالية السكان العرب الأصليين الذين يعيشون منذ زمن في فلسطين، ما يسميه اليهود أرض إسرائيل. على الغالب كان الصهيونيون يائسين بشدة لإيجاد حل لمأساة الحياة اليهودية في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين في أوروبا الشرقية، إلى درجة أنهم حاولوا تجاهل المشكل الحقيقي الجدي لغير اليهود الذين يعيشون على الأرض التي يرغبون أن يقيموا عليها دولة يهودية. وبالطبع عارض العرب

هجرات اليهود الكبيرة وسيطرتهم السريعة على الاقتصاد المحلي في فلسطين. وكانت ردة فعل الكثير نشطة وعنيفة في المحاولة لمنع مزيد من الهجرات. قوبل هذا الموقف بقوة يهودية مما زاد في تصعيد التوتر. إن تأريخ الصراع معقد جدا للنظر فيه هنا بالتفصيل، ولدى العرب واليهود مواقف متباينة جدا حول هذه القضية. يكفي القول هنا إن الصهيونيون لم يتفقوا فيما بينهم حول كيفية التعايش جنبا إلي جنب مع العرب داخل أو خارج الدولة اليهودية. وقد تباينت آراؤهم بشكل كبير. فقد دعت أقلية متطرفة إلي طرد كل العرب من المكان الذي يريدونه أن يكون خاصا بالدولة اليهودية، بينما أصرت فئات أخرى على دولة ثنائية القومية. وشعر آخرون أن دولة يهودية تستطيع أن تمنح المساواة المطلقة والكاملة لجميع مواطنيها بغض النظرعن ديانتهم أو إثنيتهم أو تراثهم الثقافي. ولقد عقّد انفجار العنف، وفي آخر الأمر وقوع الحرب، الوضع بين اليهود والعرب في فلسطين. وأدى إلى تطرف مواقف الجانبين، مما تسبب في حروب لاحقة ومحاولات سياسية لمعالجة الصراع. يعتقد معظم اليهود، اليوم، أن التأريخ قد أثبت أن دولة قومية يهودية حديثة يحكمها ويدافع عنها اليهود هي فقط التي تستطيع ضمان أمن الشعب اليهودي، ولكن هذا لا يمنع من حل وسط يعترف بحقوق الشعب الفلسطيني أيضا.

آراء اليهود عن العرب والمسلمين

ماذا تعلم الديانة اليهودية عن العرب والمسلمين وعن التعايش في "الشرق الأوسط الحديث"؟ يجب الملاحظة، أولا وقبل كل شيء، أن العهد القديم والتلمود أقدس كتب اليهودية، قد جمعا وقتنا قبل ولادة محمد، فلهذا لا توجد فيهما أي إشارة إلى المسلمين. وكما ذكر في الفصلين الأول والثالث فإن التوراة العبرية قد سجلت علاقة النسب القريب بين الإسرائيليين والأمم العربية من خلال إبراهيم، أبيهم المشترك، لكن يبدو أنه لم يكن هناك اتصال مباشر كبير ومستمر بين المجموعتين في الفترة التوراتية. كانت قصة موسى الذي تزوج بنت كاهن عربي حكيم من مدين يسمى يثرون* هي الاستثناء المهم في هذا الاتصال القليل نسبيا بين المجموعتين. أعان يثرون موسى وساعده علي تأسيس نظام حكم مناسب للإسرائيليين في خلال فترة التيه في الصحراء (الخروج 18). وورد في سفر نحميا (2: 19، 6: 1-6) أن عربيا باسم حشم حاول منع يهودا من العودة وإعادة بناء القدس رغم حصولهم على الإذن من ملك الفرس. كان لملوك الحشمونائيين اليهود علاقات طيبة لفترة مع الحضارة العربية للنبطيين الذين كانت البتراء عاصمتهم. يشير التلمود أحيانا إلى العرب جنبا إلي جنب مع القوميات الأخرى، لكن لم يذكر كثيرا عنهم سواء سلبيا أم إيجابيا. إن رأي الإسلام الذي تكون عن اليهود الذين يعيشون تحت السيطرة الإسلامية يميل أن يعكس المعاملة التي لقيها اليهود على أيدي أسيادهم المسلمين. فلقد كتبوا غالبا عن أمور أخرى. ومن المثير أن الصهاينة

---

* النبي شعيب

الأوائل كانوا ينظرون بعين الرضى إلى الثقافة العربية، وإلى المعاملة الحيادية بعامة التي تلقاها اليهود تحت الحكم الإسلامي. ولقد اتجهت أنظار الصهاينة نحو الثقافة العربية والدين الإسلامي كحضارة مثالية يمكن أن تتسامح في وجود وطن أو دولة يهودية داخلها، وذلك جزئيا، كرد على العنف الفظيع الذي كان يهود أوروبا الشرقية يعانون منه على يد جيرانهم المسيحيين. لكن الصراع، والعنف الذي وقع في النهاية بين اليهود والعرب في فلسطين تحت الانتداب البريطاني وضع حدا لهذه النظرة. ولقد ساهم هذا الصراع العسير الذي أنزل المحرقة على اليهود والعرب في الشرق الأوسط منذ ذلك الوقت في المواقف السلبية في كلا الجانبين. لكن يجب التنبية أن نصوص الديانة اليهودية منذ التوراة فصاعداً لم تكتب أي شيء بخاصة سلبي عن الثقافة العربية أو الدين الإسلامي. لقد ظلت إلى حد ما محايدة. إن الديانة اليهودية، إذاً، ليس لديها أي تعليم معين بخصوص العرب أو المسلمين يميزهم عن بقية البشر. وكما هو متوقع، فإن اليهودية لا تنظر إلى المسيحية والإسلام كديانتين متساويتين معها، ولكنها أيضا لا توحي بأن المسيحيين والمسلمين الصالحين سيقصون من دخول الجنة في الآخرة. إن المواقف السلبية المعاصرة تجاه العرب والإسلام في إسرائيل الحديثة هي نتيجة مباشرة للحروب الكثيرة والعنف الفظيع الذي تحمله اليهود الإسرائيليون خلال القرن الماضي. هذا لا يعني بالطبع، أن العرب الفلسطينيين لم يتأثروا تأثيرا بالغا من جراء هذه الحروب ومن جراء عمليات العنف الأخرى. إن السلبية الإسرائيلية تجاه العرب والإسلام – والتي يعارضها قطاع كبير داخل المجتمع الإسرائيلي- قد تتغير خلال جيل او جيلين في الوقت الذي يقضي فيه سلام عادل وفاعل على الخوف والغضب الغامر الذي يشعر به معظم الإسرائيليين تجاه جيرانهم العرب المسلمين، وذلك بغض النظر عن إمكان تبرير ذلك أم لا.

الهولوكوست (المحرقة)

تركت الهولوكوست أثرا يصعب إزالته في روح الشعب اليهودي. وبالرغم من وجود محاولات لإبادة شعوب أخرى قبل الحرب العالمية الثانية، ومحاولات أخرى بعد ذلك، فإنه لم يحدث في تاريخ البشرية أبدا، أن سخّرت إمكانات هائلة من التخطيط الحذر، ونفقات ضخمة للموارد والجهد الإنساني الجبار من أجل القضاء على مجموعة واحدة من البشر. لقد رد اليهود آنذاك وفي الوقت الحالي بطرق مختلفة. فقد تخلى بعضهم عن أي التزام ديني مؤكدين أن تدمير يهود أوروبا يثبت أن الله قد تخلى عن الشعب اليهودي. وفي المقابل فإن الآخرين أكثر تدينا والتزاما نتيجة فظائع الهولوكوست. وبالعبارات العَلمانية، فإن تذكر الفظاعة عمل على تعزيز معنى الشعب بين اليهود، ويؤكد دعمهم العام تقريبا لدولة إسرائيل آمنة.

ولقد اختلفت ردود الفعل اليهودية أيضا على الهولوكوست فيما يتعلق بعلاقاتهم مع العالم غير اليهودي. صمم بعضهم على المثابرة في العمل لمنع إلى الأبد توجيه الكراهية والعنف مرة أخرى إلى أي جماعة إنسانية. ويرون أنه بما أن اليهود كانوا ضحايا لأفظع جريمة لا سابق لها في التاريخ فإن عليهم المسؤولية الرهيبة للمساعدة على ضمان أن لا يقع مثل ذلك الفعل أبدا مرة أخرى.

وكانت ردة فعل أخرى على الهولوكوست هي الانكماش والابتعاد عن العالم، والتركيز فقط على البقاء اليهودي. يحتج رواد هذه النظرة بأن اليهود ليسوا مدينين للعالم بأي شيء كضحايا أبرياء لأفظع جريمة في التأريخ البشري، وكضحايا لما يتعذر وصفه من المآسي المروعة والبشعة التي أنزلتها بهم بعض أمم العالم في حين وقف آخرون غير مبالين.

وفي ردة فعل ثالثة لا ترى أي صراع بين الإنعاش القومي اليهودي بعد المحرقة وبين الواجب الإنساني العام، يرى كثير من اليهود زعماء عرب فلسطين في الثلاثينات والأربعينات من القرن الماضي مذنبين بالتواطئ في الهولوكوست. لقد تعاون، مثلا، المفتي الحاج أمين الحسيني زعيم القومية العربية في فلسطين مدة طويلة، مع ألمانيا النازية كأحد دعاتها الرئيسين لدى العرب. فقد جند ونظم المتطوعين المسلمين للقضية النازية بدعم ومساعدة البرنامج النازي لإبادة الشعب اليهودي. لهذا، فإن الفلسطينيين والمسلمين لا يستطيعون الإدعاء أن لا دخل لهم بالهولوكوست بحسب هذا الموقف.

لقد أسدلت الهولوكوست نوعا من الظلام على العلاقات بين اليهود والعرب، لأن اليهود يميلون إلى رؤية العرب كمجموعة أخرى مثل غيرها التي وقفت تتفرج، وسمحت بتدمير اليهودية الأوروبية. وبالعكس فإن العرب يميلون إلى اعتبار أنفسهم أبرياء من الهولوكوست ويعتقدون أنها ظاهرة أوروبية محضة، واليوم يميل بعض العرب الى القول بأن الهلوكوست لم تحدث أصلاً وأنها مجرد دعاية يهوديه لتبرير إحتلال فلسطين. يشكك اليهود أحيانا في موقف الإسلام نظرا لموقف الحسيني مفتي الإسلام بجانب زعماء الإسلام الآخرين الذين وافقوا أو تعاونوا أحيانا مع ألمانيا النازية وخططها في الشرق الأوسط. ومن جهة أخرى، فإن المسلمين ينظرون إلى الهولوكوست كظاهرة أوروبية ومسيحية، وليس لهم أي ارتباط بها على الإطلاق. ومن وجهة نظرهم، فإن الفلسطينيين الذين يعيشون في إسرائيل وفلسطين، وفوقهم أولئك الذين استبعدوا من المنطقة، قد أرغموا على تحمل عقاب الجرائم التي اقترفها الأوروبيون والمسيحيون ضد اليهود. إن ألم الوقوع كضحية، وألم الاتهام واللؤم عميق، ومن الصعوبة بمكان نسيانه. إن بالإمكان تجاوز هذا الموقف جزئيا عن طريق حوار صادق ومناقشة صريحة، لكن الناس يستطيعون ومن الواجب عليهم، أن يتعلموا أن يعيشوا مع بعضهم حتى إذا تعذر وجود تفاهم كامل بينهم.

دولة إسرائيل

تأسست دولة إسرائيل سنة 1948 بعد ثلاثة أعوام فقط من الهولوكوست. ولقد كان تأسيسها عن طريق الحرب والدم. وكما ذكر سابقا، فإنه لا يوجد اليوم إلا عدد ضئيل من اليهود الذين لا يدعمون بشكل كامل إقامة دولة يهودية. ولكن تعاليم العهد القديم والتلمود الدينية قد فسّرتا لتأييد تأسيس دولة يهودية حديثة، وعدم تأييد تأسيسها معاً. إن جدل الموقفين معقد وغير واضح أحيانا، لكن من وجهة النظر الدينية فإن المسائل تدور حول فكرة المسيح.

لقد توصل بعض الربانيون إلى نتيجة مفادها أن الله كتب على الشعب اليهودي أن يظل في المنفى إلى حين قدوم المسيح إثر تدمير الهيكل الثاني وتشتيت الرومان لليهود عقب ذلك. لقد

عّلموا أنه لم يعد بالإمكان، وليس مرغوبا لليهود أن يتحكموا في مصيرهم السياسي وسيظل الأمر كذلك إلى حين قدوم المسيح وقيامه بتخليص ليس فقط اليهود بل كل العالم. ومن جهة أخرى فإن الحركة الصهيونية قد بدأت ونظمت بالكامل تقريبا من قبل الأشخاص الذين لم ينتسبوا إلى المبادئ الدينية والعقائدية للديانة اليهودية التقليدية. حيث لم يتفقوا مع الربانيين ولا طلبوا مشورتهم، وبالعكس, فإنهم نادوا بتأسيس دولة عَلمانية حديثة، يكون فيها اليهود في مأمن من الاضطهاد والظلم ومن الخوف الدائم من العنف.

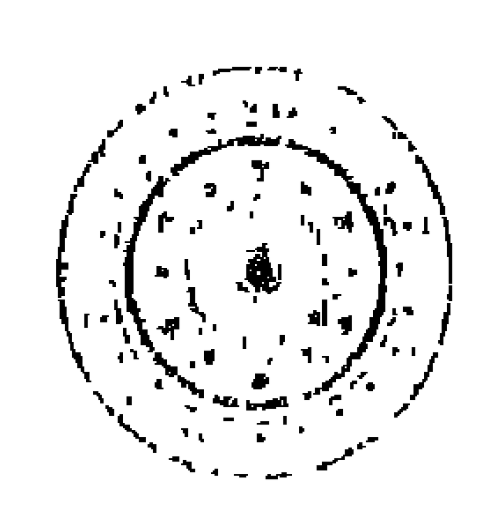
وكنتيجة لهذا، فإن جماعة من زعماء الدين قد عارضوا الصهاينة منذ البداية. وكانت المعارضة الدينية للصهيونية من ناحية ردا على المحاولات اليهودية السابقة لكسب الاستقلال السياسي في العصور القديمة والقرون الوسطى. ولقد انتهت كل تلك المحاولات بالفشل وبالتدمير لعدد كبير من أهالي اليهودية فيما بعد. وكان الدرس الذي استنتجه بعض زعماء الدين من هذه الكوارث هو أنه يجب على الناس أن ينتظروا حتى يأمر الله بموعد الخلاص. فالله وحده فقط هو الذي يملك القدرة لتحديد موعد الخلاص. فمحاولة "ليّ ذراع الله" في العمل عبر القنوات السياسية لإنشاء دولة يهودية لا تؤدي إلا إلى غضب الله وإلى تدمير بشع آخر، ولهذا بقي الصهاينة على وجهة الحصر تقريبا عَلمانيين.

لكن مع الثلاثينات من القرن العشرين بدأ يظهر تفسير ديني جديد للصهيونية مع أفكار الحاخام أبراهام إسحاق كوك، أحد زعماء الطائفة اليهودية المؤثرين في فلسطين[30]. فلقد اقترح أن الصهاينة العَلمانيين لم يقوموا بعملية ليّ الذراع مع الله، لكنهم كانوا في الحقيقة، يقومون بتنفيذ المخطط الإلهي، وإن كان ذلك عن غير قصد، بتأسيسهم دولة يهودية، وبذلك فإنهم بدأوا عملية الخلاص. ويرى كذلك أن إرادة الله، كانت وهي لا تزال لغزا، لكن العلامات توحي بأن الخلاص النهائي قريب المنال. وهكذا فإن على اليهود المتدينين مساعدة الصهيونيين، أو على الأقل، فإن عليهم أن لا يحكموا عليهم بالإدانة بسبب عملهم في بناء أرض إسرائيل. لقد تم تفسير بشاعة الهولوكوست من قبل بعض مناهضي الصهيونية من اليهود الأرثوذكس كعقاب شديد على محاولة ليّ الذراع مع الله (استباق الأحداث). لكن بالنسبة لمعظم الآخرين، سواء من الأرثوذكس أو المحافظين، أو الإصلاحيين أو العلمانيين فإن الهولوكوست أثبتت إيمانهم أن دولة يهودية فقط هي التي تستطيع أن تحمي يهود العالم من أي كارثة مستقبلية.

لقد فسر كثير من اليهود الأرثوذكس انتصارات إسرائيل في حرب الاستقلال سنة 1948، وأكثر من ذلك حرب 1967، على أنها علامات إلهية تبين أن الخلاص أصبح في متناول اليد أخيرا. وكنتيجة لهذا أصبحت اليهودية الأرثوذكسية صهيونية أكثر فأكثر في خلال النصف الثاني من القرن العشرين، بسبب وضع إسرائيل تماما داخل عملية وصول الخلاص النهائي قريب المنال. لكن الصهيونية نفسها قد أخضعت لعدة تغييرات وتطورات. ففي الوقت الذي يستمر بعض الصهاينة بالدعوة إلى السيطرة السياسية اليهودية على كل أرض التوراة الإسرائيلية، فإن الأغلبية الساحقة تتجه أكثر فأكثر نحو قبول دولة أقل حجما بكثير بحيث تحمي هويتها اليهودية والديمقراطية وتكون في علاقة تعاون وثيقة مع جيرانها العرب والمسلمين.

الديانات اليهودية ما بعد الحداثة

ينظر إلى العصر الحالي أكثر فأكثر على أنه عصر "ما بعد الحداثة". وإن دلالات هذا التعبير كثيرة، لكن بالنسبة للديانة اليهودية وممارستها وأفكار اليهود فإنها تعني أن فكر اليهود وحياتهم بدأت تتجاوز حدود الفكر الحديث. هناك أشكال "ما بعد المذاهب" للديانة اليهودية تدمج ظواهر الحياة اليهودية المشتقة من مصادر مختلفة مثل الأرثوذكسية الصارمة، والإصلاح الليبرالي، وحتى من الحركات التي أدمجت عناصر اليهودية مع البوذية أو التقاليد الدينية الأمريكية الأصلية. وهناك أيضا يهود "ما بعد الصهاينة"، الذين يدعمون دولة إسرائيل، لكنهم ينادون بأشكال من الثقافة الوطنية تكون حتى أكثر تعريبا أو حتى إسلامية بشكل جزئي. وأهم شيء يجب تذكره هو أنه بالرغم من أن معظم اليهود يشعرون أنهم مرتبطون ارتباطا وثيقا بالأعضاء الآخرين المنتمين إلى حضارتهم وثقافتهم القومية الدينية فإنه توجد صيغ مختلفة جدا للديانة وللثقافة اليهودية. بعضهم متدين، وبعضهم عَلماني، لكن الكل ينتسب إلى الشعب أو الأمة اليهودية كوحدة.



الجزء الثاني

الله والتوراة وإسرائيل

إن الديانة اليهودية والشعب اليهودي، بما في ذلك اليهود الذين لا يعتبرون أنفسهم مؤمنين، ولا يمارسون التقاليد الدينية، لا يمكن فهمهم تماما إلا من خلال العلاقة مع الله والتوراة والعلاقة فيما بينهم. لهذا السبب فإنه من المعتاد عند دراسة الديانة اليهودية تنظيم التفكير حولها على أساس مفهوم الله والتوراة وإسرائيل.

الفصل السادس

اللـــه

إن تفاصيل مفهوم الإنسان لله في كل حضارة دينية، تختلف باختلاف العصور ومدارس الفكر. لكن رغم هذا الاختلاف الضروري، فإن كل ديانة مع ذلك، تحتفظ بنظرة مركزية مميزة عن الله تدور حولها مؤسساتها وأفكارها. وهذه النظرة في الديانة اليهودية هي:

وحدانية الله وتفرده ودوره في الخلق، وبالتالي مالك الكون ومدبره، وتتعلق أيضا هذه النظرة لله بدور الله المشرع.

إن إصرار التوراة والأدب اليهودي مطلق في وحدانية الله، وفي عدم وجود آخر غيره، (على سبيل المثال، التثنية 6: 4، إشعياء 45: 21، 46: 9). إن قبول آلهة متعددة (الشرك)، أو عبادة التماثيل (وثنية) ممنوعة منعا مطلقا في كل العهد القديم والتلمود والنصوص اليهودية اللاحقة. وبعض النصوص التوراتية مثل السؤال المجازي الذي ورد في كتاب الخروج 15: 11، "من مثلك يا رب بين كل الآلهة؟" لا تتضمن بأن الإسرائيليين افترضوا وجود آلهة أخرى. بل بالعكس, فإن السؤال يبين سخافة عبادة التماثيل الوثنية.

الله كما تصفه التوراة

لقد وردت أحيانا أوصاف لله بمسميات إنسانية مثل "اليد" و "العين" وأنه "يسمع" مناداة الذين يستغيثون به، بعكس الأوثان المجردين من الحياة. لكن هذه الصفات مجازية وتشتمل التوراة على كثير من التجسيم وصفات إلهية مشابهة لصفات الإنسان. إن هدفها هو التعبير عن أفكار مجردة بشكل ملموس، بدلا من استعمال طرق فلسفية غامضة. إنها لا تعني أن الله يملك الأيدي والعيون والآذان. وكما ورد في التلمود فإن التوراة تخاطب بلغة الإنسان حتى نستطيع نحن البشر، بطريقتنا الناقصة فهم ما هو في الحقيقة خارج فهم الإنسان[31].
لقد أشار موسى ابن ميمون، المفكر والفيلسوف اليهودي، الكبير الذي عاش في الأندلس ومصر، أن الله خارج عن الوصف، وبالتالي فليست له صفات، لأن كل محاولة لوصفه من قبل البشر لا تؤدي إلا إلى وضع حدود له. إن صفات الله الواردة في التوراة إذاً، تمثل في الحقيقة أحاسيسنا البشرية التي تثيرها تجربتنا لوجود الله. لا يمكن أن تمثل الصفات الفعلية لله لأنها في الحقيقة فوق قدرتنا على الوصف.[32]

الله الخالق

بما أن الله خلق العالم، ووضع قوانينه الطبيعية، ووضع له نظاما (أرميا 35: 25) فإنه متعال عن عالم الطبيعة. إن الله أزلي. وكل شيء لا بد أن يفنى، لكن الله كان موجودا قبل الكون وسيظل موجودا بعده (أشعياء 4: 6-8 مزمور9: 2). وبما أن كل الكون من عمل الله، فإن جمال الطبيعة وجلالها الرهيب هما إعلان لمجده، وبالتالي فالطبيعة نفسها تسبح لله (مزمور 19: 2، 13 وبعده) كل شيء له، وهو إله كل شيء (كتاب الأخبار الأول 2: 11-12). ويعتبر تعمد الله الإستراحة من العمل في اليوم السابع آخر فعل من أعمال الخلق الإلهي (التكوين 2:1-12)، يعتبر هذا أصل مركزية السبت الذي أتى بالإستراحة والإنعاش للعالم كتوقف إبداعي.

تمثل دائما عبارات التوراة حول ماهية الله الحقيقة التاريخية للعالم القديم الذي كان بنو إسرائيل الشعب الوحيد الذي اعترف فيه بالتوحيد والوحدانية الإلهية. ولربما يعتبر بنو إسرائيل الوحيدين الذين اعترفوا بالتوحيد الإلهي الحقيقي في كل الفترة التوراتية الممتدة أكثر من ألف سنة مع احتمال استثناء قصير لأخناتون فرعون مصر. لا يوجد شعب آخر على الأرض قد توصل إلى حقيقة وحدانية الله، وظل مخلصا لتلك الحقيقة. فلهذا السبب وجهت التوراة رسالتها تقريبا لبني إسرائيل على الخصوص، لعدم وجود شعب آخر يستطيع فهمها والاستجابة لها بشكل فاعل. ينظر إلى هذا أحيانا كأنه يعني الخصوصية حيث ورد في التوراة أن الله قد عين بني إسرائيل كشعبه المتميز وهذا التوجه ليس غريبا، ولا يجب الاستغراب من هذا التوجه إذا أخذ تأريخ الفترة في عين الاعتبار. وبسبب الإطار التأريخي،

فإن الوثنية لا تعتبر بالضرورة خطيئة لغير بني إسرائيل (التثنية 4: 19) لأنها تعبير لحقيقة الوجود البشري باستثناء إسرائيل. لكن نذر بنو إسرائيل أن لا يقعوا أبدا فريسة لإغرائها.

فكما أن التوراة تصف بني إسرائيل باختيار الله لهم بإعطائهم التوراة، فإنه أيضا يجب على بني إسرائيل أن يكونوا إلى الأبد "شعب الله المختار" وأن يظلوا مخلصين للأوامر الإلهية رغم الإغراءات الكثيرة التي تمثلها الحضارات الإنسانية المحيطة. لكن اليهود، مثل بقية البشر، ضعفاء فيقعون فريسة الإغراء. وتصف التوراة الأمر الذي تسبب دائما في عقابهم. لم تعاقب الأمم الأخرى على ذات المخالفات. لكن بما أن التوراة نزلت على بني إسرائيل فإنهم ملزمون باتباعها بالتمام والكمال. لكن كبقية كل البشر, فإن اليهود بشر معرضون للخطيئة. لهذا استعرضت التوراة تأريخا طويلا ومتكررا لفشل اليهود في الامتثال للأمر الإلهي. يأتي الفشل بالعقاب الإلهي الذي تتبعه توبة إسرائيل التي يجيب الله عليها بالمحبة والرحمة. لكن كون بنو إسرائيل بشر، فإنهم يعصون الله مرة أخرى، وهذه فكرة رئيسة في التأريخ الديني للشعب اليهودي. ومع ذلك, فإن تحقيق الغاية الإلهية لم يكن محل شك أبدا. إن شعب إسرائيل لن يهلك (أرميا31: 26-27). إنه سيعود إلى إيمانه الكامل، بحسب اللاهوت اليهودي، وسيأتي بالنجاة إلى كل الأرض بقيادة كل واحد إلى الله في الخلاص النهائي في آخر الساعة (إرميا 3: 17-18) لكن، إلى أن يحين ذلك الوقت فإن شعب إسرائيل سيظل شاهدا لله (أشعياء 44: 8) وسيستمر في العذاب عندما يعصي.

الله المشـرع

إن الذي يعطي التشريع هو الله. والعهد على جبل سيناء يلزم جميع اليهود بطاعة القانون الذي أنزله الله. لقد أحصى الكهان في التلمود 613 أمرا إلهيا صريحا في التوراة أي الأسفار الخمسة الأولى، منها 248 تعتبر فروضا (ما يجب القيام به) و365 تعتبر من النواهي (ما يجب اجتنابه). يمكن فهم هذه الأوامر بشكل جيد باعتبارها أحكام السلوك بدلا من القوانين بالمعنى التشريعي الغربي، لأنها تشتمل على قواعد السلوك الأخلاقي والشعائر الدينية وكذلك على ما يسمى اليوم بالقانون المدني والجنائي. ومن أجل فهمها بشكل أفضل، يمكن اعتبارها نوعاً من الأحكام التي يجب على شعب متحضر أن يعيش بموجبها، وليس فيها التصنيف الغربي لما هو سلوك ديني واجتماعي وجنائي. لذلك نجد مثلا في القائمة المختصرة لقواعد السلوك الموجود في السبع والثلاثين فقرة في الإصحاح 19 من سفر اللاويين كل ما يلي:

ليوقر كل إنسان أمه وأباه، وراعوا سبوتي (19: 3)، لا تتحولوا لعبادة الأوثان (19: 4) ومتى قدمتم قرباناً للرب فليكن بالطريقة المرضية (19: 5-8)، وعندما تحصد محصول حقلك لا تحصد زواياه، ولا تلتقط ما يتناثر من حصادك، بل اتركه للمسكين ولعابر السبيل (19: 11). لا تحلف كاذبا فتدنس اسم إلهك (19: 12)، لا تظلم قريبك، ولا تسلب ولا ترجئ دفع أجرة أجيرك إلى الغد (19: 13)، لا تشتم الأصم، ولا تضع عثرة في طريق الأعمى

(19: 14)، لا تظلموا في القضاء ولا تتحيزوا لمسكين، ولا تحابوا عظيما، أحكم لقريبك بالعدل (19: 15)، لا تنتقم ولا تحقد على أحد. ولكن أحبَّ قريبك كما تحب نفسك (19: 18).

يأمر الله الشعب اليهودي باتباع كل هذه الأوامر. ويشعر اليهود بوجوب طاعة هذه الأوامر الإلهية في كل الأوقات وكل الأماكن، حتى وإن كانوا لا يعيشون في وطن خاص بهم، ولا يملكون قوة الشرطة والقضاء لفرض القانون. إن صاحب التشريع هو الله. ويكون محقا في إنزال أشد العقاب علينا لخطايانا الكثيرة بسبب ضعفنا البشري. لكن الله أيضا غفور رحيم. ونجد وصفه في التوراة على أنه صارم في العدل، لكنه أيضا واسع الرحمة والمحبة. والكلمات العبرية لصفات الله التوراتية في العدل والرحمة هي "ديّن" و "رحميم" وهي تطابق الكلمات العربية نفسها "الديّن" كما في يوم الدين أو يوم القيامة، ورحمان أحد أسماء الله الحسنى التسعة والتسعين الموجودة في القرآن. ولقد جاء تعقيد امتزاج العدل الإلهي ورحمته في قول الرب لموسى. وعبر الرب من أمام موسى مناديا: "أنا الرب. الرب إله رؤوف رحيم، بطيء الغضب، وكثير الإحسان والوفاء. أدخر الإحسان، وأغفر الإثم والمعصية والخطيئة، ولكني لا أعفي المذنب من العقاب..." (الخروج 34: 6-7).

ففي الوقت الذي تطلب فيه التوراة من اليهود إطاعة عدد كبير من الأوامر، فإن غير اليهود ليسوا مطالبين إلا بإطاعة سبعة قوانين أساسية، وهي مشتقة من قصة نوح والطوفان وتسمى وصايا نوح[33]. وتشتمل على تحريم السرقة، والقتل، والزنا، والوحشية (أكل لحوم الحيوانات الحية)، والمطالبة بتأسيس محاكم العدل.

لقد حدد المشرّع (الله) المطلب الإلهي الواجب لحياة أخلاقية بحسب التوجيه الإلهي. ولكن في الوقت الذي يحذر فيه الله باستمرار أن إطاعة الأوامر الإلهية ضرورية للغاية، فإن الطاعة العمياء دون رد الاعتبار إلى الأسس الروحية والأخلاقية للأوامر ليست مقبولة كذلك. إن النفاق في إطاعة القانون حرفيا في الوقت الذي ينتهك فيه قصده ليس كافيا في الديانة اليهودية. ولهذا تكلم أنبياء العهد القديم باسم الرب: "كفوا عن تقديم قرابين باطلة... فأنا لا أطيق الاعتكاف مع ارتكاب الإثم"، (إشعياء 1: 13) ، "لقد أوضح لك الرب أيها الإنسان ما هو صالح. ولا يبتغي منك سوى أن تتوخى العدل، وتحب الرحمة وتمسك متواضعا مع إلهك؟" وهو يقول تعلموا الإحسان، انشدوا الحق، أنصفوا المظلوم، اقضوا لليتيم، ودافعوا عن الأرملة" (إشعياء 1: 17). إن هدف الأوامر الأساسي هو تطهير البشرية والرفع من مقامها (مزمور 119: 4، 29، 68).

إشكالية الشر وحرية الإرادة

طُرحت إشكالية الشر في التوراة ولم يرد لها حل بسيط. يجب التنبيه، أولا وقبل كل شيء، أن الديانة اليهودية تسمح، بل تشجع أيضا التساؤلات الصعبة، بل وحتى التحديات لله. لقد تحدى إبراهيم العدالة الإلهية بقوله: "أديّان الأرض كلها لا يجري عدلا؟" (التكوين 18: 25). تساءل أحد الأنبياء اللاحقون "أنت دائما عادل حين أعرض عليك دعواي، ولكن

دعني أحدثك بشأن أحكامك: لماذا تفلح طريق الأشرار؟ ولماذا يتمتع الغادرون بالعيش الرغيد؟" (إرميا 12: 1)، ويركز كتاب أيوب بالكامل على الشر. إن جواب التوراة ليس بسيطا. إنه يشير إلى عجز فهم البشر لوظائف العالم. فإذا كانت الحياة البشرية قصيرة، فإن التأريخ طويل للغاية، وعليه فالقدرة البشرية على فهم المعنى العميق ووظيفة الكون الإلهي تعتبر مجزأة في أحسن الأحوال. "فكما ارتفعت السماوات عن الأرض، كذلك ارتفعت طرقي عن طرقكم، وأفكاري عن أفكاركم" (إشعياء 55: 9). ومن جهة أخرى، فإن المزامير تعلّم بأنه "إذا زها الأشرار كالعشب، وأزهر جميع فاعلي الإثم، فإنهم كالعشب يبادون إلى الأبد" (مزمور 94: 8-10). كيف ستتم هذه الإبادة تماما، يبقى لغزا بحسب الديانة اليهودية، لكن ليس محرما على بني البشر محاولة فهم ذلك.

إذا كان الرب هو خالق العالم وكل ما فيه، أليست قدرة الله إذاً محدودة بفعل حرية الإنسان في معصية الإرادة الإلهية؟ إن الله يأمر بالطاعة (التثنية 3: 16) لكن الطاعة الحقيقية مستحيلة بدون حرية في الإرادة. إذاً يمكن القول أن الله قد تعمد وضع نوع من القيد الذاتي ليتيح لبني البشر حرية الإختيار ما بين الخير والشر. لقد حاول الربانيون تفسير القيد الذاتي الإلهي في التلمود: "كل شيء بمقدور السماء ما عدا أن تبجل السماء" (برخوت 33 ب). إن الأدبيات الدينية اليهودية لديها علم بقصة عقاب الله للملك الذي رفض احترام السلطة الإلهية في خلق آدم (انظر في القرآن، الأعراف 7: 11-18، الحجر 15: 26-43، الإسراء 17: 61-63) إن سقوط الشيطان بحسب النصوص اليهودية الموجودة في المدراش، وحتى قبله في إينوخ الثاني 29: 4 و 5 كان بسبب الغيرة من آدم، وبسبب الغيرة من الله نفسه بحسب بعض النصوص. ونتيجة لهذا طرد الشيطان من الجنة، وأصبح بعد ذلك مصدر ميول بني الإنسان نحو الخطيئة.

يوصف الوجود الكلي لله في العالم في التفكير اليهودي المتأخر بأن الله هو العالم. لكن إذا كان الله هو العالم فإن ذلك لا يفسح المجال لوجود العالم كنظام ولا للبشرية أن تعمل في حرية تامة. إذاً انكمش الله وبذلك سمح للكون أن يقوم بوظيفته، لكنه أيضا سمح بذلك للنقص والشر أن ينموَا. إن هذا النقص والمقدرة على الشر هما نتيجة حتمية لممارسة الحرية الإنسانية. لا يوجد جواب واحد لمسألة الشر في الديانة اليهودية. وقد نتج عن اختلاف الأجوبة استمرار المناقشة إلى يومنا هذا. وكيفما كان الجواب الشخصي لهذه المسألة فإن اليهودي ليس معفيا أبدا من مسؤوليته، ليس فقط في الجهاد في سبيل الخير بل أيضا في الجهاد في سبيل منع الشر (اللاويون 19: 17).

الله والبشرية

إن العلاقة بين الله والبشرية متمثلة في الميثاق بين الله وإسرائيل. وبالرغم من أن إسرائيل لا تستطيع دوما أن تعيش كما تقتضيه الأوامر الإلهية ويقع عليها العقاب المناسب، فإن الميثاق أو العلاقة لا تنقطع أبدا. إن فضل الله ولطفه ورحمته هي التي تشرف على الجانب الإلهي في العلاقة، بينما تطغى المحبة والإخلاص لله على الجانب الإنساني.

يرتل اليهودي مرتين كل يوم شهادة التوحيد: "اسمعوا يابني إسرائيل، إلهنا رب واحد". وتستمر هذه الشهادة بالأمر التالي: " فأحبوا الرب إلهكم من كل قلوبكم ونفوسكم، وقوتكم (التثنية 6: 4-5). وهذا التصريح اليومي هو تصريح الاستسلام التام لإرادة الله الموافق للمفهوم الإسلامي للإسلام. إن حب اليهود لله لا يعني أنهم منعوا من التساؤل عن أفعاله وعن طريق سير الكون. إن مساءلة الله ليست محظورة ولا تستوجب التوبيخ في الديانة اليهودية. لقد جاء في كتاب أيوب التوراتي أن أصحاب أيوب الذين وقفوا بشكل أعمى بجانب الله قد أدينوا في الوقت الذي توفى فيه أيوب رغم انتقاداته للأفعال الإلهية.

إن العلاقة بين الله والإنسان ليست جامدة، بل تتطور دائما وتنمو. فهي في الوقت نفسه رسمية ورهيبة كالعلاقة بين الإمبراطور وعبده، وحميمة في الوقت نفسه كالعلاقة بين محبين متآلفين. إن الكلمتين التوراتيتين اللتين تعبران بشكل واضح عن تعقيد العلاقة هما الهوى (الحب) والرعب (الخوف). فالهوى يعني الألفة والمودة, والرعب يعني الذعر الشديد الذي يشعر به الكائن الفاني في أثناء وقوفه أمام أكبر قوة في الوجود. تطابق هاتان الكلمتان اللفظتين المذكورتين أعلاه عند الحديث عن الرحمة (رحيم) والعدل (الدين) كصفات من صفات الله.

الله كما جاء في الأدب الرباني

إن الطبيعة الأساسية لله كوحدة، والعلاقة بين الله والعالم، وبين الله وإسرائيل لم تتغير في التلمود. إن التلمود والأدب المرتبط به قد تطورا في الغالب بعد تدمير الهيكل من قبل الرومان سنة 70 ميلادي. يسجل هذا الحدث بداية فقدان الوجود الوطني اليهودي وفترة النفي الطويل من أرض إسرائيل. يؤكد التلمود على أن الله لم يتخل عن اليهود بالرغم من تدمير الهيكل وصعوبات المنفى. وبالعكس، فإن الله شارك في الحداد على فقدان الهيكل، وحزن معهم علي العقاب الذي أنزله بهم، بل إنه ذهب مع ذريته إلي المنفى. وإن كان هناك تغيير في وصف الله في التلمود فهو كون ظهوره أكثر قرابة من الجماهير واليائسين والإنسان العادي الذي يحتاج إلى المساعدة.

إن العدالة صفة من صفات الله تتطلب التدمير والنفي، لكن الرحمة صفة من صفاته ندبتها جنبا إلى جنب مع شعبه تماما كما يندب الآباء ضرورة العواقب الصارمة التي ينزلونها بأطفالهم. أصبح الله الآن أقرب من ذي قبل، لأنه لاحظ مدى حاجة الإنسان للوصول إليه بعد تدمير الهيكل. وعندما عجز الكهان عن تقديم القرابين نيابة عن الأمة بعد تدمير الهيكل, فقد أصبح واجبا على كل فرد أن يقوم بتقديم الصلوات الشخصية. يستطيع الآن كل واحد أن يتصل شخصيا بالله بل هو مطلوب فعلا أن يقوم بذلك.

لقد واجه اليهود في الشتات وفي المنفى، بل حتى في أرضهم تحت الحكم الروماني، الأديان الجديدة الناشئة في الإمبراطورية الرومانية والفارسية. انجذب بعض اليهود إلى ثنائية الغنوصية التي تؤمن بإله النور والخير من جهة وبإله الظلام والشر من جهة أخرى.

وتشتمل الإغراءات الأخرى على أشكال جديدة من المسيحانية وعلى طقوس دينية سرية يمارسها الجنود الرومان في الكهوف، ويمارسها آخرون في مختلف الأماكن الغامضة. كان الربانيون يقظين فلم يدعوا مثل هذه الهرطقات الشعبية تدخل إلى اليهودية وتبعد اليهود عن الوحدانية الأخلاقية المطلقة التابعة للتقليد.

لقد كانت تجربة يهود هذه الفترة مع الله أكثر قربا وشخصية أكثر مما هو معروف في التوراة، وربما يرجع سبب ذلك جزئيا إلى الرد على التدمير والنفي، وجزئيا إلى تهديد التشتت والوقوع في هرطقة الأنظمة الدينية الشعبية الجديدة التي تنمو حولهم. إن الله يحب إسرائيل ويظل مرتبطا ارتباطا وثيقا بها حتى في المنفى، كما ورد في التراث الرباني لهذه الفترة. وسيجيب الله شعبه عندما يدعوه.

الله في الفلسفة اليهودية في القرون الوسطى

تأثرت الفلسفة اليهودية في القرون الوسطى تأثيرا قويا بالأفكار والأنظمة اليونانية، كما كانت تدرس في العالم الإسلامي. وعندما تعرض اليهود للفلسلة اليونانية لأول مرة في الفترة اليونانية الرومانية, فقد رفضوها بالكامل لاعتبارها قريبة جدا من الوثنية. ولكن بعد قرون من الزمن فطن اليهود الذين كانوا يعيشون في العالم الإسلامي إلى أن الفلسفة يمكن أن تكون نشاطا مقبولا، لما لاحظوا أن المسلمين الذين تبنوا أساليب التفكير اليوناني ظلوا موحدين تماما. لقد تأثر اللاهوت اليهودي المنظم تأثيرا بالغا بالمدارس الكلامية التي تطورت في العالم الإسلامي وبالسرد العربي للأفلاطونية الجديدة والأرسطوطالية. وكان الهدف الأساسي للفلسفة اليهودية في القرون الوسطى هو البرهان بأن الديانة التوراتية عقلانية (rational) وأن العقل البشري، في إطار حدود معينة، يستطيع أن يبين الحقيقة الإلهية وحقيقة التقليد الديني اليهودي. تنطبق هذه الأهداف تماما مع أهداف زملائهم من الفلاسفة المسلمين الذين يبحثون في آن واحد إشكاليات العقل البشري، والوحي الإلهي للقرآن والحقيقة الإلهية في السياق الإسلامي. وكان كثير من المفكرين المسيحيين الذين يعيشون تحت الحكم الإسلامي يقومون بذات البحث الأساسي.

إن الفلاسفة اليهود الأوائل من أمثال سعديا (سعد بن يوسف الفيومي، ت 942) وبهيا ابن بقودا (أواخر القرن الحادي عشر) قد بحثوا أن يثبتوا وجود الله من خلال أدلة خلق العالم، وذلك على نهج المتكلمين من المسلمين (من أتباع مدارس الكلام الفلسفية). بناء على الملاحظة المألوفة أن كل الأشياء المصنوعة لا بد لها من صانع، فإن نظام الكون المعقد إلى أقصى الحدود والمتوازن بشكل لطيف لا بد له أيضا من خالق. واتبع أبراهام بن داوود وموسى بن ميمون نظام أرسطو لإثبات وجود الله. وكانت الحركة إحدى البراهين التي إنطلقا منها على النحو التالي. بما أن كل الأشياء في العالم تتحرك، ولا يستطيع أي شيء معين أن يحرك نفسه، فإن كل حركة لا بد لها من حركة تسببها. لكن إذا كانت كل حركة تعتمد على سبب قبلها, وهذا السبب يعتمد بدوره على سبب قبله, فإنه لا بد إذاً من وجود

السبب النهائي الذي تسبب في حركة النظام بأسره. وهذا هو المحرك الذي لا يحرك غيره وهو الله.

إن أي دليل على وجود الله يعد ناقصا بالنسبة للديانة اليهودية إذا لم يثبت أيضا الوحدانية الإلهية. وقد اتفق فلاسفة القرون الوسطى من اليهود على أن وحدانية الله المطلقة تستوجب أن يكون الله متجاوزا للمادة بمعنى أنه غير جسماني. لكن التوراة، كما ورد أعلاه، تنسب إلى الله صفات بشرية، مما دعا قيام الفلاسفة اليهود في القرون الوسطى بالاستدلال على أن هذه الصفات لا توحي ولا تلمح بجسمانية الذات الإلهية. وفي النهاية قرروا أن الصفات التي نسبتها التوراة لله هي في الحقيقة صفات سلبية، بمعنى أن الله أكبرٍ إلى درجة أن حقيقته فوق المقدرة البشرية على الفهم، وحدث ولا حرج عن الوصف. إذاً فإن كل صفة لله تبدو إيجابية فهي لا تصف في الحقيقة إلا ما ليس الله به وبشكل ملتوٍ نسبيا. فعلى سبيل المثال، إن تعبير "الله حكيم" لا يمكن أن تعني إلا أن الله غير جاهل، لأنً أي محاولة بشرية لفهم طبيعة الحكمة الإلهية مستحيلة. وعلى ذات المنوال فإن تصريحات مثل الله عادل أو رحيم لا تصف الله الذي هو فوق الوصف. إن هذه الصفات، بالأحرى هى وصف لآثار ونتائج الحقيقة الإلهية التي جربناها وليست تقديرا لصفة أو ظاهرة إلهية وهي تعد مستحيلة التجربة أو الوصف باستعمال اللغة البشرية.

انغمس الفلاسفة اليهود في العصور الوسطى وعالجوا كثيرا من التحديات الفكرية التي واجهوها في المحيط العلمي والمناظرات ما بين الأديان. لكن قيامهم بهذه العملية جعل كثيرا من اليهود يشعرون أن هذه التفسيرات الفكرية على أعلى مستوىٍ قد جردتهم من العلاقة الحميمة والشخصية مع الله اللطيف والرحيم, وفي ذات الوقت المهيمن الصارم. وكان من بين الردود على أنظمة الفلاسفة سلسلة من التصورات الباطنية لله ضمن الوحدانية التي تتيح لها معرفة البشر وتكون قريبا منهم في آن واحد.

الله في القبالة (القبلاه)

لقد لاحظ متصوفو القبلاة من خلال تجربتهم أن الله فوق المعرفة البشرية قريب المنال. ويعني هذا أن الله أخفى علينا فى أعماق الوجود الإلهي نفسه، لكنه تجلى لنا من خلال أفعال الكون وأفعال المحافظة المستمرة على هذا الكون. ولا تتعارض هاتان الظاهرتان الأساسيتان بالنسبة للقباليين بل هما في الحقيقة تكملان بعضهما البعض.

إن جوهر الذات الإلهية فوق أي وصف أو حتى فوق التسمية. وبالفعل فإن التسمية العبرية المستعملة أكثر في اليهودية للإشارة إلى الله هي أدوناي التي تعني بكل بساطة " سيدنا" أو "مولانا ". وهو الاسم المنطوق بدلا من الاسم الفعلي لله المكتوب في التوراة المركب من أربعة أحرف ساكنة مختلفة الأصوات تماما عن لفظة أدوناي. يحرم النطق بهذه الحروف الأربعة جهرا، وعلى أية حال، وبما أن النظام القديم لحروف الهجاء في العبرية ليس مشكلا (أي لا يبين كيفية النطق بالحرف) فَقْد فُقِدَ النطق الصحيح لإسم الله[34]. والسبب في تحريم

اليهودية أية محاولة للتفوه فعلا باسم الله متحدر من مزيج الاحترام والتقوى في العلاقة مع الله. الاسم هو إشارة. إن الذي يعرف اسم الآخر يعرف شيئا عنه، وبالتالي يكون في وضع قوة عليه. يظهر هذا الجانب في العلاقة في الوضع الذي يلتقي فيه شخصان أحدهما يعرف اسم الآخر. فإن الشخص الذي يجهل اسم الآخر يشعر بنوع من الإحراج والارتباك حتى يعرف اسم ذلك الشخص، فتكون بذلك العلاقة متساوية. إن علاقتنا بالله غير متساوية وما جهلنا اسم الله إلا تذكير واحد من بين الكثير مما نجهله بتلك الحقيقة.

وبالنسبة للصوفية القبالية فكل ما يمكن قوله عن الله هو أن الله موجود. وتسمى هذه الألوهية المطلقة أحيانا "إين سوف" بمعنى "الذي لا نهاية له"، أو "اللا نهاية". إن حياة إين سوف محجوبة في نفسها ومستورة، لكن المتدينين يبحثون عن وحي هذه الحياة المحجوبة التي يتوافر انبثاقها من خلال السفيروت أو التجليات النورانية. السفيروت هي محيط حياة الله الذي تجلى وهي تصورات داخل الوحدانية الإلهية بالتمام والكمال بالرغم من أنها توصف بدوائر مستقلة تقريبا. وتوصف السفيروت في بعض الأحيان على أنها الصفات الإلهية، لكنها في الحقيقة تصف الحالات المختلفة التي يتجلى فيها الله باستمرار منذ بداية الخليقة إلى يومنا هذا. فكل درجة (سفيراة) تشير إلى محيط خاص للرب الذي تجلى، والذي يمكن للصوفي المتمرس معرفته. بالإمكان التعرف إلى آثار السفيروت في كل شيء مخلوق، وهي ظاهرة في كل شيء بالنسبة للصوفي الذي يعرف كيف يفسر اللغز اللغوي للحقيقة الخارجية. فإن الله بصفته "إين سوف" هو خارج التكوين وهو روح الأرواح الذي يوجد في مركز الكل بينما السفيروت هي الأرواح والجوهر الداخلي لكل شيء في الكون.

إن عالم السفيروت، إذاً، هو محيط الوحي الإلهي الذي يستطيع الصوفي ولوجه لأن فيض الحياة الإلهية يعرج ويتنزل في المراحل أو انبثاقات السفيروت. إن وحدانية الله في السفيروت ديناميكية وليست جامدة. توجد وحدة في جدول تدفق الحياة الذي يسيل إلى الأبد من "إين سوف" السر الأساسي الكلي الذي تنبعث منه الخليقة من خلال مراحل الانبثاق.

تشتمل القبالة على عدد مختلف من المدارس, وشأنها في ذلك شأن كل التيارات الفكرية اليهودية الشبيهة بالتصوف في الإسلام، فقد طورت عدة طرق وممارسات لإيجاد وحدة وارتباط شخصي مع الله. وهكذا نجد عدة تيارات وممارسات فكرية تحت بند التصوف اليهودي.

العصر الحديث

ظهرت في العصر الحديث طرق جديدة لفهم الإله نتيجة تأثير العلم الحديث والرياضيات والفلسفة. لقد عبر مختلف المفكرين عن آرائهم باستخدام وسائل ذهنية ومصطلحات لغوية مختلفة. فتخيل بعضهم أن الله هو "روح الكون"، أي نوع من الغاية في توحيد كل الوجود. إن هذا التصور لا يساوي الإله مع الكون, بل يعتبر أن الله موجود قبل الكون ومستقل عنه. فالله في هذا التصور روح مطلقة وبالتالي فإنه فوق العلم البشري.

ولقد تخيل كثير من المفكرين العصريين أن الله مرتبط ارتباطا مطلقا مع الأدب والأخلاق. وطور مصطلح وحدانية الاخلاق بهذا الصدد كوسيلة لفهم وحدانية الله، واعتبر هذه الوحدانية في الصميم أخلاقية.

ويتصور بعض المفكرين العصريين أن الله فوق أي وصف إيجابي، ولا يمكن اعتبار الله سوى فكرة وبحسب هذه النظرة، فإنه لا يمكن بالضرورة إثبات وجود الله عن طريق براهين المنطق المحض، بل يجب افتراضه في كل الأحوال كأرضية مطلقة وضرورية للأخلاق. وبهذا تثبت حقيقة الله، لأن إنكار الأخلاق لا يعتبر مقبولا كبديل لوجوده.

نشأت مدرسة فكرية أصبحت تسمى بالوجودية كردة فعل جزئية لهذا النوع من التجريد العالي للتصور الإلهي الذي أصبح شائعا في العصر الحديث. وبالنسبة للوجوديين، فإن معرفة الله غير ممكنة من خلال البحث الفلسفي أو البرهان العقلي، ولكن معرفته ممكنة جدا من خلال اللقاء الشخصي. هذا يعني أن هذه المعرفة هي نوع من الوحي. وهذا اللقاء يعد لقاء شخصيا في العمق.

ويمكن اللقاء بالله في هذا المعنى كأب في منتهى القوة والمحبة، أو في آن واحد، "كالآخر التام"، أو "هو هو"، "الحاضر كليا". إن هذا النوع من التصور الإلهي قريب ومتوافر جدا، فهو أقرب للشخص كقرب تنفسه منه. وهو دائما متوافر عندما يكون الشخص مستعدا للعلاقة.

تجدر الإشارة إلى أن معظم اليهود في الوقت الحالي يعيشون في الغالب خارج إطار التصورات اليهودية التقليدية للإله. فعلى الصعيد اليومي، إن كثيرا من اليهود يتصرفون أساسا كأنهم لا يعلمون شيئا (agnostics) ويتجنبون اتباع معظم الأوامر الشعائرية والثقافية التابعة للديانة اليهودية. إنهم يميلون إلى اختيار نوع أوامر الالتزام بناء على معايير شخصية في غاية الفردية. يؤم كثير منهم المعبد، ويصوم يوم الغفران الذي يعتبر أقدس يوم في التقويم اليهودي، ويحتفلون أيضا بذكرى الجلاء من مصر في عيد الفصح، لكنهم لا يختارون الانصياع لمعظم أوامر الشعائر الأخرى، ويوصف هذا النوع من السلوك بالازدواجية ليس فقط فيما يتعلق بالتقيد بالأوامر، لكن وكذلك فيما يتعلق بعدم التأكيد من دور الإله ومطالبه. يعتبر معظم اليهود أنفسهم مؤمنين، بحسب استطلاع حديث، لكن إيمانهم بالله لا ينطبق بالضرورة على التصورات التقليدية التي قدمها التقليد اليهودي. وكما هو مبين أدناه، فإن الإيمان المطلق بالله ليس شرطا لاحتلال وضع محترم في المجتمع اليهودي. وقد توصلت الديانة اليهودية إلى نتيجة مفادها أن الإيمان الشخصي لا يخضع للتشريع. فبالإمكان تشجيع الفرد، لكن لا يمكن إجباره على الإيمان، لأن الإيمان هو نوع من التجربة الشخصية ومن الأمور الخاصة بالفرد. ومن جهة أخرى, فإن السلوك الصحيح يخضع للتوقع وللانتقاد. وتقف التقسيمات بين منابع الدين اليهودي وتفسيرات حول كيفية فهم واجبات اليهودي للتصرف استجابة لأوامر الله.

الفصل السابع
التــوراة

تعني كلمة التوراة حرفيا "تعليم"، أو تدريس وقد استعملت اللفظة في الكتاب المقدس بعض الأحيان بالمعنى العام كتعليم، لكنها تشير في التوراة إلى الوحي الذي نزل على بني إسرائيل بوساطة موسى في جبل سيناء (التثنية 4: 44) "وهذه هي الشريعة التي وضعها أمام بني إسرائيل. وهذه هي الشروط والفرائض والأحكام التي خاطب بها موسى بني إسرائيل عند خروجهم من مصر". إن التوراة بهذا المعنى، وتسمى أحيانا توراة موسى (عبري: حوميش موشيه)، تشتمل فقط على الأسفار الخمسة الأولى: سفر التكوين، سفر الخروج، سفر اللاويين، سفر العدد، وسفر التثنية. إن طول هذه الأسفار هو تقريبا كطول الإنجيل، وطول القرآن. وتسمى التوراة اليهودية الكاملة بالاسم العبري المختصر تناخ. وهذه اللفظة مركبة من الحروف الأولى للأجزاء الثلاثة المهمة: التوراة (الأسفار الخمسة الأولى)، الأنبياء (نفيئيم) ، والكتابات (كتوبيم: المزامير وسفر الأمثال، ونشيد الإنشاد، وبقية أسفار الحكمة وغيرها). واليوم تشير لفظة التوراة، أو "سفر التوراة" كذلك إلى المخطوطة اليدوية التي تضم أسفار التوراة الخمسة الأولى التي توضع في مكان خاص في كل معبد يهودي. ترتل هذه المخطوطة كل يوم سبت في الصباح في أثناء طقوس العبادة على مدار السنة كجزء من أداء شعائر الصلاة في المعبد. يرتل جزء مختلف كل أسبوع ابتداءً من أول آية من سفر التكوين وانتهاء بآخر آية من سفر التثنية، بحيث تتم قراءة التوراة بالكامل (الاسفار الخمسة الأولى) كل سنة. تعتبر التوراة اليهودية مقدسة بكاملها لكن الأسفار الخمسة الأولى (أسفار موسى) أكثر قداسة لأنها تمثل الوحي الإلهي المباشر على بني إسرائيل في جبل سيناء.

التوراة كتاب مقدس

بالرغم من أن لفيفة التوراة نفسها لا تحتوي إلا على الأسفار الخمسة الأولى (البنتاتوخ: كما يدعى في اليونانية وفي بعض لغات الغرب) فإن الكتاب المقدس العبري بكامله يعد مقدساً. الأقدم والأقدس هو البنتاتوخ (أسفار موسي) الذي يشتمل على 613 أمراً إلهياً تقليدي حول السلوك، علاوة على سرد تأريخ العالم وتكوينه وتأريخ البشرية وبني إسرائيل. تبدأ التوراة بالتكوين وتنتهي ببني إسرائيل، وهم على أهبة العودة إلى بلاد إسرائيل بعد أن نزلت عليهم التوراة في جبل سيناء، وبعد أن تاهوا أربعين سنة.

الأنبيــــاء

تعتبر الكتب التي يضمها سفر الأنبياء (نفيئيم) القسم الثاني من العهد القديم وهي تأريخية في طبيعتها، وتصف مراحل تأريخ إسرائيل منذ غزو أرضها تحت يشوع إلى فترة تدمير

الهيكل الأول. يصف سفر يشوع الإسرائيليين عند دخولهم إلى أرض إسرائيل ويحتوي سفر القضاة (عبري: شوفطيم) على مواد تتعلق بقبائل إسرائيل الاثنى عشر التي تعيش في مناطقها المستقلة. السفران المعروفان بسفر صموئيل الأول وسفر صموئيل الثاني يحتويان على تأريخ قيام وتعزيز المملكة الإسرائيلية، أولا تحت حكم شاؤول وثانيا تحت حكم داوود. السفران الأول والثاني من سفر الملوك يوردان خلافة سليمان وتمزيق المملكة بعد موته، والانقسام إلى مملكة يهودا ومملكة إسرائيل وتاريخهما خلال تدمير إسرائيل من قبل الأشوريين سنة 722 قبل الميلاد وتدمير يهودا من قبل بابل سنة 586 قبل الميلاد. وتشتمل بقية الأسفار من هذا الجزء المعروف بالأنبياء على أسفار الأنبياء الخاصة لكل من أشعياء وارميا وحزقيال، واثني عشر سفرا قصيرا للأنبياء الآخرين.

الكتابات

الجزء الثالث من العهد القديم المعروف بالكتابات (عبري: كتوبيم) هو مجموعة متنوعة. الزبور وكتاب المراثي وهي أشعار شخصية وتعبدية. نشيد الإنشاد (تسمى أحيانا أغنية سليمان بالإنجليزية) هي مجموعة من قصائد الحب. وتتطرق سلسلة الأسفار التي يطلق عليها بعض الأحيان مجتمعة "أدب الحكمة"، إلى الأفكار القديمة حول الأخلاق والآداب الاجتماعية ومكانة بني الإنسان على الأرض والموضوعات المتشابهة. وتشتمل هذه على سفر الأمثال، وسفر أيوب وسفر الجامعة. وتشتمل الكتابات أيضا على أعمال تأريخية مثل سفر راعوث (ويلات) وسفر عزرا أو سفر نحميا أو سفر أستير، وسفري الأخبار الأول والثاني وهي الأخبار الرسمية لمملكة إسرائيل. وسفر دانيال وهو ربما يكون آخر الأسفار التي أضيفت إلى العهد القديم العبري وهو مزيج من التاريخ والرؤى.

طبيعة كتاب اليهود المقدس

يسمى العهد القديم باللغة الإنجليزية (Bible) ويسميه اليهود التوراة العبرية (Hebrew Bible). لكن المسيحيين يطلقون عامة عليه اسم "العهد القديم" (Old Testament). هذه اللفظة الأخيرة تعكس عنصرا أساسيا في الديانة المسيحية لأنها تصف العهد القديم كممثل لعهد قديم لا يكون له معنى منذ ظهور المسيح إلا في العلاقة بالعهد الجديد (New Testament). وبحسب هذا المعتقد، فإن العهد القديم مع اليهود لم يعد وظيفيا بينما العهد الجديد ينطبق فقط على المسيحيين أولئك الذين يؤمنون بقوة الخلاص لدي المسيح. تذهب المسيحية إلى الاعتقاد أنه، منذ ظهور المسيح، لا يمكن أن تكون هناك علاقة إلهية أخرى حقيقية إلا عن طريق المسيح. لقد تحقق العهد القديم من خلال الالتزام بالأوامر الإلهية، لكن هذه الأوامر القديمة ألغيت منذ ظهور المسيح. وبما أن العهد القديم لا يشير بشكل واضح إلى المسيح، لكن بالأحرى يشير إلى ميثاق مبنى على أوامر إلهية، فإنه لم يعد ملزما في حد ذاته. فالعهد القديم، بالنسبة للمسيحية لا معنى له إلا في حدود ارتباطه بولادة المسيح، ورسالته، وإيمانه.

أما اليهود، من جهة أخرى، فإنهم لا يؤمنون بالولادة العذرية للمسيح، ولا يؤمنون بأن المسيح ابن الله، أو أنه المخلص المنتظر. بالنسبة اليهم فإن قدوم المشيح (المسيح) سيأتي بخلاص العالم بأسره. وبما أن عيسى لم يأت بخلاص العالم فإنه لا يمكن أن يكون هو المشيح بحسب الديانة اليهودية. إن كان بعض اليهود يلتزمون أكثر من الآخرين بالأوامر الموجودة في التوراة، فإنه لا يوجد يهودي يعتقد أن قوة الخلاص للمسيح يمكن أن تقود إلى النجاة الخاصة. وبسبب كون العهد الجديد يتحدث بكامله عن قصة المسيح كمنقذ، وهذا شيء بعيد عن الاعتقاد اليهودي، كما أشير إليه سابقا – فإن اليهود لا يقبلون العهد الجديد كجزء من كتابهم المقدس.

التوراة وحي وأدب وطني

التوراة الكاملة هي عبارة عن مجموعه كبيرة جدا من الكتب (الأسفار) التي تمتد على طول ألف عام تقريبا. تعتبر كلها مقدسة، لكن بحسب التقليد، فإن التوراة فقط هي التي تعتبر من الوحي الإلهي المباشر على جبل سيناء. وتعتبر بقية أقسام العهد القديم موجهة من الله إلى أنبياء العهد القديم، أو أنها من وحي إلهي بشتى الطرق، لكن معظم أقسام العهد القديم، باستثناء التوراة، لا تعتبر من كلام الله المباشر. تشكل الكتب الموجودة في سفر الأنبياء وسفر النصوص جزءا من الأدب الوطني الطويل والقديم للشعب اليهودي. وقد كتب كثير من المواد من قبل بني البشر الذين قاموا بهذا العمل تلبية لما فهموا أنه استجابة لإرادة الله وأوامره.

إن القصص، والتاريخ، والشعر والأناشيد الموجودة في التوراة تعبّر عن ضعف الإنسان، وتطلعاته، وفشله وانتصاره ككائن من لحم ودم وتعبر عنها كلها باللغة الإنسانية ذاتها. فلقد وصف حتى أكبر أبطال التوراة بالدوافع الإنسانية ونقاط الضعف التي كثيرا ما تشكل جزءا من الحياة البشرية. فالملك داوود الكبير، الذي وحد إسرائيل بعد أن هزم الفلسطينيين والذي أسس عاصمة القدس وأنشد أجمل الأناشيد لله، فإن الله منعه من بناء بيت الله المقدس نظرا لمركزه كمقاتل وللدم الذي لطخ يديه (الأخبار الأول 22: 8، 28: 3). ولقد أدين وعوقب لأنه تسبب في وفاة رجل بسبب شغفه بزوجة ذلك الرجل. وانتقد الملك سليمان الحكيم في التوراة عن تهوانه للسماح بتسرب الكفر حتى إلى داخل البلاط الملكي في القدس (الملوك 1: 11). وحتى موسى، المشرع ونبي التوراة الوحيد الذي لقي الله وجها لوجه، حكم عليه أن لا يدخل أبدا إلى أرض إسرائيل بسبب ضعفه عند تنفيذ الأوامر الإلهية (العدد 20). إن الدروس التي تستنبطها الديانة اليهودية من فشل هذه الحالات ليست بأن الله غير قادر على حماية أنبيائه من الخطيئة، ولكن بالأحرى فإن الدروس المستوحاة منها هي أنه حتى أكبر الشخصيات البشرية تظل بشرية، وبالتالي هي معرضة للضعف البشري. لا يمكن أن يكون البشر آلهة. نحن بالعكس من لحم ودم ومكتوب علينا أن نكافح مع صعوبات الحياة الحقيقية. ونظل دائما في حرية إرتكاب الخطأ، وربما نظل أحرارا في التغلب على أخطائنا. إن كفاحات الأبطال القدماء والأنبياء تمنح الإلهام والأمل للوقت الحاضر. إنهم كذلك

كانوا مطالبين بالكفاح. إذاً، فإننا نستطيع ذلك أيضا. ودرس آخر تستمده الديانة اليهودية من الشخصيات التوراتية غير الكاملة هو أنه حتى القوة العظمى لمنصب الملك، والملكية، أو النبوة لا تعفي المرء من مسؤولية المحاولة في كل الأوقات أن يخضع لإرادة الله.

التقنين والكتابات المقدسة الأخرى

إن تقنين الكتاب المقدس هو الفعل الرسمي لتحديد ما هو الأصل في الكتاب المقدس وما ليس بأصيل فيه. كل نص مقدس يمثل تشريعا (تقنين – Canon). وكل ما تحدد رسميا بأنه مقدس فإنه يعتبر مقننا. فتلك الكتب، والآيات، أو حتى الكلمات التي لا تعتبر مقدسة فهي خارجة عن التقنين. ولقد أصبح متفقا عليه بين علماء الدين بأن قيادة كل الأديان ذات الكتب المقدسة واجهت في وقت من الأوقات عملية التقنين الرسمي للنصوص المقدسة. فعندما ينتهي التنزيل على الأمة، فإن الزعماء يجمعون نصوص ذلك التنزيل، سواء كانت على شكل كتابة كاملة، أو على شكل مذكرات، أو محفوظة في ذاكرة الشواهد فانهم يجمعون تلك النصوص ويعتبرونها نصوصا رسمية لكلام الله. وفي أثناء هذه العملية، فإن الزعماء مطالبون بتحديد ما هو التنزيل الصحيح الملزم وما ليس بذلك. وعندما يتم العمل بالتقنين، فإنه لا يمكن أن يكون هناك تنزيل صحيح بعده[35]. وكل دين، إذاً، يرفض ادعاءات التنزيل الإلهي اللاحق سواء نشأت تلك الادعاءات من داخل التقليد الديني أو أنها نشأت من الأديان الأخرى. وهكذا، فإن اليهودية ترفض رسميا أن تقبل سلطة التنزيل لكل من العهد الجديد والقرآن، وترفض المسيحية هذا بالنسبة للقرآن، ويرفض الإسلام أن يقبل بأي وحي بعد القرآن كما تدعي بعض الجماعات الدينية مثل البهائية والأحمدية.

إن هذه الملاحظة حول نظرة الأديان لتنزيل الآخرين لا تعمل بشكل عكسي. فبالرغم من أن الأديان الأولى ترفض رسميا كل التنزيلات التي تأتي بعدها، فإن الأديان الجديدة تميل أن تعطي قيمة للتنزيل السابق بالرغم من أنها لا تقبل بها أبدا، على أنها صحيحة وملزمة. وهكذا فإن المسيحية تقبل التناخ (العهد القديم) كتنزيل صحيح، لكن لم تعد لديهم ملزمة إلا بالقدر الذي تستعمل فيه للتبشير بقدوم يسوع. وبذات الطريقة، فالإسلام يقبل الإنجيل والتوراة ويعتبرهما منزلة من عند الله، لكنه لا يعتبرهما صحيحتين. وهكذا فإن تلك الأجزاء فقط من العهد الجديد ومن التوراة التي تطابق بدقة معنى ورسالة القرآن هي التي تعتبر حقيقة تنزيلا صحيحا. (لا يوجد تنزيل إلهي معروف لدى الإسرائيليين القدماء، فلذلك لم تتخذ الديانة اليهودية موقفا من الكتابات المقدسة الماضية).

إن هذه الملاحظات حول الكيفية التي ترتبط بها الأديان مع الكتابات المقدسة للأديان الأخرى لا تعلن عادة عندما يناقش المؤمنون من مختلف الأديان القيمة النسبية لكتاباتهم المقدسة. يتخذ البرهان الديني عادة موقفا بالقول: بما أن هناك فروقات واضحة في المحتوى، والمعنى والتفسير بين الكتب التوحيدية الثلاثة المقدسة، وبما أن كل واحد منها يدعي كونه تعبيرا صحيحا لإرادة الله، فلا يمكن أن يكون إلا واحدا منها هو الصحيح. ولقد اتخذت كل الديانات

الثلاث الموحدة هذا الموقف. لكن بالرغم من وجود هذا الاتجاه على صعيد المؤسسات، فإن بعض الأفراد من اليهود والمسيحيين والمسلمين، قد قبلوا القيمة الأساسية وحقيقة الكتابات المقدسة للآخرين وجذبوا في بعض الأحيان أتباعا. وكما يعلم القرآن، نفسه، فإن الله أوحى إلى كل أمة وبعث إليها رسولا، وكل رسالة كانت خاصة بالمحيط الثقافي واللغوي المناسب لتلك الحضارة[36]. فلا غرو، إذاً، أن تملك الحضارات الدينية المختلفة سجلات مختلفة للتنزيل الخاص بها. وليس بالضرورة أن تعتبر الفروقات متناقضة. كل فرد مختلف، وتحركنا أشياء مختلفة وبطرق مختلفة. هل من المعقول أن لا يفهم الله هذه الحقيقة حول الطبيعة البشرية وبالتالي يدرك وجود طرق مختلفة للوصول إلى هدف طاعة الله والامتثال لإرادته. يبدو أن هذه الإمكانية هي المنطلق الأساسي لسورة المائدة، 5: 48[37].

ليس اليهود، بحسب الديانة اليهودية، الشعب الوحيد الذي سيدخل العالم المقبل (الجنة أو السماء) وكل الأشخاص الصالحين والمستقيمين من كل الأديان يملكون ذات الفرصة سواء أطاعوا كل الأوامر كما هي محددة تماما في التوراة، أم لا، بشرط أن لا يكونوا مشركين ووثنيين. لقد ورد في حديث مدون في التلمود أن الحكيمين الكبيرين الحاخام ايليعزر (Eliezer) والحاخام يهوشوع (Joshua) اختلفا حول معنى مزمار 9: 18 "ليعود الأشرار إلى جهنم[38]، كل الأمم التي تنسى الله". لقد فهم الحاخام إيليعزر أن النص يعني أن الأشرار من بني إسرائيل هم في ذات الطبقة مع غير اليهود (الأمم) الذين ستكون جهنم مآلهم في الآخرة. ولقد رد الحاخام يهوشوع على هذا التفسير فذهب بالقول أن أهم جملة في المزمار هي "التي تنسى الله". فالذين ينسون الله، "هم الذين كتب عليهم جهنم" فقط. وبالتالي فإن غير اليهود الذين يؤمنون بالله يستحقون العالم المقبل تماما كما يستحقه المستقيمون من اليهود[39].

التوراة والتقليد

لقد تطور تقليد مواز من الحكمة اليهودية منذ نزول التوراة في جبل سيناء، ويشار إليه عادة "بالقانون الشفوي" أو "التوراة الشفهية". إن هذا التقليد بحر من المعرفة الشفهية التي نقلها جيل إلى جيل عبر قرون عديدة. لم يدون هذا التقليد كتابة عدة مئات من السنين، لكنه انتقل بطريقة الخطابة من حكيم إلى تلميذ (Follower)، ومن والد إلى طفل. تشتمل هذه المدونة الكبيرة من الحكمة على قصص وأساطير وعلى مناقشات الحكماء حول الأدب والأخلاق، وعلى الأحاديث بين الحاخامات حول القضايا القانونية، وتشتمل على الأمثال والدروس والقصص الأخلاقية، وعلى البراهين القانونية التي تحلل مسائل دقيقة في القانون الإلهي. ولقد تم في النهاية جمع هذا التقليد الشفهي وتمت كتابته وتدوينه عبر عدد من القرون ابتداء من 200-600 تقريبا في أرض إسرائيل، وكذلك في العراق (معروف لدى اليهود ببابل) الذي كانت تعيش فيه جالية يهودية كبيرة.

التلمود توراة شفوية

لقد تم جمع التقليد الشفهي الذي يعتبر أكثر سلطة وإلزامية في مجموعتين تسميان المشناة والغماراه التي يكلف عليها التلمود مجتمعة. لقد أشرنا أعلاه عن الكيفية التي تطورت بها هذه الأعمال تأريخيا. يسمى التلمود التوراة الشفوية لسببين: أولا، لأن محتواه قديم يصل إلى العهود الأولى للذاكرة اليهودية، وثانيا، لأن لديه سلطة لا يعلو عليها إلا سلطة التوراة أو البنتاتوخ نفسه (الأسفار الخمسة الأولى من التوراة).

لقد تعلم موسى، بحسب التقليد اليهودي، كمية هائلة من الحكمة من الله مباشرة، وذلك عندما قضى أربعين يوما وليلة على جبل سيناء (الخروج 24: 18) لكن هذه الحكمة لم تكتب في التوراة المكتوبة التي أنزلت مباشرة لكل إسرائيل على الجبل. لقد نقل موسى هذه الحكمة شفاهة إلى خلفه يهوشع الذي نقله بعد ذلك إلى شيوخ القبائل الذين نقلوه بدورهم إلى الأنبياء.

نقل الأنبياء هذه الحكمة إلى الحكماء الكبار الذين دونوها في النهاية في التلمود (المشناة، أفوت 1: 1). لكن هناك بعض التفاوت حول ما إذا كان التلمود كله أو جزء منه فقط من الوحي الإلهي المنزل على جبل سيناء.

إن محتوى التلمود بأسره قد أنزل على موسى بشكل شفهي فوق جبل سيناء، بحسب ما يراه بعضهم، وبالنسبة للآخرين، فإن بعض القواعد التفسيرية للنصوص المقدسة والقانون فقط، هي التي نقلت وتعلمها الحكماء القدامى، فمكنتهم من تطوير آرائهم وأفكارهم الخاصة داخل إطار ما تأسس إلهياً. وفوق هذا، فإن يهودا آخرين لا يعتبرون أي جزء من التلمود إلهيا بشكل مباشر، ويرون عوضا عن هذا بأنه يعكس محاولات المتواضعين من بني البشر، لكنهم حكماء ، لفهم العيش بحسب مفهومهم للإرادة الإلهية.

إن التلمود يعتبر عملا في غاية الكثافة والصعوبة، وهو مكتوب بلغتين منفصلتين، العبرية والآرامية (غالبا ما تستخدم اللغتان معا في ذات السطر) مشتملا على طبقات عديدة من الحجج ومستويات كثيرة من المعاني. ومن المظاهر الممتعة جدا للتلمود هو أنه يسجل المناقشات والآراء المختلفة لكثير من الحكماء دون أن يتوصل، عادة، إلى نتيجة نهائية محددة حول الجواب الصحيح للتساؤل الوارد. ولم يصرح كذلك بحيثيات المبادئ أو النظرية لمختلف البراهين المقدمة عادة. فلهذا يجب على الذي يدرس التلمود أن يعمل من خلال براهين معقدة لكي يفهم القضايا وعواقبها، لأن العملية في غاية التعقيد والصعوبة. ويعتبر الانخراط في مثل هذه العملية الصعبة مثل دراسة التلمود شرفا، ليس فقط لأن هذا النوع من الدراسة يعتبر محتوما كوسيلة لفهم أفضل للإرادة الإلهية، لكن كذلك كوسيلة تحفز تطوير القدرة الفكرية للفرد.

المدراش

بالرغم من أن التلمود لم ينحرف عن المبادئ العامة التي وضعتها التوراة المكتوبة من الكتاب المقدس، إلا أنه منظم بشكل مستقل. فلهذا، لا يمكن اعتباره تعليقاً مباشرا على العهد القديم نفسه. ولكن الديانة اليهودية تعتبر مرتبطة جدا بالتوراة المكتوبة من الكتاب المقدس إلى درجة أنه منذ القدم قد تطورت تعليقات مباشرة على أجزاء الكتاب المقدس، وانتقل كثير منها شفهيا من جيل إلى جيل. ولقد تم جمع أقدم التعليقات في أعمال تسمى مجتمعة، المدراش. إن لفظة المدراش مشتقة من ذات المصدر الذي اشتق منه فعل درس في اللغة العربية. والمدراش، حقيقة، هو سلسلة مجموعة من التعليقات القديمة على كل أجزاء التوراة بتنظيم وتقسيم مختلفين من مجموعة إلى أخرى. فكل جزء من كتاب في المدراش يمكن أن يكون قصيرا جدا وبعضه يصل في القصر إلى كلمات قليلة أو جملة واحدة. ويجمع عدد من هذه الأجزاء، غالبا، لتشكل فقرات طويلة، وتنظم هذه الفقرات، فيما بعد، على شكل فصول وكتب كاملة. إن كثيرا من هذه الأجزاء القصيرة من المدراش، مدون تحت إشراف حاخام أو حكيم بينما ظل مدوّن بعضها مجهولا. إنهم يعلقون على التوراة من وجهات نظر واسعة ومتباينة، ويخوضون في كل شئ من الأساطير القديمة إلى القوانين، والأشعار والدروس الأخلاقية. وبالرغم من أن المدراش نشأ في ذات الفترة التي نشأ فيها التلمود، إلا أن عملية المدراش لم تتوقف نهائيا إلى درجة أن عملية تجميع المدراش وكتابته ما تزال مستمرة من كتابات العصور الوسطى وحتى كتابات العصر الحديث. وبالرغم من كون المدراش يحظى باهتمام بالغ وله قيمة أخلاقية ودينية عميقة إلا أنه لم يحقق المستوى العالي نفسه الذي حققه التلمود في نظر اليهود. وهذا هو الحال بالرغم من أن جزءا من التلمود ذاته على شكل المدارش وبالرغم من وجود بعض أجزاء المدراش كذلك في التلمود.

هالاخاة وأغاداة

يحوي كل من العهد القديم والتلمود والمدراش على مادة واسعة ومختلفة. وتنقسم هذه المادة، تقريبا، إلى ما يسمى بالعبري هالاخاة (Halakhah) أي الشريعة وأغاداة (Aggadah) أي القصة. تشير الشريعة إلى المادة القانونية في كل هذه الأعمال وتشبه في المعنى الشريعة الإسلامية. وكما أشير إليه أعلاه في الفصل الثالث فإن اللفظتين لهما ذات المعنى الأساسي: الشريعة تعني "الطريق إلى مكان الماء" أو "الطريق إلى المنبع" وتعني هالاخاة "طريق للسلوك"، أو "شيء للمرور عليه".

تطلق كلمة أغاداة (Aggadah) على المواد غير القانونية التي تشتمل على الأساطير، والحكم والقصص الأخلاقية، وتشتمل على الحوارات والمناقشات الدينية، والشعر والفولكلور وتشتمل حتى على الإرشادات الطبية وعلى معلومات أخرى.

آراء اليهود حول التوراة

لقد تحدد بأن الحياة الإنسانية المستقيمة لا تتم إلا بتوجيه إلهي، والتوجيه الإلهي، بالنسبة لليهود هو التوراة التي تعني أوسع مدى المعرفة اليهودية. وفي الحقيقة، فإن خلق البشرية، لم يحدث بحسب التقليد اليهودي، إلا من أجل هدف محدد وذلك في اتباع نظام حياة مبني على التوراة الإلهية. ويظهر أن التوراة، بحسب هذه الفرضية، لها وجود حتى قبل خلق البشرية أو بقية العالم لأن التوراة تعتبر نوعا من النموذج للحياة في هذا العالم.

لقد اختلف اليهود حول وجود التوراة قبل الخلق، لكن القضية لم تصل إلى درجة الخلاف الإسلامي الكبير في القرن التاسع عن المحنة حول خلق القرآن الذي بدأه المعتزلة. لقد نقل عن الحاخامات في التلمود أنهم يدرسون أن التوراة المكتوبة بنار سوداء على نار بيضاء قد سبقت وجود العالم بألفي سنة[40].

ومال فلاسفة العصور الوسطى إلى عدم الموافقة مع فكرة أزلية التوراة أي أنها لم تخلق، ولكن الخلاف مستمر منذ قرون. وظل هذا البرهان، مثل معظم الخلافات الدينية في اليهودية، دائما أكاديميا دون إنزال أية عواقب ضد من يتخذ أي من الموقفين.

ولقد استمر الجدال داخل الطائفة اليهودية حول طبيعة التوراة منذ بداية العصر الحديث. كانت النظرة التقليدية مفادها أن الله أعطى التوراة للشعب اليهودي على جبل سيناء وأن بقية الكتاب المقدس منزل أو من وحي الله وأن جذور التوراة الشفهية، إن لم يكن كلها هي أيضا من مصدر التنزيل الأصلي على جبل سيناء. ولقد تطورت آراء أخرى منذ بداية العصر الحديث. فبعض اليهود لا يعتبر إلا الحومش (الأسفار الخمسة الأولى من التوراة) إلهية، ويعتبرون بقية أجزاء التوراة كأعمال بني الإنسان وجدت بسبب حبهم لله ومن اهتمامهم بطاعة الإرادة الإلهية.

لا يعتبر الآخرون إي جزء من التوراة كتنزيل مباشر، ومن عند الله دون تغيير، ويرونه بدلا من ذلك كمحاولات إنسانية لفهم إرادة الله في التأريخ والعمل على ضوئها. لقد تجادل اليهود كثيرا حول هذين الموقفين بانفعال وقوة، في بعض الأحيان. ولكن، بالرغم من الرأي الشخصي حول طبيعة وألوهية التوراة، وحتى في الأوقات التي تطغى فيها الشتائم والغضب على مناقشة هادئة وجدال منطقي فإنه نادرا ما يصل اليهود إلى تبادل الكلمات، أو أنهم حاولوا طرد أي واحد من الطائفة اليهودية بسبب آرائه. وتكمن القيمة الثقافية العامة للديانة اليهودية في الدفاع بالقوة عن الآراء الشخصية.

ولكن دون محاولة فرض المعتقد. وفي النهاية فإن الله سيحدد مصير الشخص في هذا العالم وفي العالم القادم، وسيعتمد هذا المصير على أفعال الشخص بدلا من آرائه.

الفصل الثامن

إسرائيل

ظلت إسرائيل مجتمعا صغيرا جدا خلال الحقبة التوراتية وكانت دائما محاطة بشعوب أخرى كانت كلها من عبدة الأوثان. ولهذا يصف الكتاب المقدس إسرائيل كشعب مختار (عام سغولاة) (الشعب المحتبى)، الأمة الوحيدة التي تحظى بعقد مع الله عبر الميثاق. ويشار إلى هذه العلاقة الخاصة "كانتخاب" لإسرائيل التي تحمل في طياتها مسؤولية كبيرة جدا مع ما يتناسب معها من العقوبات والجزاءات: "إياكم وحدكم اخترت من بين جميع قبائل الأرض لهذا أعاقبكم على جميع آثامكم" (عاموس 3: 2). لم تكن مكانة إسرائيل الخاصة نتيجة لقوة خاصة أو حتى نتيجة جدارة أصيلة، بل إنها من فعل المحبة الإلهية والوفاء بالعهد الذي أعطى لإبراهيم والأجداد البطاركه ويعبر سفر التثنية عن هذه النقطة بشكل واضح.

> "لأنكم شعب مقدس للرب. فإياكم قد اختار الرب من بين جميع شعوب الأرض لتكونوا شعبه الخاص. ولم يفضلكم الرب ويتخيركم لأنكم أكثر عدداً من سائر الشعوب. فأنتم أقل الأمم عددا. بل من محبته وحفاظا على القسم الذي أقسم به لآبائكم" (سفر التثنية 7: 6-8).

بالرغم من المكانة المميزة لإسرائيل في علاقتها مع الله فإن عددا من جيرانها يحظون بحضارات مادية أكثر تقدما قد انجذبت لها إسرائيل. وتصف التوراة، أحيانا، إسرائيل بأنها اغترت بجيرانها وآلهتهم، لأن الدخول في ثقافة أجنبية كان يتطلب، في العصور القديمة، عبادة آلهتهم.

إن معظم الثقافات الوثنية القديمة من بلاد ما بين النهرين إلى بلاد اليونان، ومصر، أو بريطانيا تؤمن بآلهة كثيرة من الطبقات العامة نفسها: فإله للطقس، وإله للبحر، وإله للخصوبة وإله للحرب...إلخ. ولكن لدى كل ثقافة معينة اسم مختلف في لغتها لكل من الآلهة كما تختلف أيضا صور الآلهة من ثقافة إلى ثقافة. ويشتمل جزء من النشاط الثقافي اليومي لكل هذه الحضارات على الاعتراف بإحسان وقوة الآلهة. ولا يهم كثيرا، عند الشعوب الوثنية تقديم القربان وعبادة إله معروف باسم معين في حضارة ما، ويعرف باسم آخر في حضارة أخرى. فلهذا فإن الانصهار الديني في ثقافة جديدة وكذلك امتصاص آلهتها ليست أشكالية كبيرة، لكن يستحيل بالنسبة للموحدين احترام آلهة أمة أخرى، والبقاء، في الوقت نفسه، على طاعة آلهة العالم الواحد. فلهذا كانت إسرائيل تحت ضغط كبير عدة قرون للبقاء مميزة عن كل الشعوب والحضارات الأخرى من أجل البقاء على طاعة الله. وتحتوي التوراة على عدد من الأحداث التي تصف مجموعات من الإسرائيليين الذين وقعوا فريسة إغواء الثقافات الأجنبية وآلهتها، وقد عوقبوا على ذلك بحسب إثمهم. لكن التوراة تشير إلى أن شعب إسرائيل لن يزول أبدا بالرغم من العقوبات التي نزلت به (إرميا 31: 26-27). ستقضي إسرائيل عقوبتها وتفتدي؛ وهذا الافتداء هو الذي سيجلب الخلاص لكل الأرض (إرميا 2: 17-18).

إن المجهودات الكبيرة المطلوبة من أقلية صغيرة للبقاء مطيعة لإله غير جلي، دون اللجوء إلى اتخاذ صور له قد أدت إلى تشجيع إسرائيل للبقاء بعيدة عن الشعوب الأجنبية والانطواء على نفسها. وهكذا فقد أصبح الانعزال عن الشعوب الأجنبية جزءا من الثقافة اليهودية على مر قرون عديدة عندما كان اليهود الموحدين الوحيدين في العالم. ولقد خفت هذه الخصلة للديانة اليهودية، نوعا ما، مع تطور الأنظمة الموحدة لكل من المسيحية، والإسلام. ففي العصور الوسطى، اختلط اليهود اجتماعيا واقتصاديا مع جيرانهم الموحدين أينما رحب بهم في الحضارة الإسلامية والمسيحية. ولكن الميل الأصلي الداخلي للانعزال عن الشعوب الأخرى الذي يجب أن يضاف إليه القوى الخارجية المتمثلة في سياسات الإمبراطوريات المسيحية والإسلامية الكبيرة التي تقضي بتهميش اليهود من خلال قوانين التمييز العنصري، قد رسخت في اليهود ميول البقاء في معزل عن بقية الشعوب. لقد خفت هذه الظاهرة كثيرا في العصر الحديث. ولكن بشاعات المحرقة (Holocaust) أدت إلى الاحتفاظ بالحاجز السيكولوجي كما فعلت الخمسين سنة من الحرب المتواصلة التي لونت تأريخ دولة إسرائيل بوجود تضارب عميق، اليوم، بين كثير من اليهود. فمن جهة، فإن الشعب اليهودي يعتبر جزءا من العالم الحديث واليهود العصريون الذين يعيشون في إسرائيل أو في الشتات هم مندمجون في كثير من الوجوه ويعتبرون في كثير من مناطق العالم، بالخصوص في العصر الحديث، عالميين من الدرجة الأولى، وتنصهر أجزاء مهمة من المواطنين اليهود في وسط المجتمع العام إلى درجة أن كثيرا منهم، خصوصا في الولايات المتحدة، يفقدون تماما، ما يميز يهوديتهم. ومن جهة أخرى، فإن عددا من اليهود يحتفظون بإرتياب طبيعي تجاه الغريب، خصوصا في البيئات التي عانى فيها اليهود من الهجمات القاتلة، ومن اضطهادات سابقة، أو أنهم لم يستقبلوا فيها بترحاب. فلهذا سيجد المرء انفتاحاً أكبر في مكان مثل الولايات المتحدة وانغلاقا أكبر فيما كان يسمى بالاتحاد السوفياتي، وألمانيا أو إسرائيل حيث كان اليهود في موقف الدفاع نما فيه عندهم شعور بالحذر المفهوم في تلك الظروف.

إسرائيل ديانة أم شعب؟

نعود في هذا الجزء إلى السؤال حول كون إسرائيل (الشعب وليس الدولة الحديثة بهذا المسمى) ديانة أو شعبا، وسيظل الجواب غامضا شيئا ما، بالنسبة للغربيين. إن التعاريف الغربية للديانة وللشعب، هي في الحقيقة، مستنبطة من مجموعة من الظروف الثقافية الخاصة بالعالم الغربي المسيحي. إن التصريح الذي ورد في الإنجيل "أعطوا ما لقيصر لقيصر. وما لله لله"[41] أخذ مفهوما كدرس يعلم بأن الدين والدولة وحدات منفصلة عن بعضها لا تتطابق مع بعضها، ولا تتداخل في شئون بعضها البعض. إن الهوية الدينية في الغرب مبنية بالكامل على النظام العقائدي الشخصي الذي ليس له بالضرورة علاقة بثقافة الفرد أو إثنيته، أو هويته الوطنية. ولكن التنظيم والتحديد الذاتي للديانة اليهودية (ويمكن البرهان على ذلك في الإسلام) هو في صف الحضارة القومية الدينية التي يعبر فيها عن

الإيمان، والشعائر، والأخلاق، والقواعد المدنية للسلوك مجموعة مع بعض وهي متوقعة بالتساوي. لا يمثل شعب إسرائيل إيمانا أو نظاما عقائديا بمفرده، لأن الديانة اليهودية، كما ذكر أعلاه، لا تفرض الايمان بالإجبار. ولكن إسرائيل ليست، كذلك، جماعة إثنية أو ثقافية – لأنه، بالرغم من وجود عدد من المظاهر الثقافية للحضارة اليهودية – فإنه يوجد كثير من الثقافات اليهودية الفريدة مع الأطعمة والعادات واللغات من شمال أوروبا، والشرق الأوسط، وجنوب غرب آسيا، وشمال إفريقية، والقوقاز، وأوروبا الشرقية... إلخ, وبالتأكيد فإن إسرائيل لا تمثل جنسا معينا، لأن اليهود يمكن أن يكونوا سودا أو بيضا ويمثلون صفات أجناس مختلف الشعوب. وهي ليست ديانة فقط ولا هي مجرد ثقافة أو إثنية أو جنس، بل ربما خليط الكل ويمكن وصف الشعب الإسرائيلي بشكل أفضل كثقافة دينية كان لها وجود، ونمو، وتطور أكثر من ثلاثة آلاف سنة.

لقد ذكرنا عددا من المرات بأن الديانة اليهودية لا تشرع الإيمان لكنها تشرع السلوك. وإن كان، بكل تأكيد، أكثر انسجاما وأكثر سهولة ملاحظة السلوك اليهودي السوي إذا كان المرء يؤمن بالله وبالطبيعة الإلهية للتوراة، فإن هذا ليس مطلبا دينيا. وتختلف هذه الظاهرة في الديانة اليهودية من الديانة المسيحية والديانة الإسلامية اللتين تتوقعان وتفرضان بعض المعتقدات الأساسية. تفترض الديانة اليهودية معتقدات أساسية، لكنها لا تفرضها، ولم يوجد في أي وقت أي شيء في التاريخ اليهودي مشابه لمحاكم التفتيش (Inquisition). والقليل من الحالات التي تم فيها الطرد من الديانة اليهودية كانت مبنية في خاتمة المطاف على السلوك بدلا من المعتقد. ففي هذه الحالات فإن الأفعال المدمرة التي اتخذت على حساب المجتمع لتنمية أفكارها هي التي أدت إلى الطرد وليست الأفكار في حد ذاتها.

إسرائيل والشعوب الأخرى

يشكل اليهود – منذ نحو ألفين سنة تقريبا – وعلى العموم، أقلية في الأماكن التي يعيشون فيها. وحتى في أرض إسرائيل في الأيام الغابرة التي كان فيها اليهود، بكل تأكيد، الأغلبية الساحقة لأن البلد كان صغيرا ومحاطا بعدد من الشعوب الأخرى غالبا أكبر من اليهود، وكلها وثنية، فإن اليهود رأوا أنفسهم كأقلية وكانوا يتصرفون تبعا لذلك. يميل اليهود دائما لرؤية أنفسهم على أنهم قليلون وضعفاء يحاولون المحافظة على تقاليدهم من جراء الضغوط من الخارج. وقد كان هذا يؤثر دائما على النظرة الذاتية اليهودية وعلى نظرة اليهود لغيرهم. لا بد أن تتذكر أن الشرك (Polytheism) كان هو القاعدة، وكان التوحيد استثناء القرون وآلاف السنين. فقبل ظهور المسيحية والإسلام يحتمل أن يكون هناك وجود للأفراد الذين أدركوا وحدة الله لكن اليهود كانوا هم الموحدين المنظمين الوحيدين في عالم كان الشرك فيه هو القاعدة. فلهذا ليس غريبا ملاحظة اعتبار الاختلاط الحر مع غير اليهود تهديدا. وليس غريبا أيضا ميل اليهود إلى تنظيم أنفسهم في جماعات محكمة الانغلاق لحماية طريقة حياتهم الدينية من التأثير الخارجي.

وبالرغم من الوضوح القاطع بأن الشرك حرام على اليهود، إلا أنهم كانوا يناقشون منذ القدم احتمال مشروعية عبادة الأوثان لغير اليهود، أو أن عبادة آلهة أخرى كانت دائما غير مقبولة لأي واحد. فإن كان الشرك مشروعا للآخرين، هل من واجب اليهود أن يتركوهم لحماقتهم بكل بساطة، أو أن عليهم أن يحاولوا ردهم إلى الطريق الصحيح؟ إذا كانت عبادة الآلهة المتعددة دوما غير مقبولة من أي واحد، هل يقوم الوثنيون بهذه الممارسة الدينية نتيجة خطأ غير مقصود، أم نتيجة نية شريرة؟

تؤثر الأجوبة المختلفة لهذه الأسئلة على موقف المرء، ولم تكن آراء اليهود حول غيرهم خالية تماما من التناقضات عبر التاريخ. وبالرغم من أن التوراة لا تساوم في مطالبتها إسرائيل بعبادة الله الواحد، فإن بعض النصوص مثل التثنية 4: 19 و 29: 25 توحي بأن الله ربما لا يتوقع أن يكون كل الناس موحدين. لدينا العلم بأن بعض اليهود قاموا بالدعوة إلى الدين منذ العهود الإغريقية الرومانية، على الأقل وقد تهود عدد كبير من الوثنيين الإغريق والرومان، لكنه يبدو أن آخرين من الأمة اليهودية لم يدعموا هذه الدعوة، وبالفعل قد طورت جماعات مختلفة من اليهود مواقف مختلفة تجاه التقاليد الدينية التي رأوها حولهم تتراوح بين عدم الانحياز إلى الإدانة.

لكن، بعد خراب الهيكل الثاني سنة 70 ميلادي (CE)، وظهور المسيحية ونجاحها في الشرق الأوسط، وجد اليهود أنفسهم كثيرا في موقف الدفاع. وعندما أصبحت المسيحية ديانة الأمبراطورية الرومانية في القرن الرابع، أثرت الكنيسة على الأباطرة لعزل اليهود ووضع قيود على حقوقهم بالتشريع. إضافة إلى هذا فإن زعماء الكنيسة طوروا أفكارا دينية تعلم وجوب اجتناب اليهود، وتعلم كذلك أن اليهود هم سبب الشر في العالم، بناء على اتهامهم بقتل الله (في شكل المسيح)، لقد أحدث هذا النوع من المعاملة توترا كبيرا بين اليهود والمسيحيين على الصعيد الرسمي، وتألم اليهود من جراء ذلك على جميع أصعدة العلاقات الإنسانية.

لقد أصدر الإسلام عددا من القوانين المماثلة التي تقيد حقوق اليهود عندما أصبح الحضارة الدينية المسيطرة في الشرق الأوسط. لكن الإسلام، لم يطور عقيدة دينية مبنية على الشر المتأصل في اليهود كما فعلت المسيحية. وبالرغم من الحظوظ السيئة والصعوبات التي واجهها اليهود تحت الحكم المسيحي والإسلامي، فإن آراء اليهود حول المسيحيين والمسلمين ظلت مختلطة كما كانت تجاه الوثنيين في فترة سابقة. قد لا يكون خطأ، وصف اليهود بأنهم ماديون رغم ذلك، ولكن، بكل تأكيد، فإنهم لا يكنون أي مودة للأنظمة السياسية الدينية وأتباعها الذين يعتبرهم اليهود سبب وضعهم المزري.

من المعقول وصف أتباع الديانات الثلاث الموحدة بأنهم يؤمنون بأن طريقة ممارسة ديانتهم الخاصة هي التي تمثل أفضل جواب للإرادة الإلهية. ومن الطبيعي أن تشكل هذه الحقيقة مصدر احتكاك بين المؤمنين من بين الأديان المختلفة. وبالرغم من أن اليهود يرون دينهم بأنه أعلى من الأديان الأخرى، مثلهم في ذلك مثل المسيحيين والمسلمين، فإن الديانة

اليهودية لا تعلم الكراهية تجاه المسيحيين والمسلمين ولا تجاه المسيحية والإسلام. لهذا، فإن الموقف اليهودي الفعلي يميل إلى انعكاس معاملة اليهود على أيدي القوى المسيحية والمسلمة. وعندما يتم الترحيب باليهود، فإنهم يلتحقون بالمضيفين ويقدرونهم. وعندما لا يرحب بهم فإن موقفهم يصبح أكثر سلبية تجاه المضيفين، وذلك على ضوء المعاملة التي تلقوها. إذا قدر للمرء القراءة في المكتبة الواسعة للأدب والقانون اليهودي، فإنه سيجد مادة تدين بشدة غير اليهود تحظر أي نوع من التعامل معهم. وسيجد، أيضا في قراءته مادة ليست خالية من تشجيع التفاعل القريب مع غير اليهود. وعند التمعن القريب فإن المرء سيجد بأن الموقف اليهودي، في كل الحالات تقريبا، يعكس الوضع التأريخي الخاص المتمثل في المعاملة الطيبة وغير الطيبة لليهود من قبل حكامهم من غير اليهود.

واليوم، كما هو الحال تقريبا في كل عصر آخر، فإنه لا يوجد أي تعليم يهودي رسمي يبارك أو يدين الإسلام أو المسلمين. وكما هو الحال عادة، فإن الوضع السياسي الاجتماعي والاقتصادي الراهن يؤثر على تفكير الناس في بعضهم البعض. لهذا، فإن الصراع الحالي بين إسرائيل والفلسطينيين وشرق أوسطيين آخرين قد أثر تأثيرا بالغا على اتجاهات الناس ومعتقداتهم. وبحكم سفرياتي الواسعة في كل من إسرائيل، والمناطق الفلسطينية، والأردن ومصر، فإنني شاهدت الغضب والإحباط اللذين عبر عنهما المسلمون واليهود معا تجاه بعضهم البعض كنتيجة للصراع الذي يبدو مستمرا إلى الأبد. إن الأشخاص الذين يشعرون بالغضب والإحباط يميلون إلى التمسك بالأفكار المسبقة السلبية. فلقد سمعت المسلمين يقولون لي بأن المرء لا يستطيع أبدا أن يثق بيهودي، وسمعت اليهود يقولون لي بأن المرء لا يستطيع أبدا أن يثق بمسلم. وسمعت في كلتا الحالتين، كل طرف يدين ديانة الطرف الآخر على أنها مضللة، وبدائية، وعنيفة. لكن من الواضح أنه لا يستند أي واحد من الموقفين على تعليم ديني رسمي، بالرغم من واقع ميل اليهود والمسلمين معا، إلى الشعور بأن شكل ديانتهم الموحدة أفضل من غيرها. وفي الحقيقة، فإن اليهود يشعرون، على العموم، بارتياح في البيئات الدينية الإسلامية أكثر من البيئات المسيحية وذلك لأن الإسلام أقرب إلى اليهودية من المسيحية في نظامه التشريعي ورفضه لفكرة الثالوث. وإذا كان التقليد اليهودي يحرم على اليهود دخول الكنائس التي تزين فيها الجدران بتماثيل وصور المسيح والأولياء، فإنه لا يحرم على اليهود دخول المساجد التي لا يوجد فيها أية محاولة لتمثيل الآلهة، أو البشر.

أرض إسرائيل

إن مسألة ملكية الأرض الواقعة بين وادي الأردن والبحر الأبيض المتوسط تعد إحدى أصعب المشاكل العالمية في القرن العشرين. لقد قدمت إدعاءات دينية ووطنية، معا. لتبرير السيطرة على المنطقة من قبل اليهود والعرب أو المسلمين معا. لا تستهدف المناقشة هنا محاولة إقناع أي واحد بأن المطالب اليهودية للأرض هي أكثر عدالة ومنطقية من مطالب الفلسطينيين والعرب بعامة، أو المسلمين. إن هدف هذه الفقرة من الكتاب بكل بساطة هو بحث المواقف اليهودية الأساسية فيما يتعلق بالأرض.

تعرف هذه الأرض في التقليد اليهودي كأرض إسرائيل، ويردد العهد القديم كثيراً العهد الإلهي على أن الأرض قد أعطيت لإسرائيل. وقد أتت لفظة "أرض الميعاد" من هذا الوعد الإلهي، المتضمن في أول قول الرب لإبراهيم في سفر التكوين 12: 1-2 "اترك أرضك وعشيرتك وبيت أبيك واذهب إلى الأرض التي أريك. فأجعل منك أمة كبيرة وأباركك وأعظم اسمك وتكون بركة لكثيرين". ولقد صرح بالوعد بشكل مختصر في سفر التكوين 15: 18-19 بالقول: "في ذلك اليوم عقد الله ميثاقا مع أبرام قائلا: سأعطي نسلك هذه الأرض من وادي (مصر) العريش[42] إلى النهر الكبير، نهر الفرات". وتعتبر هذه الحدود أوسع الحدود التي نص عليها العهد القديم وتحدد قطعة أرضية ممتدة تقريبا من غزة في الجنوب الغربي إلى نهر الفرات. ولكن في بعض مقاطع العهد القديم الأخرى، فإن الأرض التي حددها الميثاق تعتبر صغيرة جدا. ففي سفر التكوين 17، مثلا فإن حدود أرض الميعاد مقتصرة على منطقة الكنعانيين الذين تجول إبراهيم في وسطهم (17: 27): "وأقيم عهدي الأبدي بيني وبينك، وبين نسلك من بعدك جيلا بعد جيل، فأكون إلها لك ولنسلك من بعدك. وأهبك أنت وذريتك من بعدك جميع أرض كنعان التي نزلت فيها غريبا ملكا أبديا وأكون لهم إلها".

وبحسب تأريخ العهد القديم، فإن ذرية إبراهيم لم تستطع التمتع بوعد الله عدة قرون لأنها نزلت إلى مصر خلال مجاعة فظيعة، وبقيت هناك بعد نهاية المجاعة وفي النهاية دخلت في العبودية. لم تستطع ذرية إبراهيم الرجوع إلا بعد أربعة قرون عندما حرر الله بني إسرائيل من العبودية المصرية من خلال زعامة موسى الذي قادهم إلى حدود الأرض الشرقية قرب وادي الأردن. وقاد بني إسرائيل، بعد ذلك، خلفه يشوع، إلى غزو الأرض من مختلف الشعوب القبلية التي تقطن هناك وتعرف هذه الشعوب مجتمعة بالكنعانيين. وفي هذه الفترة تقريبا قد تغير اسم الأرض في العهد القديم من أرض كنعان إلى أرض إسرائيل.

إن النظرة التوراتية في أساسها مبنية على الفكرة بأن الأرض، في الحقيقة، ملك إلهي، وليست ملكا لشعب واحد معين. وبحسب سفر يشوع (الفصل 23) لم ينجح بنو إسرائيل في غزو الأرض لأن الله أراد ذلك. إن الله هو المالك للعالم بأسره يهب أجزاء لمن يشاء، وهو الذي وهب أرض إسرائيل إلى شعب إسرائيل. ولكن يمكن أن ينتج عن عدم طاعة الله سحب الحماية الإلهية وبالتالي فإن ذلك قد يسبب في هلاك إسرائيل وحتى في ضياع الأرض. إن الأرض مقدسة ويجب أن لا تدنس بالبغاء، وسفك الدماء وجرائم أخرى[43].

أعلن الأنبياء في كتب النبوة اللاحقة وقوع الهلاك على إسرائيل وعلى أرض إسرائيل، وذلك بسبب المعاصي والذنوب التي اقترفوها. وقد اتخذ إرميا بالخصوص، موقفا إيجابيا من المنفى، وذهب إلى حد حث الناس على مغادرة أرض إسرائيل والذهاب إلى بابل (38: 2). لكن هناك عدد من الوعود للإعادة بجانب نبوءات التشاؤم مثل نبوءة عاموس (9: 14-15): "وأرد سبي شعبي إسرائيل فيعيدون بناء المدن المدمرة ويسكنونها، ويزرعون كروما ويشربون من خمرها ويغرسون جنات ويأكلون من ثمارها وأغرس شعبي في أرضهم فلا يستأصلون ثانية أبدا من الأرض التي وهبتها لهم يقول الرب".[44]

وكما يمكن فهمه بسهولة من هذا النص فليس هناك تحديد للفترة الزمنية لعودة إسرائيل إلى الأرض. يمكن أن يفهم بأن العودة قد تتم في أي وقت. فبعد خراب الهيكل في القدس سنة 70، وبعد القضاء الفظيع على ثورة باركوخبا ستين سنة بعد خراب الهيكل، فإن الناجيين ما زالوا ينتظرون العودة من الوحي الإلهي. إن هذا الانتظار واضح من المدونة القانونية المعروفة بالمشناة التي اكتمل إعدادها سنة 200، ثلثها، بالكامل، يتطرق إلى القوانين المتعلقة فقط بالحياة داخل أرض إسرائيل. ولقد سجلت في الفترة نفسها كلمات حكيم وحاخام مشهور.

> لقد فتح الكاهن شيمون باريوحاي النقاش بنص من كتاب حبقوق في التوراة (3: 6) "قام الرب ومسح الأرض". تبارك الذي هو المقدس اعتبر كل الأجيال ووجد بأن الجيل الوحيد الذي يستحق أن يتسلم التوراة أكثر من غيره هو جيل الصحراء، تبارك الذي هو المقدس، لقد اعتبر كل الجبال ووجد بأن الجبل الوحيد الذي يستحق أن تنزل عليه التوراة هو جبل سيناء، تبارك الذي هو المقدس، اعتبر كل المدن ووجد بأن المدينة الوحيدة التي يمكن بناء الهيكل فيها هي القدس، تبارك الذي هو المقدس، اعتبر كل الأراضي ووجد بأن الأرض الوحيدة المناسبة لمنح إسرائيل هي أرض إسرائيل. ولم يجد سوى أرض إسرائيل. وقد ورد هذا (في نصوص التوراة لحبقوق). "قام الرب ومسح الأرض وأطلق الأمم".[45]

وبناء على قراءتهم للتوراة، فإن الحاخامات يعتبرون بأن الارتباط بين التوراة الإلهية وأرض إسرائيل وشعب إسرائيل، هو ارتباط حميم غير قابل للكسر. ويشيرون إلى الأرض (بالعبري: هآرتس)، "كما يشيرون إلى البلدان خارجها ب حوتس لهآرتس "خارج الأرض". وتعتبر هذه المفردات حتى اليوم الطريقة الأكثر شيوعا للإشارة إلى دولة إسرائيل وإلى المناطق غيرها. ولقد ورد كذلك في التلمود (برخوت) "أعطى، تبارك الذي هو المقدس، ثلاث هدايا نفيسة لإسرائيل وقد أعطيت كلها من خلال المعاناة. وهذه الهدايا هي: التوراة، وأرض إسرائيل، والحياة الأخرى".

إن عمق الشعور تجاه أرض إسرائيل ليس، بكل بساطة، قضية عاطفية بالنسبة لليهود الملتزمين، بل هو شعور ديني عميق، وحتى شعور قانوني أيضا. وكما سبقت الإشارة إليه قبل قليل، فإن ثلث قوانين المشناة تنطبق مباشرة بالحياة داخل أرض إسرائيل. وتتعلق تلك القوانين في الغالب بقوانين الزراعة والقوانين المرتكزة حول مدينة القدس والهيكل، ولا ينطبق أي قانون منها خارج حدود أرض إسرائيل. وبالنسبة للمتدينين من اليهود بخاصة، فإن الحياة خارج الأرض تعني بأن المرء لا يستطيع الإيفاء بمعظم مطالب الأوامر الإلهية. فالحياة اليهودية الكاملة ليست ممكنة إلا من خلال الحياة الدينية اليهودية المنظمة داخل حدود أرض إسرائيل. إن هذه الحقيقة تجعل أرض إسرائيل أكثر قداسة من أي أرض

أخرى. وبحسب التلمود في المشناة كليم (1: 6-9)، يوجد عشر درجات للقداسة. أرض إسرائيل أقدس من أي أرض أخرى. والمدن الميسورة (في أرض إسرائيل) تكون فوقها أكثر قداسة... ويكون داخل السور (للقدس) بعدُ أكثر قداسة... والهيكل فوق هذا أكثر قداسة".

يمكن، لذلك تقديم أمثلة أكثر عن عمق الارتباط اليهودي بالأرض وبمدينة القدس. فالصلوات اليهودية اليومية تدعو الله ليجمع اليهود من كل أنحاء العالم، ويعيدهم إلى أرض إسرائيل حيث ستعاد السيادة اليهودية تحت قضاء الله وقدره. ويتضمن آخر تصريح في القيام بشعائر يوم العبور ويوم الغفران، الذي يعتبر أقدس يوم في التقويم السنوي اليهودي، الدعاء للعودة إلى القدس في السنة المقبلة.

يمكن التساؤل: لماذا، إذاً، لم يحاول اليهود، العودة إلى أرض إسرائيل خلال كل تلك القرون في النفي؟ لماذا لم تبدأ الحركة الصهيونية إلا في نهاية القرن التاسع عشر تحت تأثير القومية والاستعمار الأوروبي الحديث؟ وبما أن الارتباطات اليهودية مع الأرض قوية ومتغلغلة في الأعماق فلماذا لم نشاهد محاولات سابقة للمطالبة بها؟

إن السؤال وجيه والجواب بسيط: كانت هناك محاولات عديدة من الحركات اليهودية لإعادة السيطرة على أرض إسرائيل منذ العهد الروماني. وكانت نتيجة الثورة الكبرى ضد روما سنة 66 خراب الهيكل وإحراق مدينة القدس. وتسببت انتفاضة باركوخبا سنة 135 في مذابح فظيعة ضد اليهود وطردهم من كل الأراضي المحيطة بالقدس. ولقد أدت المحاولات اليهودية اللاحقة لإعادة أعداد كبيرة إلى الأرض إلى فشل ذريع وتدمير المجتمعات اليهودية. وكنتيجة لهذا الوضع فإن بعض حكماء التلمود توصلوا إلى نتيجة مفادها منع اليهود من محاولة القيام بإعادة أنفسهم إلى أرض إسرائيل. ولقد أصبح تقليدا يهوديا وحتى قانونيا انتظار العودة النهائية التي تنبأ بها أنبياء العهد القديم. وأصبح نص مشهور في التلمود أساس هذا الموقف. ولقد فسر الحاخام يهودا (Rav Yehudah) في مقطع من كتوبيم (110 أ – 111 ب) ، (كتوبوت 110 ب – 111 أ) آيات من العهد القديم تعني بأنه حرم على اليهود محاولة غزو الأرض بقوتهم السلاحية وحرم عليهم أيضا العودة إليها بشكل جماعي، عليهم الانتظار حتى يأمر الله بعودة شعب إسرائيل إلى أرض إسرائيل بالطرق الإلهية: إن من يذهب منكم من بابل إلى أرض إسرائيل يقترف إثما، لأنه ورد في الكتاب (إرميا 27: 22) "سيأخذون إلى بابل وسيظلون بها إلى اليوم الذي سأحدده"، يقول الرب. ويذهب استنتاج من نص موسع أن الله يطالب اليهود بثلاثة أشياء حيال علاقتهم بأرض إسرائيل قبل الفداء النهائي: 1) يحرم على إسرائيل القيام بالهجرة الجماعية إلى أرض إسرائيل حتى يأمر الله بذلك بنفسه، 2) يمنع على إسرائيل القيام بالثورة ضد الإمم التي تعيش في كنفها في أثناء المنفى، 3) وأكثر من هذا يمنع على أمم الأرض أن يضطهدوا إسرائيل.

إن وعد العهد القديم بأرض إسرائيل، إذاً، جاء ليأخذ معنى أن استمرار ملكية الأرض على الدوام ليس هو المقصود، لكن المقصود هو أن إعادة الملكية النهائية مشروطة بالطاعة.

وإذا كانت طاعة شعب إسرائيل لأوامر الله ناجحة بحسب ما تقتضيه إرادة الله ، فإن الله سيفي بوعده بالافتداء والرجوع. فكل جيل يدرك أن الوعد سيوفي في خاتمة المطاف، لكن ربما في عهد غير عهده.

علاقة الصهيونية بالتأريخ والتقليد اليهوديين

بدأت الحركة الصهيونية كحركة وطنية عَلمانية يهودية ولم تكن مبنية على صرامة الأوامر والقواعد المرتبطة بالقانون الديني. وبالعكس، فإنها كانت متأثرة تأثيرا قويا بالأفكار الغربية الحديثة للقومية والدولة الوطنية العلمانية الحديثة. تطورت الحركة داخل الحدود المتساقطة للامبراطورية الروسية في أواخر القرن التاسع عشر حيث كان اليهود عادة ضحايا مذابح إرهاب الدولة وضحايا قيود اجتماعية واقتصادية فظيعة. وقد كان الصهاينة الأوائل كلهم تقريبا علمانيين. وبالرغم من أنهم كانوا يرون أنفسهم بشدة في هويتهم اليهودية، إلا أنهم لم يشعروا أنهم مجبرون على اتباع قانون الديانة اليهودية. وبالتالي فإنهم لم يتأثروا بالقيود التلمودية ضد الهجرة الجماعية إلى أرض إسرائيل. وبالعكس من هذا، وكما هو مشار إليه أعلاه فإن الهجرة الجماعية أصبحت هدفا أساسيا للوطنيين اليهود العصريين الذين يحاولون إنشاء وطن يهودي قصد لإيجاد حل لمشكلة معاداة السامية الفظيعة التي يعاني منها يهود أوروبا.

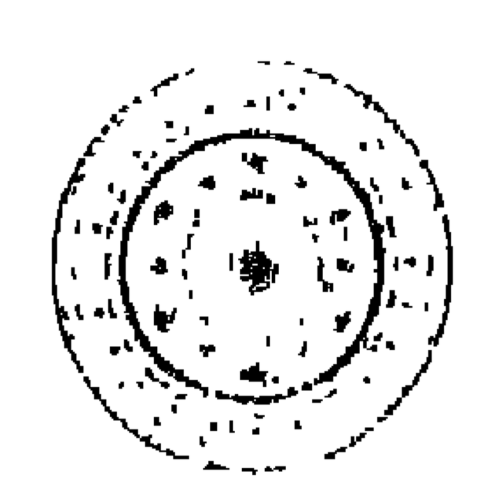
لم يدعم المتدينون اليهود الحركة الصهيونية في الأول. ولقد شجب معظم اليهود الأرثوذكس الصهيونية لأنهم يعتقدون أن هدفها لإنشاء وطن يهودي يمثل محاولة من اليهود "لثني يد الله" بمحاولة الإنقاذ السياسي للشعب اليهودي. وبحسب هذه النظرة المثالية الارثوذكسية، فإن المحاولات "لثني يد الله" ستقود إلى كارثة، تماما، كما قادت مثل تلك الحركات السابقة في التأريخ اليهودي إلى عنف رهيب ودمار وحشي. وعليه، فإن اليهود مطالبون بالصبر والانتظار حتى يحدد الله الوقت المناسب للخلاص النهائي. فإن وقاحة "ثني يد الله" من قبل الصهاينة العلمانيين لن تؤدي إلا إلى غضب الرب، والذي سيسبب في كارثة أخرى لليهود. وحتى يومنا هذا، فإن بعض اليهود الأرثوذكس مازالوا يشجبون الصهيونية ودولة إسرائيل لهذا السبب بالذات. لكن معظم اليهود المتدينين يساندون، اليوم، الصهيونية ودولة إسرائيل بحماس شديد.

لماذا هذا التغيير؟ أولا، وقبل كل شيء، فقد أقنعت فظائع المحرقة كثيرا منهم أن قيام الدولة اليهودية هي الطريقة الوحيدة لضمان كيان ليهود العالم يكونون فيه آمنين من مآسي معاداة السامية. لهذا ساند كثير من اليهود الأرثوذكس دولة إسرائيل، وعملوا جاهدين على تأسيسها وحيويتها، بالرغم من استمرار شعورهم بعدم الارتياح حول ما يبدو لهم من التناقض بين دولة إسرائيل القائمة عن طريق المجهود البشري وبين التقليد اليهودي الذي يمنع المحاولات البشرية "لثني يد الله".

لقد خفف من حدة هذا الصراع الداخلي بين معظم اليهود الأرثوذكس ازدياد الاعتقاد أن الله هو الذي أمر، فعلا، بنجاح الصهيونية، خصوصا بعد حرب حزيران/يونيو سنة 1967،

وبحسب هذا الرأي، إن الله قد أمر أن تكون حرب الاستقلال سنة 1948 ناجحة، وكان سبب معجزة النصر سنة 1967، وأمر بكل هدوء بجمع يهود المنفى من كل أنحاء العالم في أرض إسرائيل تماما كما تنبأ الأنبياء بذلك. هذا يعني أن تأسيس ونجاح دولة إسرائيل ثمرة الإرادة الإلهية وبداية الفعل الإلهي للإنقاذ النهائي لإسرائيل والعالم. وبحكم كون كل هذا جزءا من الإرادة الإلهية، فإن القيود السابقة ضد "ثني اليد الإلهية"، لم تعد سارية المفعول. ويجب على كل اليهود، الآن، بحكم القانون الديني، أن يساهموا في النجاح النهائي لقيام دولة إسرائيل.

ومن سخرية الأقدار، بحسب هذه النظرة الدينية الأرثوذكسية، أن اليهود الصهاينة العلمانيين كانوا يقومون دون علم بتحقيق الإرادة الإلهية في بداية عملية الخلاص النهائي. إن الله سيتمم العملية قريبا. وفي الوقت نفسه، فإنه لم يعد وقاحة "ثني يد الله" من خلال المناضلة، نيابة عن دولة إسرائيل. وبالعكس، فبما أن بداية عملية الإنقاذ النهائي الآن، فإنه من واجب كل اليهود، الأرثوذكس وغير الأرثوذكس بذل كل المجهود نحو نهاية العملية. إن الذين لديهم الإلمام بتأريخ الصهيونية ودولة إسرائيل، يدركون بأن الرواد الأوائل والناشطين الوطنيين المتشددين كانوا كلهم علمانيين. ولقد تغير هذا بالتدريج حتى يومنا هذا، وأصبح هؤلاء الآن متأثرين بالدين وينحدرون من أوساط الأرثوذكس. ويجب التنويه هنا أنه يمكن إيجاد ما يوازي هذا الموقف في الحركة الوطنية الفلسطينية كذلك. إن الناشطين المتطرفين اليوم يميلون لاعتبار أنفسهم أكثر إسلاميين من قبل، وقد كانوا في الأصل بالكامل علمانيين في الاتجاه.



الجزء الثالث
الممارسة

الفصل التاسع
الصلاة

إن اللفظة العبرية للصلاة هي تفيلاة وبمعنى "يصدر الحكم"، "يتوسط"، "يلتمس" فالصلاة هي محاولة الإنسان إصدار الحكم على نفسه والتماس وطلب الغفران الإلهي. فهي محاولة الإنسان للاتصال خارج حدود النفس الإنسانية بخالق الكل من أجل ربط نفسه بالإرادة الإلهية. إن الصلاة أيضا هي تصريح بالاعتماد البشري على رحمة الله في عونه من أجل حياة هادفة وسعيدة. وكما ورد في الفصل الثالث فاللغة الآرامية واللغة العبرية كانتا لغة التقليد اليهودي، ولفظة الصلاة في اللغة العربية قريبة من اللفظة الآرامية صلوت التي تعني حرفيا الانحناء وإخضاع النفس في التعبد.

إن الصلاة فعل جوهري في الحياة الشعائرية اليهودية. أفضل الصلاة هي صلاة القلب، ولقد ذكر التقليد اليهودي بأن الكلمات لا تكفي غالبا في التعبير عن أعمق العواطف. وبالرغم من ذلك فهي الوسيلة الإنسانية للاتصال بين البشر؛ وتحتوي (سَدّور) وهي كتب الصلوات اليهودية على آلاف السنين من الإبداع البشري المتعلق بفعل الصلاة. تضم كتب الصلوات، الصلوات اليهودية الرسمية، لكن بإمكان كل فرد إضافة صلواته الشخصية وملتمساته متي أراد. بإمكان اليهود أداء صلواتهم بأية لغة لكن اللغة العبرية المقدسة، لغة التوراة لها مدلول خاص. يعظ الحاخامات أن لا تكون الصلوات عملية روتينية، بل يجب محاولة تطعيمها بمعانٍ ومفاهيم جديدة حتى تكون فعلا دعوى شخصية حقيقية من أجل الرحمة والشفقة الإلهيّة. يقضي الحكماء عادة ساعة كاملة في التأمل والتفكر قبل أن يبدأوا صلواتهم،

وتضم شعيرة الصلاة اليوم مرحلة مبكرة خاصة بالاستعداد لواجب الإفراغ الحقيقي للروح أمام الله.

تختلف طقوس الصلاة في الإسلام واليهودية اختلافا بينا. فإن كانت الصلوات في الإسلام تقام خمس مرات في اليوم، فإن الصلوات اليهودية تقام ثلاث مرات في اليوم. فإن النقص في هذا العدد يعوض عنه الطول في الصلاة، لأن طقوس الصلاة اليهودية العادية أطول من طقوس الصلاة الإسلامية العادية، وتشتمل على أدبيات معقدة من الشعر والنثر والأدعية الرسمية. بعض هذه المواد مأخوذ مباشرة من التوراة وبعضها من إنشاء الحكماء والحاخامات والشعراء. يوجد بعض الانحناء في الصلاة ، لكن تؤدي معظم الصلوات بالوقوف أو الجلوس. لا يسجد اليهود بالكامل في الصلاة إلا في أعياد الأيام المقدسة (High Holy Days) أي عيد رأس السنة (روش هشاناة)، وعيد يوم الغفران (يوم كيبور). وبالرغم من احتمال كون اليهود القدماء يخلعون أحذيتهم قبل الدخول إلى أماكن العبادة، فإن هذه العادة انقطعت؛ ومن جهة أخرى، فإن اليهود عادة يغطون رؤوسهم في أثناء أداء الصلاة كعلامة التقوى والاحترام أمام الله. ويغطي بعض اليهود رؤوسهم في كل الأوقات لكن ذلك يعد من باب التقليد والعادة وليس من باب الواجب الديني.

توجد صلوات أخرى فوق الصلوات الثلاث اليومية أيام السبت والأعياد. وبالرغم من احتمال أداء الصلاة فرديا أو في جماعة بغض النظر عن الحجم فإن بعض أجزاء الصلاة تتطلب توفير نصاب العشرة الشرعي المسمى "منيان" (عشرة أشخاص) وبالتالي فإن صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفرد. ترتل النصوص التوراتية المعروفة بـ"شماع يسرائيل" (إسمع يا إسرائيل) مرتين كل يوم وهي عبارة عن الاعتراف بوحدانية الله، وواجب محبته، وطاعته بكل "قلوبكم ونفوسكم وقوتكم" التثنية (6: 5). تشتمل أيضا كل شعائر الصلوات على جوهر أساسي يسمى "عميداه" أو صلاة الوقوف، لأن المصلين يقفون في أثناء أدائها.[46] العميداة هي مجموعة من الأدعية التي تمجد الله، وتنظر من باب الانتماء إلى تاريخ بني إسرائيل في العصور القديمة، وتطلب الغفران الإلهي كما تدعو أن تمنح الأمة المؤازرة والصحة والسلاح والفوز يوم القيامة ، وتتقدم بالشكر لله على هبات الحياة التي تم التوصل إليها. كل هذه الصلوات بصيغة الجمع "نحن" بدلا من صيغة الفرد "أنا" مما يجعل المتعبد داخل الجماعة تماما. فالفرد يصلي من أجل الجماعة والجماعة تصلي من أجل الفرد في الصلوات اليهودية. ويمكن لمن يشاء أن يصلي صلاة إضافية عندما تنتهي صلاة الجماعة.

قراءة التوراة

يتم ترتيل فصول محددة من التوراة جهرا أيام السبت والأعياد، كما يتم ترتيل الفصول القصيرة يوم الاثنين والخميس في الصباح. وعلى هذا النحو تتم قراءة أجزاء التوراة جهرا بالتسلسل كل يوم سبت على مدار السنة، حتى يتم ختم قراءة التوراة بالكامل. وبعد قراءة التوراة أيام السبت والأعياد يتم ترتيل ما تيسر من نصوص مختارة من سفر الأنبياء أو من الكتابات.

تتم القراءة الرسمية للتوراة، الأسفار الخمسة الأولى، جهرا من لفيفة (مخطوطة) وذلك بطريقة تشبه طريقة التجويد في قراءة القرآن. إن لفيفة (مخطوطة) التوراة لا تحتوي على حركات الكلمات وكيفية النطق بها وقراءتها مما سيتوجب على القارئ تدريبا ودراسة لإتقان معاني المفردات وإعرابها وتنغيمها. وبالإضافة لامتلاك المعبد اليهودي عدداً من لفائف التوراة المخطوطة الثمينة، فإن لدى كل معبد عدداً من نسخ التوراة المطبوعة ليتسنى لأعضاء جماعة المصلين متابعة القراءة مع المرتل. وتضم هذه الكتب أحيانا ترجمات وتعليقات ليتمكن المصلون، كل على حدة، من دراسة التوراة وتفسيرها عند قراءتها في الجماعة. ويوجد أيضا عدد من كتب الصلاة التي تضم ترتيب الصلوات ونصوص التوراة التي يراد ترتيلها في أثناء أداء شعيرة الصلاة. توفر معظم المعابد لكل مصل كتاب الصلاة، والتوراة المطبوعة على شكل كتاب.

لا تعتبر قراءات التوراة فقط شعيرة قراءة كلام الله بل إنها أيضا فرصة للتعليم. وفي أيام السبت يلقي حاخام أو أحد أعضاء الجماعة المتعلمين خطبة أو درسا يتعلق بنص التوراة المرتل. تشبه هذه الممارسة التقليد الإسلامي المتبع في خطبة صلاة الجمعة.

الرموز والتجهيزات

تغطية الرأس

يعتبر غطاء الرأس في التقليد اليهودي علامة التواضع أمام الله، لكن الممارسة ليست مفروضة بحسب معظم السلطات الدينية ويعتبرها التلمود سنة. لكن غطاء الرأس أصبح عادة في أثناء الصلاة ويتخذ كثير من الرجال ذلك في كل الأوقات. وتسمى طاقية الصلاة المتخذة من قبل غالبيتهم "كيباة" (بالعبرية) أو "يرمولكا" (بلغة اليديش: أي اليهودية الألمانية).

كانت النساء تستر شعرهن من باب التواضع في العصور التوراتية والتلمودية وقد أصبحت هذه الممارسة عادة لدى اليهود الأرثوذكس. ولا تغطي البنات شعرهن عادة حتى يتزوجن. وتغطي بعض الأرثوذكسيات شعرهن بالشعر الاصطناعي (الباروكة) ولا تغطي اليهوديات غير الأرثوذكسيات الشعر، لكن كثيرا من النساء يرتدين القبعات في المعبد. ولقد بدأت النساء من الحركات الليبرالية اتخاذ عادة لباس الطاقية في أثناء أداء الصلاة.

طاليت وتفلين

لا تتطلب الصلوات اليهودية أية وساطة ولا أجهزة خاصة، ولا تتطلب أيضا مكانا ووقتا معينا. يمكن أداء الصلاة في أي مكان وفي أي وقت وتحت إشراف أي شخص. لكن الصلوات اليومية الثلاث تقام داخل حدود زمنية معينة: واحدة في الصباح، وواحدة بعد الزوال وواحدة في المساء. إن الصلوات المختلفة التي تتضمنها شعائر الصلوات الرسمية كانت تؤدى تقليديا بحسب ترتيب معين، فلذلك كان من المفيد الاعتماد على كتاب الصلاة أو "سدور" الذي يعني ترتيب الصلوات. إن فروع الديانة اليهودية التي تعتبر أكثر ليبرالية هي أقل التزاما بالتقليد المرسوم في التلمود، لكن الصلوات اليومية مطلوبة من كل الحركات اليهودية.

كان رجال اليهود في العادة يضعون دثارا في أثناء الصلوات الصباحية يسمى طاليت اتباعا لأوامر التوراة التي تطالب بوضع أهداب في زوايا أذيال الثياب ليتذكروا الوصايا ويطيعوا أوامر التوراة (سفر العدد 15: 36-41). يضع كثير من الرجال أيضا تمائم الصلاة تفلين وهي عبارة عن عصائب تربط على الجباه وعلى الأيدي. ترتبط هذه العادة بالنصوص المقدسة التي تطلب من بني إسرائيل اتخاذ كلمات الله "واربطوها علامة على أيديكم واجعلوها عصائب على جباهكم"[47]. يفهم هذا الأمر ظاهريا ومجازيا في آن واحد. فعلى الصعيد المجازي فإننا نأخذ كلمات الله وأوامره محمل الجد في مجهوداتنا للعيش كما تقتضيه الإرادة الإلهية. وعلى الصعيد الظاهري فإن هذه النصوص التوراتية التي تدعونا إلى ربط الكلمات الإلهية في قرارات أنفسنا هي مكتوبة على لفائف تدخل في أحجبة وتوضع على الجباه والأيادي المقابلة للقلب. وبهذه الطريقة تكون التمائم رمزا لطبيعة الالتزام والوفاء بالعهد. كان التقليد أن يلبس الرجال فقط التفلين والطاليت، لكن النساء بدأن يتخذن شيئا فشيئا هذه العادة (في وسط اليهود الليبراليين).

لفيفة التوراة

لا يوجد موضوع في الطقوس الدينية اليهودية يحظى باهتمام وتجميل أكثر من لفيفة التوراة التي تلف في قطعة ثمينة من الحرير أو ثوب ناعم أو توضع في صندوق من خشب منحوت نحتا دقيقا ومزركشا. وفي كلتا الحالتين، فإن الأعمدة التي تلف حولها القطعة الجلدية التي تحوي التوراة تكون عادة مرصعة بتيجان من فضة. تحفظ لفيفة التوراة في قبو أو صندوق مزخرف في حائط المعبد من الجهة المقابلة لمدينة القدس. كل لفائف التوراة مكتوبة بخط معلمين في غاية المهارة، ويتبعون تعليمات دقيقة للتأكد من صحة النص وجماله. توضع أكاليل خاصة على بعض الحروف، كما تكبر بعض الحروف في الكلمات لتمييزها عن الحروف العادية، كما تكون السطور مرسومة بطريقة خاصة معهودة ومتبعة منذ آلاف السنين للحفاظ على الدقة وجمال النص. وعندما يستعد الناسخ للكتابة، فإنه يعلن نيته كتابة كلام الله على النحو التالي: "إنني أنوي على بركة الله كتابة التوراة". وهذا يشبه تماما شرط

النية في أداء الواجبات الدينية في الإسلام. يستغرق استنساخ لفيفة التوراة الواحدة مدة سنة تقريبا. ويستخدم القارئ مؤشرا مصنوعا من الفضة أو العاج لمتابعة السطور على اللفيفة وذلك لتجنب تراكم الأوساخ والدهون التي تتركها أصابع وأيادي المستعملين. ويعد عمر لفائف التوراة المستعملة اليوم بمئات السنين، ويعتنى بها اعتناء منقطع النظير.

ميزوزاة

لقد جاء في التوراة مرتين أمر كتابة كلمات الله "على قوائم أبواب بيوتكم وبوابات مدنكم" (التثنية 6: 9، 11: 2). وقد عمل بهذا الأمر حرفيا عدة قرون، وذلك بتعليق تمائم تحتوي على هذين النصين على قوائم أبواب البيوت. تسمى قوائم الأبواب ميزوزاة باللغة العبرية، وأصبحت هذه اللفظة تطلق على الوعاء الصغير الذي يحتفظ فيه بالنصين.

الفصل العاشر
المعبد اليهودي والبيت

قبل ظهور المعبد اليهودي كمؤسسة كان الناس يصلون فقط في الأماكن التي تعتبر مقدسة، لأنهم كانوا يعتقدون أنها أماكن تسكنها الآلهة، أو ظهرت فيها، أو أنها أماكن وقعت فيها معجزات كبيرة. لم يكن يخطر في البال في العالم القديم عبادة أي إله إلا في المكان الذي يمكن أن تسمع فيه الصلاة أو تتذوق فيه القربان، وهذا ينطبق في إسرائيل على الموحدين وعلى الوثنيين من أي نوع كانوا. وكان المعبد اليهودي، أول مكان للعبادة استمد قدسيته ليس من مكان وجوده، بل من النشاط الذي يتم داخله. ولقد كان وراء هذا التغيير في طبيعة قدسية المكان فكرة أن الله الواحد في ديانة التوحيد هو إله العالم كله، وبإمكانه إجابة دعوة الداعي في أي مكان وفي أي وقت. وهكذا أصبح ظهور المعبد اليهودي رمزا ملموسا لوحدانية الله وعالميته في الديانة اليهودية.

إن أصل المعبد اليهودي كمكان أداء الصلاة مفقود في ضباب العصور القديمة. ومع القرن الأول في العصر الحالي أصبح مؤسسة ثابتة. ومن المحتمل جدا أن اليهود المنفيين في بابل بعد خراب الهيكل الأول سنة 586 قبل الميلاد هم الذين أقاموا أماكن للصلاة ليستطيعوا الاجتماع فيها للتعبد أيام السبت والأعياد. ونظرا لعدم تمكنهم من تقديم القربان والأضاحي لأن ذلك مطلوب فقط في الهيكل في القدس، فإنهم قاموا بأنشطة تعويضية ليعبروا من خلالها عن حبهم وطاعتهم لله. ولما سمح للمنفيين بالعودة وإعادة بناء الهيكل فقد كانت هناك معابد جنبا إلى جنب مع الهيكل حتى تم التدمير الأخير له سنة 70 ميلادي (العصر الحالي).

كان الهيكل يمثل وجود الله بين بني إسرائيل وعلى غرار الكعبة، المذكورة في القرآن "بالبيت" أي بيت الله، فإن هيكل القدس كان يسمى بيت الله، بالرغم من أن التوراة وضحت بأن الله غير محدد بالمكان. وكان الهيكل بمثابة مركز العالم، وجبله كان بمثابة نقطة الإنطلاق إلى السماء. وعندما أصبح الهيكل معدوما كان بناء المعابد يتم بحيث تكون باتجاه المدينة المقدسة ليتم توجيه الصلوات صوبها. إن إمام شريعة الصلاة اليهودية ليس بالضرورة أن يكونٍ كاهنا أو رجل دين رسمياً كما هو الحال في الإسلام، فالإمام بكل بساطة هو إنسان متق من بين أعضاء الجالية، لديه معرفة بما فيه الكفاية للقيام بإمامة الجماعة في أداء الصلاة.

لا توجد قوانين معينة تنظم شكل بناء المعبد، وبالتالي فإن بيوت العبادة اليهودية تعكس عادة شكل البنيان المحلي في فترة معينة. ولقد بني كثير من المعابد في الغرب على الطراز الأندلسي في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين لتمييزها عن الكنائس المسيحية وإعطائها شكلا يليق بمعبد كبير، وتعكس اليوم مباني المعابد أحيانا بعض أشكال الهندسة المعمارية الحديثة الجريئة.

توجد في كل معبد طاولة القراءة التي يقود منها ممثل الجماعة شعائر مراسيم الصلاة. تكون هذه الطاولة في وسط القاعة أحيانا، وتكون في المقدمة أحيانا أخرى. ويوجد في كل معبد تابوت مقدس، صندوق أو كوة في الحائط تحفظ فيه لفيفة واحدة من التوراة أو أكثر. وحتى هذين الشرطين البسيطين ليسا ضروريين لأنه يمكن إقامة مراسيم الصلاة في أي قاعة نظيفة ومحترمة بشرط أن لا يكون فيها صور وثنية ويمكن إقامتها كذلك في الهواء الطلق.

يختلف ديكور وزخارف المعابد اختلافا كبيرا ونادرا ما توجد صور بشرية داخل المعبد؛ ناهيك عن عدم وجود التماثيل بالمرة, لكن بعض المعابد قد اتخذ عادة استعمال النوافذ الزجاجية المزخرفة بشخصيات من وحي التوراة. لكن هذا الاتجاه قد توقف في مجمله، إذ أن المعابد الحديثة قد عادت إلى اتباع تقليد إقصاء كل الصور البشرية من المعبد.

وفي الوقت الذي أخذ فيه المعبد مكان الهيكل كمركز العبادة الجماعية في النهاية، فإن البيت كذلك أصبح نوعا من البديل للهيكل بالنسبة للفرد اليهودي. يشار إلى هذا التغيير كمثال على ديمقراطية الديانة اليهودية التي حدثت من جراء خراب الهيكل الأخير في القدس. وعندما كان الهيكل قائما, فإن أعضاء طبقة الكهان هم الذين يسمح لهم فقط بتقديم القرابين وحتى بتنظيف الأماكن. وبعد الخراب، أصبح كل بيت هيكلا رمزيا، وأصبحت كل سفرة طعام محرابا كما أصبح كل يهودي كاهنها الأعظم. وأعطى لفعل تناول الطعام نفسه معنى جديدا بتشبيهه بالعبادة في الهيكل القديم. وترفع صلاة العرفان بأن الله هو الرزاق والمعول عليه قبل تناول أي وجبة طعام أو حتى قبل شرب الماء، وتقام صلاة الشكر لله على ما رزق بعد ذلك.

وفي أيام السبت وأيام الاحتفالات يتبرك بنوع خاص من الخبز يسمى حالاة وهو الاسم نفسه الذي أطلق على أنواع الخبز التي كانت تقدم في الهيكل القديم، ويؤكل هذا الخبز بعد التبرك به في طقوس تذكر بتقديم القربان في الهيكل. ولم يعد هناك كهنة لقيادة مراسيم العبادة في الهيكل كما لم تكن هناك حاجة إليهم ولا للحاخامات لقيادة المراسيم في البيت أو في المعبد. إن أي يهودي بالغ لديه العلم الكافي يمكن أن يقوم بذلك بالرغم من أن المجتمعات الأرثوذكسية لا تسمح عادة للنساء بالقيام بمراسيم معظم العبادات.

أصبح البيت "مقداش معاط" (معبدا صغيرا) الذي وصلت فيه الحياة اليومية مستوى عاليا في التدين بالدعاء والشكر لله على فضله في جميع الأنشطة الإنسانية تقريبا. حتى قضاء الحاجة في المرحاض يستحق الشكر لله عند اليهودي المتدين الذي يشكر الله على صحة الأبدان للقيام بوظائفها لنتمكن نحن من الامتثال للإرادة الإلهية.

الذكور والإناث ورجال الدين

تتشابه اليهودية والإسلام فيما يتعلق بالتركيبة الاجتماعية أكثر مما يتشابه أي منهما مع المسيحية. فاليهودية والإسلام لا يملكان طبقة دينية، لا يوجد فيهما باباوات، ولا أبنية

تنظيمية رسمية كالتي توجد في الكاثوليكية والأرثوذكسية الشرقية وحتى في الطوائف البروتستانتية. هناك بالأحرى حاخامات وأئمة (مفرد إمام) يقودون المراسم كمتعلمين عاديين وليس بصفتهم كرجال الدين الرسميين الوحيدين الذين يمكنهم تقديم القربان لله. وبعكس المسيحية فلا اليهودية ولا الإسلام يملكان طبقة رجال الدين الوسطاء، كل مؤمن يمكن له أن يتقرب إلى الله بمفرده دون أي وساطة.

ما زالت الديانة اليهودية تميز رسمياً بين الطبقات التوراتية القديمة الثلاث – الكهنة واللاويين وبقية بني إسرائيل – لكن الكهنة واللاويين أصبحوا متساوين مع العامة منذ العصور التوراتية ما عدا في مرسم أو اثنين غير مهمين يذكران بعظمة الهيكل القديم. وبالرغم من أن بعض الأسر مازالت تحتفظ بوضعها الكاهني (عائلة كوهن) أو اللاوي (عائلة ليفي) وهم أقل درجة من طبقة الكهان ، فإن أي يهودي بالغ لديه العلم الكافي ومتزن عاطفيا ومعقول التدين بإمكانه قيادة أي مراسيم دينية. إن الانقسام المهم في الالتزام وقيادة الشعائر ما زالت تدور حول الذكورة والأنوثة.

ينفصل الرجال عن النساء في الصلاة تقليديا، لكن اليوم ظلت هذه الممارسة محصورة في الطائفة الأرثوذكسية التي تشكل نسبة صغيرة نسبيا في المجتمع اليهودي. ولقد فسرت هذه الممارسة التأريخية بأن الهدف وراءها كان لتشجيع المصلين أن يركزوا على علاقتهم مع الله بدلا من علاقتهم مع الجنس اللطيف. لم يكن النساء تقليديا مطالبات بأداء كل الشعائر الدينية بالكامل كنوع من التنازل مقابل مسؤولياتهن في البيت وفي تربية الأطفال. بما أن هذا الإجراء يحدد بشكل فعال عدد الواجبات الدينية على النساء، فقد اعتبر في العصر الحديث مشكلا لدى معظم اليهود غير الأرثوذكس لأنهم رأوا فيه أن وضعية النساء أقل بكثير من وضعية الرجال. وبالفعل، فإن استثناء النساء يعطيهن مكانة أقل نظرا، لأن الديانة اليهودية ترفع من قدر الالتزام بأكبر عدد من الأوامر الإلهية. وكانت النساء يملن إلى جهل التقليد اليهودي نظرا لأنهن غير ملزمات بمعرفة تعقيدات التقليد والتشريع، إذ كن غير مطالبات بعدد الواجبات المطلوبه من الرجال نفسها. كان التعليم دائما خطا فاصلا للمكانة في الديانة اليهودية، وبالتالي ساهم هذا الوضع في التقليل من شأن مكانة المرأة بالمقارنة مع الرجل. لا يرى معظم الأرثوذكس هذا الدور الانقسامي بهذه الطريقة، لكن أقلية مهمة ومتناهية من الطرف المعاصر والليبرالي الأرثوذكسي تشعر أيضا بقلق نحو النظام التقليدي.

تقليديا، الرجال فقط هم الذين يتولون الحاخامية، لكن هذا التقليد يختفي بسرعة. يصل الحاخامات إلى مكانتهم بفضل تعليمهم ودراستهم، وجرت العادة أن لا تدرس النساء التوراة والتقليد بتعمق كبير. كانت هناك دائما استثناءات مشهورة بالطبع عرفت في العهد القديم والتلمود وفي العصور الوسطى. لقد تغير هذا الوضع كثيرا في السنوات الحديثة. كل الطوائف اليهودية في الوقت الحاضر باستثناء الارثوذكسية المتشددة تقوم بتدريب النساء والرجال معا للعمل كحاخامات خصوصا بين يهود الولايات المتحدة. وتقوم بعض جماعات الأرثوذكسية الحديثة جدا بتزويد بعض النساء بالمهارات نفسها التي تزود بها الرجال، لكنها لا تسميهن حاخامات، ولم تسمح لهن بتولي أدوار القيادة خارج المجموعات النسائية.

ويعتقد بعضهم على الطرف الليبرالي للحركة الارثوذكسية أن النساء سيصبحن حاخامات في الجماعات الأرثوذكسية الليبرالية بعد سنين قليلة.

وكما تبين هذه المناقشة المختصرة حول الذكور والإناث والهرمية، فإن الأفكار والاتجاهات الحديثة في الفكر الغربي قد أثرت تأثيرا عميقا على نظرة اليهود العالمية وعلى الديانة اليهودية. إن القيم والأفكار اليهودية التقليدية تخضع باستمرار إلى التحدي والتأويل في ضوء الحداثة. لم تغير الردود اليهودية على الحداثة تغييرا مهما في طبيعة الديانة اليهودية الأساسية لكن هذه الردود قد شجعت بعضهم لتصبح الديانة مناسبة للعصر في الوقت الذي تحتفظ فيه بجوهر قيمها. إن النتائج تختلف بحسب الطائفة التي يقع عليها البحث، لكنه لا توجد فرقة في الديانة اليهودية حصينة من تحدي العالم الحديث.

قوانين الطعام

يسمى نظام قوانين الطعام في الديانة اليهودية كاشروت بمعنى "مناسب"، أو "موافق". ويسمى الطعام المقبول "كاشير" الذي يحمل المعنى الأساسي نفسه للفظة "حلال" بالعربي، وردت القيود الأساسية عن الطعام في التوراة في سفر اللاويين وسفر التثنية 14، رغم أن بعض النصوص الأخرى أوردت قيودا إضافية. وبالإمكان أن يلاحظ المرء مباشرة التشابه مع موانع الطعام التي وردت في القرآن (البقرة 2: 172-173، المائدة 5: 3-5، الأنعام 6: 141-145).

لا توجد أية موانع فيما يتعلق بالخضار والنبيذ وأنواع أخرى من الكحول ليست محرمة أيضا. وبحسب ما ورد في سفر اللاويين 13: 3 وسفر التثنية 14: 4-5 ، مسموح أكل أي حيوان بري "ذي ظلف مشقوق ومجتر". هذه المعايير تسمح بعدد من الحيوانات الداجنة ومنها البقر والضأن والمعز وكذلك الوعول والغزلان. ويستثنى منها الخنزير لأنه غير مجتر، والأرانب، والخيول والحمير، والجمال التي لها خف مشقوق لكنه ليس بظلف حقيقي.

ويشترط في التوراة أن تكون الحيوانات المائية ذات زعانف وقشور لتكون حلالا. وهذا يقصي كل القواقع والجريث أيضا والحفش. لم يرد في التوراة ذكر معايير الطيور المسموح بها، ولكن جاء فيها سرد للطيور الممنوعة وهي في الغالب طيور الصيد وآكلة الجيف، وتسمح بأكل معظم الطيور الداجنة مثل الدجاج والبط والوز والحمام والديك الرومي. كل الأشياء التي تندفع جماعة محرمة وتشتمل هذه بحسب القائمة التي وردت في التوراة، على الحيوانات من الجرذان إلى التماسيح ومعظم الحشرات. وأخيرا يحرم أكل الميتة من الحيوانات المباحة أو التي لم تذبح بطريقة سليمة. كل أنواع الدم محرمة (اللاويون 7: 26). لا يعني هذا فقط الدم الذي يؤخذ من حيوان حي، بل يشمل أيضا دم الحيوان المذبوح بطريقة شرعية. فلهذا فإن اللحم الحلال (كاشير) يجب أن يملح قبل الطبخ لإفراغه من الدم تماما، و يتم شواؤه على نار مكشوفة لينطلق منه الدم بحرية. المقصود بالتمليح

هو وضع اللحم في الماء لمدة نصف ساعة وبعد ذلك تغطيتة بملح كثير في جميع جوانبه ليتم امتصاص الدم وتركه في الملح لمدة ساعة تقريبا وبعد ذلك يتم غسل اللحم من الملح.

لا يقوم بالذبح بالطريقة الشرعية إلا الشخص الذي تلقى تعليما في الشريعة اليهودية. عليه أن يقطع الحنجرة والأوردة والشرايين والقصبة الهوائية بحركة واحدة متواصلة ودون الضغط إلى الأسفل، وذلك باستعمال سكين حاد جدا لا تكون فيه أي خدشة.

وبهذه الطريقة يستفرغ الدم بسرعة من الرأس واللحم معا ويجعل الذبيحة تفقد الوعي مباشرة. وبعد الذبح يتم فحص الحيوان من الأمراض والأعضاء المتضررة. ولا يؤكل الحيوان إذا وجدت فيه أمراض أوعيوب.

لقد ورد في ثلاثة مقاطع من التوراة أن "لا تطبخوا جديا بلبن أمه"، (الخروج 23: 19، 34: 25، التثنية 14: 2). لقد فسر الحاخامات هذا الأمر بأنه يدل على ثلاثة موانع: أكل اللحم ومشتقات الحليب مع بعض، طبخها مع بعض، أو خلط أجزاء منها معا. على الذي تناول طعاما من اللحم أن ينتظر عددا من الساعات قبل تناول مشتقات الحليب.

وبالإضافة إلى هذا لا بد من استعمال أوان مختلفة لكل من اللحم ومشتقات الحليب بحيث أن البيت المبارك (كاشير) توجد فيه مجموعتان من الصحون، وآنية المائدة الفضية، وأواني الطبخ.

لم تقدم الأسباب الحقيقية لورود مثل هذا النوع المعقد لقوانين الطعام في التوراة، ولقد اقترح عدد من التفسيرات ومنها أن العناية بطرق الذبح واختيار الأطعمة كانت مفيدة للصحة وتحد من إمكانية التعفن والمرض. ويرى آخرون أن هذه الشروط والقوانين المعقدة استهدفت ما يشبه استحالة اليهود تناول الأكل مع الشعوب الأخرى في الأزمنة القديمة، وبالتالي فإنها حالت دون اختلاطهم مع الوثنيين بكل حرية. وبغض النظر عما إذا كان نظام الطعام عقلانيا في الصميم أم لا، فإنه بكل وضوح يجبر اليهود أن يكونوا واعين جدا إزاء ما يتناولونه من الأطعمة.

ويعترف اليهودي في كل مرحلة من هذا النظام أن الرزق يأتي من عند الله. وبما أن كل طبقة من الأطعمة لها أدعية خاصة بها فإن اليهودي الملتزم بقوانين تغذية الكاشير يقدم الشكر على رزق الله قبل الأكل وبعده[46].

إن اتجاهات الالتزام بهذه القوانين تختلف بين اليهود اليوم. يلتزم كثير منهم بها بحذافيرها، بينما يتقيد الآخرون بالمبادئ الأساسية دون اعتبار التفاصيل. إضافة، فإن آخرين يلتزمون بها في بيوتهم، ويشعرون بحرية التخلي عنها في مناسبات أكلهم خارج البيت. وبعضهم بكل بساطة يمتنع عن المحظورات الأساسية، مثل تناول الخنزير، ولا يشعر آخرون بأنهم ملزمون بها على أي وجه.

إن مدى الالتزام بقوانين الطعام يتطابق مع طيف الالتزام والهوية اليهودية بشكل عام من المؤمنين المتقين إلى أقصى الحدود إلى العلمانيين.

الفصل الحادي عشر

التقــويم

يتم حساب السنين في التقويم اليهودي التقليدي من بداية الخليقة كما حددها التقسيم الزمني في العهد القديم. ولقد كان ذلك بإضافة أعمار كل الشخصيات المذكورة في سلسلة الأنساب إلى آدم صعوداً. وبالطبع فإن الرقم الذي تم التوصل إليه لعمر العالم أقل بكثير من الرقم الذي قدمه العلم الحديث، لكن هذا لا يشكل مشكلا بالنسبة للأهداف الدينية التقليدية. ويوجد فرق كبير أيضا بين السنة اليهودية والسنة في التقويم الغريغوري المستعمل في كل العالم. فعلى سبيل المثال إن عام 2001 في هذا التقويم يطـابق عام 5761 في التقويم اليهودي.

التقويم اليهودي، كالتقويم الإسلامي، مبني على دورة القمر كل شهر يبدأ وينتهي بظهور الهلال الجديد. يتم تحديد الهلال الجديد في العصور القديمة بناء على شهادة المراقبين في القدس، لكن التاريخ الدقيق أصبح اليوم يحسب باستخدام الرياضيات. تتكون السنة القمرية من 354 يوما، أي أقل من السنة الشمسية بأحد عشر يوما. ومن أجل ضبط السنة القمرية مع التقويم الشمسي لضمان وقوع الأعياد السنوية في الموسم السنوي نفسه فإن التقويم اليهودي، على عكس التقويم الإسلامي، يتم ضبطه على الدوام من خلال عملية تسمى بالكبس (بما يتطابق مع مواسم الحصاد في ارض إسرائيل)، ويتم ذلك بإضافة شهر مدته ثلاثون يوما يسمى آذار الثاني (أدار شيني) سبع مرات كل دورة تسعة عشر سنة. وبفضل الكبس على هذا النحو فإن الأعياد اليهودية تتحرك مقبلة ومدبرة داخل امتداد عشرين يوما تقريبا كل سنة شمسية[47]، لكنها دائما تقع في الموسم السنوي نفسه.

تبتدأ الأيام في التقويم اليهودي بغروب الشمس، ربما كان ذلك بناء على الكلمات التي وردت في سرد التوراة لقصة التكوين التي تقول: "وهكذا جاء مساء أعقبه صباح، فكان اليوم الأول".... وهلم جرا. ومن جهة أخرى، ربما يكمن السبب في واقع كون بني إسرائيل مجتمعا زراعيا في الأساس وبما أن يوم عمل المزارع أو الصانع ينتهي بغروب الشمس، ربما كان ذلك وقتا طبيعيا لبدء الإجراءات لليوم المقبل، وبالتالي اعتبار ذلك بداية لليوم الجديد.

كانت الرسل تبعث في العصور القديمة إلى كل التجمعات اليهودية في أرض بني إسرائيل لإعلان بداية الشهر الجديد عندما كان يتم تحديد رؤية الهلال بشهادة المراقبين في مدينة بيت المقدس. وفيما بعد، يتأخر الرسل في الوصول إلى التجمعات اليهودية التي بدأت تستقر خارج أرض إسرائيل، وأصبحت المسافات بينها وبين بيت المقدس كبيرة، وكان الخوف أن يبدأ يهود الشتات الشهر الجديد متأخرين، وكنتيجة لهذا فقد يحتفلون ببعض الأعياد في غير موعدها. وهكذا أصبحت العادة في الشتات أن تستمر الاحتفالات لمدة يومين لضمان أن أحدهما هو اليوم الدقيق المطلوب في التوراة. أما في إسرائيل، فإن الاحتفال بالأعياد نفسها يستمر يوما واحدا فقط لأن كل التجمعات تعتبر قريبة من القدس بما فيه الكفاية لاستقبال

الرسل في الوقت المناسب. ما تزال عادة الاحتفال بالأعياد لمدة يومين قائمة خارج أرض إسرائيل حتى يومنا هذا بالرغم من أن البداية الدقيقة لتأريخ الهلال الجديد (وبالتالي للأعياد) تحدد عن طريق الحسابات الرياضية.

لقد تطور التقويم اليهودي عبر زمن طويل، وخضع لتأثير كثير من الحضارات. لقد جاءت أسماء الشهور الحالية إلى اليهودية عن طريق النفي البابلي، لكن قد استخدمت أسماء أخرى من قبل. إن معظم المهرجانات والأعياد لها مسميات مختلفة تعكس فترات زمنية مختلفة وظواهر مختلفة للأعياد. ومن نتائج التغييرات في التقويم اليهودي فهو يشتمل على أكثر من سنة جديدة. تقوم بعض الحضارات باعتبار بداية الدورة السنوية للشمس في فصل الربيع بينما بعضها الآخر يعتبرها في فصل الخريف. وبالرغم من أن شهر نيسان/إبريل في فصل الربيع هو أول شهر في التقويم اليهودي، فإن عيد رأس السنة اليهودية (روش هشاناة) يقع في اليوم الأول من الشهر السابع، تشري، في فصل الخريف وقد يبدو هذا غريبا لأول وهلة، لكن لدينا وضع مشابه في كثير من البلدان الغربية التي تعتبر بداية السنة المالية أو الأكاديمية في شهر تموز/يوليو أو شهر تشرين الأول/أكتوبر خلافا لأول يوم السنة الجديدة في شهر كانون الثاني/يناير.

السبت

يتكرر وقوع يوم السبت إحدى وخمسين مرة في كل سنة يهودية أو خمسة وخمسين بحسب سنوات الكبس. ولكن بالرغم من هذا التكرار الكثير فإنه يعتبر أقدس من كل الأعياد الأخرى باستثناء عيد واحد. فالسبت هو فعلا العيد الجوهري في الديانة اليهودية. إن الحياة اليهودية تدور حول يوم السبت الذي يعتبر المبدأ الأساسي لتنظيم الحياة اليهودية. ولقد ربطته التوراة بفعل التكوين نفسه (التكوين 2: 1-4) "وهكذا اكتملت السماوات والأرض بكل ما فيها. وفي اليوم السابع أتم الله عمله الذي قام به فاستراح فيه من جميع ما عمله. وبارك الله اليوم السابع وقدسه، لأنه استراح فيه من جميع أعمال الخلق".

لقد ربطت الوصايا العشر هذا المقطع بضرورة التوقف عن أي عمل ذي شأن يوم السبت (الخروج 2: 8-11):

> "أذكر يوم السبت لتقدسه. ستة أيام تعمل وتقوم بجميع مشاغلك. أما اليوم السابع فتجعله سبتا للرب إلهك، فلا تقم فيه بأي عمل أنت أو ابنك أو بنتك أو عبدك أو أمتك أو بهيمتك أو النزيل داخل أبوابك. لأن الرب قد صنع السماء والأرض والبحر وكل ما فيها في ستة أيام ثم استراح في اليوم السابع. لهذا بارك الرب يوم السبت وجعله مقدسا".

إن منطق اشتراط الراحة يوم السبت نابعة من التوقع بأننا كبشر صنعه الله على مثاله (التكوين 5: 1-2) يجب أن تكون على ذلك المستوى من طبيعتنا بتقليد ما نستطيعه من

الطبيعة الأخلاقية الإلهية. يجب علينا أن نحاول أن نكون خيرين لأن الله هو الخير المطلق في العالم. وبما أن الله عادل لكنه رحمن رحيم، كذلك فنجاهد لنكون كذلك. وبما أن الله استراح من الخلق في اليوم السابع، نحن كذلك نستريح من عملنا في ذلك اليوم، ونتأكد أن عمالنا وحتى حيواناتنا تتمتع بيوم من الراحة كذلك.

أصبح السبت، بالنسبة لليهود، أكثر بكثير من يوم راحة. فهو يوم إنعاش ديني واجتماعي وفكري، وكذلك إنعاش جسدي للقيام بواجب الامتثال للإرادة الإلهية – وهو يوم يكرس فيه اليهودي وقتا ومجهودا إضافيا في الصلاة وفي الوجبات العائلية والأنشطة الاجتماعية وفي الدراسة والتعلم. فلقد أصبح السبت منحة في الزمن وفرصة للشخص وللمجتمع للتجديد ولشحن الطاقة. لقد ذهب المؤرخون وعلماء الدين أن الالتزام بيوم السبت كان سببا في الحفاظ على اليهود عبر القرون بالرغم من المصاعب الكثيرة التي واجهوها. والالتزام بالسبت في حد ذاته علامة العهد بين الله وبني إسرائيل (الخروج 31: 16-17).

وكما هو الحال مع كل الأعياد اليهودية فإن السبت يبدأ في المساء مع غروب الشمس يوم الجمعة. تهيأ وجبات الطعام اليومية مسبقا، ويغتسل كل واحد، ويلبس أفخر ثيابه المريحة. تشعل الشموع في البيت قبل غروب الشمس مع أداء صلاة الاعتراف بقدسية اليوم. تقام صلوات المساء في المعبد، وبعدها يتم تناول وجبة طعام دسمة في البيت يدعى لها أعضاء الأسرة الممتدة والضيوف. يشتمل الأكل على الخمر وهي علامة لفضل الله وبركته، ويتلى دعاء خاص عليها يبين قداسة السبت. يوضع رغيفان من خبز دسم خاص يسمى حالاة على طاولة الطعام للتذكير بفضل الله ورزقه في الصحراء، ويرتل عليهما دعاء البركة أيضا. يقوم كل الحاضرين بالوضوء أو الغسل قبل الدعاء والابتهال، وهو يعتبر، إضافة إلى الشعائر الأخرى المذكورة نوعا من الطقوس التي كان يقوم بها الكهان في هيكل القدس في أثناء تقديم القرابين الرسمية.

وتحضر الأسرة في اليوم التالي (نهار السبت) للعبادة الجماعية في الكنيست. تأخذ شعيرة صلاة يوم السبت وقتا أطول من الصلاة اليومية العادية لأن الوقت متسع للقيام بالصلاة والدراسة. فيتم ترتيل ومناقشة القراءة الأسبوعية من لفائف التوراة التقليدية، وتضاف صلاة نافلة للعبادة الصباحية. تعود الأسرة بعد ذلك إلى البيت لتناول وجبة دسمة أخرى وللراحة بعد الزوال. وتقام الصلاة في العصرية المتأخرة التي تشتمل على قراءة قصيرة من التوراة، وتحوي هذه المرة على الجزء الذي سيتم ترتيله في السبت المقبل. وهكذا يتم بناء جسر بين يوم السبت والسبت الذي يليه. وبعد هذا يتم تناول وجبة أخرى مصاحبة بالأناشيد والدعاء والابتهال، وتبدأ صلاة المساء بعد ظهور ثلاثة نجوم في السماء معلنة بداية يوم جديد.

يوجد ارتباط مزيج الخمر والخبز في كل الأعياد اليهودية، ويرمز هذا إلى الشراكة بين الله والإنسانية بحيث أن الله هو الرزاق للمواد الخام، لكن لا بد لليد الإنسانية أن تعالجها ليظهر

الإنتاج النهائي. ويستهلك الخمر من باب الشكر على اليوم الخاص. ويسمى هذا قيدوش وهو من ذات المصدر لفعل قدّس بالعربي بمعنى "يطهر" أو "يجعله مقدسا". وتستعمل الديانة اليهودية هذه اللفظة دائما من أجل السماح، ولكن في ذات الوقت لوضع قيود على بعض الأفعال البشرية. فالقيدوش يعترف بقدسية اليوم من خلال تناول الخمر الذي يعتبر شرابا مسكرا بطبيعته. إن الخمر في الديانة اليهودية ليس فقط مباحا، بل إنه متوقع لأنه يبهج النفس في مناسبة سارة. لكن قداسة فعل تناول الخمر تضع قيودا من أجل تجنب العواقب السلبية المحتملة والحفاظ على قدسية كيانه.

والزواج أيضا مقدس (قيدوشين)؛ فإن الجماع في الديانة اليهودية فعل جميل ومقدس، ويجب أن يكون فترة علاقة، ومحبة وسرور شديد. لا يعتبر فعلا قذرا كما لا يجب أن يكون فعلا مخجلا. لكن الجماع، مثل الخمر، قد يتجاوز المعقول وبإمكانه أن يكون خطرا إذا لم توضع له حدود. فالقيدوشين، أي قداسة الجماع عن طريق الزواج، يضع القيود الضرورية ليتم اعتباره بالفعل عملا مقدسا ومميزا. إن فعل التقديس (قيدوش، قيدوشين) يشجع في ذات الوقت الذي يوضع فيه حدود. إن فعل التقديس، سواء تعلق الأمر بالخمر أو العلاقات الجنسية أو علاقات مشابهة, يدعو في آن واحد إلى الانتباه إلى ما تمثله الهدية وخطرها، وبالتالي إلى وضع حدود وتوفير وسائل معقولة للقيام بفعل التقديس.

المهرجانات والأعياد

إن الديانة اليهودية، ديانة الذاكرة، وتوفر الدورة السنوية للمهرجانات والأعياد فرحا لتقديم الشكر والعرفان لتأريخها الطويل، وكذلك لعلاقة اليهودي مع الله والطبيعة والأرض والبشرية. فقد كان بنو إسرائيل في فترة التوراة المبكرة شعبا زراعيا. إن بعض الأعياد التي يحتفى بها إلى اليوم تقدم الشكر لله على المحاصيل الزراعية وبعضها الآخر يحتفي بعدد من المناسبات في تاريخ بني إسرائيل، الانتصارات والكوارث معا. وفوق هذا فإن بعضها ليس مبنيا على خلفية تأريخية أو اقتصادية بل يركز بالكامل على العلاقة بين الله والبشر.

أيام الخشوع

إن بداية السنة مناسبة للاحتفال والتأمل معاً. فمن جهة، إننا نحتفل بوجودنا ونجاحنا في الحصول على الرزق لسد حاجاتنا وحاجات أسرنا. فعلى الصعيد الأعمق نحتفي ببقائنا وحياتنا في السنة الماضية والدخول في السنة الجديدة المبتدأة. لكن هذا الاعتراف يجب أن يقودنا إلى نقطة خشوع ونحن نتأمل طبيعة حياتنا ومعناها العميق. فأيام الخشوع هي فترة يجرب فيها اليهود الاحتفال والخشوع معا. وتبدأ هذه الفترة بعيد رأس السنة (روش هشاناة) في أول يوم شهر تشري، وهو الشهر اليهودي القمري، وتنتهي بعد عشرة أيام مع يوم الغفران (يوم كيبور) أقدس يوم في التقويم اليهودي.

رأس السنة (روش هشاناة)

قد أشير إلى رأس السنة في التوراة كيوم النفخ في قرن الكبش، وكيوم الذكرى. ويعتبره التقليد اليهودي عيد ميلاد العالم، أي ذكرى الخليقة. وبالرغم من كونه مناسبة سعيدة فإنه ليس وقتا للحفلات لأنه يجسد أيضا بداية فترة في غاية الصعوبة في البحث الذاتي المكرس لمحاسبة النفس بدقة. نسعى لتذكير أنفسنا بمجالات فشلنا في السنة الماضية – فشلنا مع الآخرين، وفشلنا مع أنفسنا، وفشلنا مع الله. والقصد من محاسبة النفس بشدة هو مساعدتنا على الشعور بالندم على الأذى الذي ارتكبناه، وردنا إلى الطريق المستقيم لنتمكن من تحسيس أنفسنا، ونعمل بشكل أفضل في السنة المقبلة. تستمر هذه المحاسبة للنفس مدة عشرة أيام وتصل ذروتها في يوم الغفران يوم العاشر من الشهر.

يتسم القيام بمعظم العادات والطقوس المرتبطة برأس السنة في المعبد اليهودي، لكن هناك احتفاء بالطعام في البيت في الليلة الأولى مع أطعمة ذات دلالة. العسل هو الشائع كرمز للأمل في سنة طيبة قادمة. يغمس التفاح في العسل ويؤكل، كما يتم تناول خبز العيد الخاص المسمى حالاة (Khallah). يتم قضاء معظم النهار في الكنيس الذي تكون فيه الصلوات اليومية العادية طويلة بشكل ملحوظ مع أشعار وأناشيد، وقراءات وطقوس إضافية. ويعتبر النفخ في البوق (الشوفار) أبرز مظهر في طقوس رأس السنة. وهذه العادة واجبة في التوراة وقد ينفخ في الشوفار في بعض المعابد مئة مرة. إن صوت الشوفار الحلقي مثير ومزعج في الوقت نفسه. يمكن أن يساعد على إيقاظ ضمائرنا النائمة، ويمكن أن ينادي للحرب ضد أسوأ جزء من طبائعنا. وعلى الصعيد الأساسي إنه بمثابة صلاة دون كلمات، وصراخ عاطفي يرتفع من المجتمع إلى الله.

تعكس الصلوات الخاصة لليوم ثلاثة مبادئ مهمة في الديانة اليهودية:

- قبول الله كمالك العالم،
- الاعتراف بأن الله يعاقب الشر ويجازي الخير،
- الاعتراف بأن الله أنزل التوراة في جبل سيناء وأنه سيأتي بالخلاص النهائي.

تشتمل الصلوات في هذا اليوم على التصور للوح المحفوظ في السماء الذي كتبت فيه أعمالنا السيئات والحسنات. فإذا كانت حسناتنا تتجاوز سيئاتنا فسيتم تسجيلنا في كتاب الحياة للسنة القادمة، وإذا كانت سيئاتنا تتجاوز حسناتنا فسيتم تسجيلنا في كتاب الممات. فلهذا نقوم بالصلاة والدعاء إلى الله أن يصلحنا ويرحمنا ويكتبنا في كتاب الحياة. ويجب على كل شخص أن يطلب المسامحة من غيره.

يوم الغفران (يوم كيبور)

يقع يوم كيبور أي يوم الغفران في العاشر من شهر تشري اليهودي لكن للأيام التي تقود إليه دلالة خاصة. فهي أيام التكفير العشرة. وبحسب التقليد، فإن الأخيار تماما يتم تسجيلهم في كتاب

الحياة في روش هشاناة (يوم عيد رأس السنة) ويتم تسجيل الأشرار تماما في كتاب الممات. لكن أغلبية بني البشر الساحقة ليست مستقيمة بالكامل وليست شريرة بالكامل. فإنهم مازالوا يستطيعون أن يستغفروا الله، ويكفروا عن ذنوبهم بإخلاص خلال أيام التكفير العشرة ويتم ضمهم في كتاب الحياة. يعلم التلمود وجوب اعتبار النفس دائما كأنها نصف مذنبة ونصف بريئة ليكون كل فعل من أفعالنا هو الذي بإمكانه تحديد مصيرنا إما إلى الحياة وإما إلى الممات (قيدوشين 4 أ – ب) سيقود هذا النوع من الوعي في النهاية إلى تصرفات حسنة وأخلاقية.

إن أبرز ظاهرة في يوم الغفران هي الصوم الذي يبدأ قبل غروب الشمس، وينتهي بعد غروبها في اليوم التالي. من المحتمل أن يكون صوم يوم الغفران مثل صوم عاشوراء من الغروب إلى الغروب في اليوم العاشر من شهر محرم في التقويم الإسلامي الذي سنه محمد في المجتمع المدني سنة 622. وفي الحقيقة، فإن الكلمة العربية "عاشوراء" يجوز أن تكون مشتقة من الاسم الآرامي ليوم كيبور الذي يعني (عشوراء دي تشري) العاشر من شهر تشري (اللاويون 16: 29). لم يعد عاشوراء فرضا في الإسلام رغم أهميته التأريخية البالغة خصوصاً عند الشيعة، لكن يوم الغفران واجب في الديانة اليهودية. فهو في الحقيقة أقدس يوم في التقويم اليهودي.

تقام طقوس مفصلة في الهيكل القديم في القدس يوم الغفران، أقدس يوم في التقويم السنوي، من أجل التكفير والاستغفار من خطايا وذنوب مجتمع بني إسرائيل. تشتمل إحدى هذه الطقوس على التفوه الرسمي باسم الله الذي لا ينطق، وذلك من قبل أقدس شخص في الأمة الكاهن الأعظم في أقدس مكان على الأرض، وهو المحراب الداخلي للهيكل, وفي أثناء قيام الكاهن الأعظم بذلك تسجد الجماهير الإسرائيلية المجتمعة على وجوهها في فناء الهيكل وساحته. ويتم القيام كذلك بعدد آخر من الطقوس في الهيكل يوم الغفران، وتشتمل على تقديم عدد من القرابين.

لقد تم أداء شعائر يوم الغفران في الكنيس على مدى الألفين سنة الماضية. ليس هناك سبب يدعو للمكوث في البيت ذلك اليوم، لأن الأكل والشراب والاغتسال والجماع ممنوعة، وكذلك معظم الأنشطة الأخرى ممنوعة. ويمنع أيضا لبس الأحذية الجلدية. يلاحظ المرء مباشرة التشابه بين عادات يوم الغفران والإحرام الذي يرتديه الحجاج المسلمون عند أدائهم فريضة الحج، باستثناء الصوم طبعا. وتأمر التوراة اليهود "ليذللوا أنفسهم" (اللاويون 16: 31، 23: 27، العدد 29: 7) ويتجنبوا متع الحياة اليومية العادية. إن القصد من التذلل في هذا اليوم هو بلوغ درجة عالية من الوعي بالخيرات الإلهية بحرمان النفس منها، وبالتركيز على قضايا الحياة العميقة دون انشغال البال. يصف التقليد اليهودي الملائكة بأنها لا تأكل ولا تنام ولا تمارس الجماع بالطبع. ففي هذا اليوم نصبح مثل الملائكة نتأمل الله والمعنى الحقيقي لحياتنا.

تقام خمس صلوات في يوم الغفران ويتطلب حضورها الكامل التواجد معظم النهار في الكنيس (بيت كنيست). وكل صلاة تتطلب اعترافات بعضها خاص وبعضها جماعي. ترتل التوراة بأنغام خاصة لأيام الخشوع. يرتل أيضا سفر يوناة في الكنيس، تقام أيضا صلاة

ودعاء على الموتى وأخرى تختص بوصف شعيرة يوم الغفران في المعبد القديم، وتذكر أخرى بتضحيات اليهود عبر العصور. إن الأنغام المتكررة، والصلوات الجماعية الطويلة، وفقدان الطعام، والقراءات المقدسة والشعرية المثيرة، والصلوات، كلها تعزز بعمق المعنى الروحي لليوم، وتمكن المرء من التركيز على التوبة الشخصية، وعلى معنى الحياة وعلى العلاقة بين الله وبين الأسرة. ليس الهدف من اليوم التكفير فقط, بل إن الهدف أيضا هو إعادة وضع الأولويات الشخصية والرجوع إلى الطريق المستقيم لتكون السنة الجديدة مناسبة لأعمال الخير والأفكار الحسنة.

أعياد الحج

تأمر التوراة أن يقوم جميع الذكور بالحج إلى بيت المقدس ثلاث مرات في السنة وذلك في عيد العرش (سوكوت), وعيد الفصح (بيسح) وعيد الأسابيع (شفوعوت) (التثنية 16: 16-17). وبالإضافة إلى كون هذه المهرجانات مناسبات لحمد الله وشكره فإنها أيضا تعطي شهادة على وحدة بني إسرائيل عندما يتخذ عدد من الآلاف طريقهم ارتجالا إلى المعبد المركزي، وإلى عاصمة بني إسرائيل في بيت المقدس. تسمى هذه المناسبات الثلاث للحج "المرات الثلاث للسير على الأقدام" (شالوش رغليم). وتسمى أيضا الحج وهي اللفظة نفسها في اللغة العربية لفريضة الحج. إن مصدر الكلمة هو "القفز والرقص" أو "التحرك على شكل دائرة وكل هذه الأنشطة كانت جزءا من المهرجانات الدينية القديمة. ولا يزال المسلمون إلى يومنا هذا يطوفون بالكعبة في مكة (الطواف). ويطوف اليهود بلفائف التوراة على المصلين في المعبد أيام السبت وخصوصا في عيد السوكوت.

لا تزال أعياد الحج الثلاثة التوراتية أعيادا أساسية منذ ألفي سنة، وبعد تدمير الهيكل لم يعد بإمكان اليهود أداء فريضة الحج عندما منعوا من الدخول إلى بيت المقدس بعد تمرد باركوخبا (132-135). وعوضا عن ذلك فقد تحولت الاحتفالات إلى الكنيس والبيت. ولا يجوز العمل في خلال هذه الاحتفالات مثل السبت، لكن مع استثناء واحد، وهو تجهيز طعام الأكل وكل ما يتعلق به (الخروج 12: 16)[48].

عيد العُرُش (سوكوت)

بعد خمسة أيام من يوم الغفران يأتي عيد السوكوت والاسم مأخوذ من الكلمة العبرية "سوكاة" بمعنى المأوى المؤقت (الخيمة) ويعرف في العربي بعيد العرش (من مفرد عريشة) او عيد المظال. وكما هو الحال بالنسبة للأعياد اليهودية المهمة فإن السوكوت واجب ديني في التوراة (الخروج 23: 14-16، اللاويون 23: 33-44، التثنية 16: 13-17). وعيد العرش عيد فلاحي مثل بقية أعياد الحج، ويسمى "حج المحصول" (يعني المحاصيل الزراعية عبري: حاغ هأسيف). يقع في نهاية حصاد الخريف، ويكون مناسبة لشكر الله على نعمه. ولكن معناه الأساسي، كبقية الأعياد اليهودية، يتجاوز كونه فقط مناسبة لتقديم الشكر، مع

أنه يتيح تلك الفرصة أيضا (اللاويون 23: 41-43): "تفرحون أمام الرب إلهكم سبعة أيام فيقيم كل أبناء أرض إسرائيل في خيام سبعة أيام لكي تتذكر أجيالكم أنني أسكنت أبناء إسرائيل في خيام عندما أخرجتهم من أرض مصر". إن الفرح بعيد المظال يكون مناسبة أيضا للتذكير بالخلاص الإلهي لبني إسرائيل من العبودية المصرية.

وإن كان معظم اليهود لا يعيشون في الواقع في الخيام مدة أسبوع، فإنهم يتناولون فيها أكبر عدد ممكن من الوجبات الغذائية، وينام بعضهم فيها بالفعل بعض الأحيان. تكون وجبات الطعام المأكولة في الخيام مناسبات سعيدة ومرحة يشترك فيها الأقرباء والأصدقاء. تقام أيضا صلوات خاصة في الكنيس بهذه المناسبة مع قراءات خاصة من لفيفة التوراة وطقس فريد بالإشارة بأربعة أنواع من النباتات إلى الجهات الأربع ومن الأعلى والأسفل. ويعتبر عيد المظال فعلا مناسبة بهيجة بعد صعوبة البحث الذاتي أيام التكفير العشرة.

وفي نهاية عيد المظال يأتي عيد يسمى سمحات توراة بمعنى "بهجة التوراة"، الذي يحتفل بالدورة السنوية لقراءات التوراة الأسبوعية في الكنيس. وتقرأ في هذا اليوم المقاطع الأخيرة من سفر التثنية (آخر الأسفار الخمسة في التوراة) ويلي ذلك قراءة المقاطع الأولى من سفر التكوين. يدعى كل واحد في المجتمع أن يقدم الدعاء ويقرأ من اللفائف بما في ذلك الأطفال وأولئك الذين لا يقومون بذلك عادة. ومن طقوس هذا اليوم أيضا طواف لفائف التوراة حول المجتمعين ويقوم الناس في أثناء ذلك بالرقص والغناء وهم يمسكون باللفائف. يجب التنبيه هنا أن محبة التوراة لا تعني عبادتها بل هي تعبير عن المحبة لكلام الله الذي ورد في التنزيل. الرقص الصاخب في بعض الأحيان مع اللفائف يعطي الناس فرصة للتعبير عن محبتهم لله وللديانة اليهودية كما يمثلها الوحي الإلهي.

عيد الفصح

عيد الفصح هو عيد موسم الحج في فصل الربيع وكبقية أعياد موسم الحج الأخرى، فلقد أصبح مرتكزا في البيت وفي الكنيس بعد تدمير الهيكل. فهذه فترة وضع النعاج، وموسم حصاد الحبوب التي أسقتها أمطار فصل الشتاء في فلسطين وما تزال ظواهر البداوة والفلاحة معا موجودة في الطقوس الحالية. ولكن تكمن الأهمية الأساسية للعيد في الخلاص الإلهي لبني إسرائيل من العبودية المصرية كما يلخص سفر التثنية ذلك 16: 1-4:

> احتفلوا دائما بفصح الرب إلهكم في شهر الربيع نيسان (الشهر اليهودي القمري) ففي هذا الشهر أخرجكم الرب إلهكم من مصر ليلا. واذبحوا للرب إلهكم غنما أو بقرا في الموضع الذي يختاره الرب ليحل اسمه فيه. لا تأكلوه مع خبز مختمر، بل كلوه مع فطير طوال سبعة أيام لأن هذا هو خبز المشقة، إذ أنكم على عجل غادرتم ديار مصر، وبذلك تتذكرون يوم خروجكم من ديار مصر كل أيام حياتكم. لا تبقوا خميرا في أرضكم طوال سبعة أيام.

وبما أن عيد الفصح يحيي ذكرى خلاص بني إسرائيل من مئات السنين من العبودية في مصر، فإن كثيرا من الناس يعتبرونه اليوم عيدا للاحتفال بالحرية الإنسانية من العبودية. وهذا فعلا جزء مهم من معناه، لكن الجوهر الديني للعيد ليس الحرية بل الولاء – وحتى العبودية – لله بدلا من العبودية لأسياد بني الإنسان. إن الله هو الذي حرر بني إسرائيل من العبودية المصرية، وليس المقاتلين من البشر. فلهذا يجب أن يكون اليهود مخلصين تماما لله وأن لا يتبعوا بطريقة عمياء نزوات أي زعيم بشري.

هذا موقف مشرف، لكنه قد يقود إلى التجاوز والعنف وإراقة الدماء. إن كيفية فهم المطالب الإلهية في العلاقة مع مطالب النظام الاجتماعي قد تختلف بشدة، ويمكن أن يقوم المتطرفون بارتكاب أعمال عنف ضد المجتمع باسم تفسير فريد ومنحاز للمطالب الإلهية. فلهذا وضح التلمود ضرورة التوازن بين قوانين المجتمع والأوامر الإلهية. واحتفظ هذا المعنى في الجملة الآرامية "دينا دي مالخوتا دينا" بمعنى "قانون المملكة يظل هو القانون" (نداريم 28 أ، بابا قاما 133 أ – ب). سيلاحظ القارئ مرة أخرى الشبه بين اللغة العبرية واللغة العربية. فمعنى مصدر لفظة دين في اللغة العبرية هو "الحكم". يوجد هذا المعنى أيضا في اللغة العربية في الكلمات مثل دينونة والديان (إحدى الصفات الإلهية)، بالرغم من أن المعنى العربي الأساسي هو إما الاقتراض أو التسليف وإما إعلان ديانة.

يرمز الاحتفال بعيد الفصح إلى التوازن بين الأوامر الإلهية والمطالب البشرية لأن مطالب طقوسه الصارمة، لكنها سارة، قد أجبرت اليهود عبر التأريخ على إيجاد طريقة للاحتفال بالمناسبة التي أمر الله بها في الوقت الذي يتصرفون فيه كمواطنين جيدين في كل بلد. يدوم عيد الفصح، مثل عيد المظال إسبوعا كاملا، لكن الوقوف عن كل العمل خلال الفترة كلها ليس إجباريا. فالوقوف عن العمل ليس مطلوبا إلا في بداية العيد ونهايته. يتم القيام بمعظم الطقوس والاحتفالات خلال الأيام الوسطى، لكن يسمح فيها أيضا بالعمل والقيام بالمسؤوليات اليومية لجلب القوت والرزق.

إن أبرز ظاهرة في عيد الفصح هي وجوب إخلاء البيت من كل خمير. الخميرة، بالعبري "حاميتس" (عربي: حامض) هي كل مادة تساعد على تخمير الحبوب. لا يسمح إلا بأكل خبز الفطير الذي يسمى متساة. تصنع المتساة من دقيق القمح ويعجن دون خميرة تحت مراقبة صارمة وبسرعة لضمان أن لا يتم التخمير الطبيعي الذي يحدث عندما يضاف الماء إلى الدقيق قبل خبزه. ويعتبر المتساة (رقيق الخبز العويص) الطعام الرئيسي خلال أسبوع عيد الفصح، وتشتمل وصفات إعداد الوجبات على أشكال مختلفة من المتساة. يجب فحص كل المنزل ومحتوياته وتنظيفها تنظيفا دقيقا حتى تصبح مطهرة وخالية من أي خمير. أصبح عيد الفصح مناسبة للنظافة الكاملة في فصل الربيع. تستعمل صحون ومعدات الطبخ الخاصة لهذه المناسبة ويحتفظ بها للسنة القادمة من أجل تجنب وقوع أي عنصر تخمير عليها.

لا تفسر التوراة سبب وجوب الامتناع عن أي خمير خلال أسبوع عيد الفصح. إن صميم الممارسة يتطلب الامتثال للأوامر الإلهية. لكن الحكماء وحاخامات الأجيال اللاحقة قدموا

عددا من الأسباب. إن إحدى التفسيرات الشائعة تذهب إلى القول أن فعل الخميرة في نفخه للمواد المخبزية يشبه انتفاخ الإنسان وكبرياءه الذي يؤدي إلى نسيان واجب التواضع. فنحاول خلال أسبوع عيد الفصح أن نجرد أنفسنا، ليس فقط من الخميرة الفعلية، لكن كذلك من الخميرة النفسيه لنكون متواضعين ومهتمين بالآخرين. ويرمز الحاميتس أيضا إلى ميول الإنسان لارتكاب الشر. ويرمز التخلي وإبعاد كل خمير إلى عملية التطهير والتحرر من النجاسة – الحموضة النفسية.

وبالرغم من أن الصدقات على الفقراء واجب طوال السنة، فإن عيد الفصح يشكل مناسبة خاصة لجمع المال لمساعدة المحتاجين. وهذه المساعدة على الدقيق (معوت حطين) تقصد تقديم المعونة على شراء المتساة وبالتالي الحاجيات الأخرى ليتمكن المحتاجون من الاحتفال بالعيد والتمتع به.

إن أشيع الطقوس السنوية اليهودية هو سيدر (الوجبة الرئيسة) عيد الفصح الذي يحتفى به في البيت. لقد ورد في التوراة بعد الأمر بالاحتفال بالفصح (الخروج: 13-14) "وحين يسأل ابنك ما معنى هذا؟ تجيبه: "إنه بيد قديرة أخرجنا الرب من مصر، ديار العبودية". ولقد تم أمر الحديث عن الخلاص الإلهي بشكل رسمي في مناسبة تناول الطعام التي يتم فيها سرد قصة الخروج من مصر بالألغاز والألعاب والغناء والتفسير مع كثرة الأكل. وتركز الأنشطة المسائية على الأطفال الذين يشاركون مشاركة تامة.

إن ليلة عيد الفصح والوجبة الغذائية مفعمان بالأشياء الرمزية. إن كتاب هآغاداة، وهو كتاب احتفالات عيد الفصح يلخص ذلك. يتم تناول أربعة كؤوس من الخمر لإحياء ذكرى الطرق الأربعة المختلفة التي وعد الله بها لخلاص بني إسرائيل. توضع كأس أخرى في انتظار الخضر (النبي إلياهو Elijah) الذي سيأتي، بحسب التقليد ويشرب منها عندما يحين وقته لإعلان قدوم المشيح المخلص. تؤكل المتساة في أثناء وجبة ليلة عيد الفصح ويوضع صحن طقسي بارز على المائدة يحوي عددا من الأطعمة الرمزية. قطعة من عظم الساق المشوية تذكر بالقربان المقدم في عيد الفصح في الهيكل القديم. توضع بيضة بجانبه رمزا لقدوم فصل الربيع وللقرابين المقدمة في الهيكل. وصحن من الخضروات الخضراء يرمز إلى فصل الربيع، لكن تغمس الخضروات في ماء مالح تذكيرا بدموع العبيد، والأعشاب المرة أيضا ترمز إلى مرارة العبودية. ويرمز صحن يحوي خليطا أسمر اللون من البندقة والفواكه (حاروست) إلى الهاون الذي استعمل في البناء القسري لمدن مصر القديمة. وفي بداية المساء يقوم رب البيت برفع قطعة من المتساة ويعلن باللغة الآرامية:

> هذا خبز الفقر والحزن الذي أكله أجدادنا في بلاد مصر. ليتقدم كل جائع ويأكل. ليتقدم كل محتاج ليشارك في طعام عيد الفصح. هذه السنة مازلنا هنا – السنة المقبلة في أرض إسرائيل. هذه السنة مازلنا عبيدا – السنة المقبلة أحرارا.

هذا الإعلان معقد وذو طبقات. يبين شوقا عميقا للخلاص عندما لا يكون الفقراء والمحتاجون في حاجة وعندما يصبح المضطهدون أحرارا. إن أمل اليهود في الخلاص كان دائما مرتبطا

ارتباطا عميقا بتوقع العودة إلى أرض إسرائيل. لكن هذا التوقع لم يكن مدة قرون كثيرة إلا حلما سيتحقق في مستقبل غير محدد. إن التقوى الشخصية والأعمال الصالحة ستعجل باليوم، لكن العواقب المأسوية للحركات المشيحانية الفاشلة قد علمت الدرس المرير بأن العمل السياسي أو العسكري لا يأتي بالخلاص. وكما تمت مناقشته في الفصل الخامس، فإن اليهود لم يبدأوا مرة أخرى في التنظيم للسيطرة على مصيرهم إلا عندما تم تطوير الأفكار الجديدة للحداثة في الغرب. ومع ذلك فحتى خلال القرون الهادئة عندما كانوا ينتظرون الخلاص بهدوء، فإن الارتباط الروحي، بالفعل اللاثني أو القوي، مع بيت المقدس وأرض إسرائيل كان دائما جزءا لا يتجزأ من الروح الشعبية اليهودية وهويتها.

يسأل الطفل في ليلة عيد الفصح: "لماذا تختلف هذه الليلة عن كل الليالي الأخرى؟" للجواب على هذا السؤال بقية الأمسية تمضي بسرد القصص وقراءات من التوراة وكتابات الحاخامات، والأناشيد، وأكل الأطعمة الرمزية والمناقشات. تملأ عادات وممارسات كثيرة بقية الأسبوع بما في ذلك من صلوات خاصة في المعبد وقراءات خاصة من التوراة. وابتداء من اليوم الثاني لعيد الفصح يتم حساب خمسين يوما (اللاويون 23: 15-21) لدخول العيد الثالث والأخير من أعياد الحج السنوية.

عيد الأسابيع (شفوعوت)

يخلد عيد الأسابيع (شفوعوت) الحصاد الفلاحي في أول الصيف الذي تسميه التوراة "عيد الحج لحصاد باكورة الغلات" (الخروج 23: 16). وتمتزج مناسبة تاريخية مع فريضة تقديم الشكر لله على نعمه كما هي العادة مع كل أعياد الحج. إن وجوب عد خمسين يوما من عيد الفصح إلى عيد الأسابيع (شفوعوت) يربط العيدين، والخمسون يوما تطابق المدة بين الخروج من مصر ونزول التوراة على جبل سيناء (انظر الخروج 19: 1). فعيد الأسابيع إذا يخلد الوحي في سيناء الذي جاء بعد الحرية من العبودية المصرية. وتعتبر الحرية بلا معنى دون الشريعة، وسوف يكون تحرير الله لبني إسرائيل ناقصا دون وسيلة استمرار الإرشاد والهداية الإلهية. وهكذا فإن الإنقاذ من مصر وصل ذروته مع الخضوع الجماهيري من قبل بني إسرائيل قاطبة لعهد الله التوراتي.

يعتبر عيد الأسابيع عيد الحج الوحيد الذي لا يدوم أسبوعا كاملا. ويشتمل أيضا على طقوس أقل. وقد جرت العادة أن تؤكل مشتقات اللبن في هذا العيد، وأن يزين الكنيس والبيت بنباتات وأغصان خضراء. أصل هذه العادات ليس واضحا. ومن العادة أيضا قيام الليل كله في دراسة التوراة. لقد بدأ هذه العادة متصوفة القرون الوسطى كطريقة للاستعداد للوحي الخطير المتوقع حدوثه في الصباح التالي. لدى معظم المعابد اليوم برنامج دراسي ليلة عيد الأسابيع الذي قد يشتمل على العهد القديم والتلمود والتعليقات والمدراش أو مواضيع حديثة مرتبطة بالديانة اليهودية والحياة الدينية. تشتمل الصلوات في المعبد على قراءات من التوراة وسلسلة خاصة من المزامير معروفة بـ"هليل" (تسابيح) تنشد في كل الأعياد.

تصف قراءة التوراة الوحي المنزل في سيناء. وتجري العادة أن يقوم المصلون بالوقوف عند قراءة الوصايا العشر جهرا للتعبير الرمزي على التجربة الأصلية في سيناء عندما وقف كل بني إسرائيل لتلقي الوحي الإلهي.

الأعياد الثانوية

إن المهرجانات والأعياد المهمة في التقويم اليهودي هي: أيام الخشوع (عيد رأس السنة, ويوم الغفران) وأعياد الحج الثلاثة عيد العرش (سوكوت)، وعيد الفصح، وعيد الاسابيع (شفوعوت). لكن يوجد عدد آخر من الأعياد في التقويم. الأعياد الثلاثة المهمة هي الحانوكاة والبوريم والتاسع من (آب).

عيد الأنوار (الحانوكاة)

يخلد عيد الحانوكاة الذي يعني التدشين، إعادة تدشين الهيكل في بيت المقدس بعد تدنيسه من قبل اليونان. فلقد قام أنطيوخوس الرابع حاكم سورية اليوناني سنة 167 قبل الميلاد بتدنيس الهيكل، وذلك بإدخال العبادة الوثنية إليه، ومنع ممارسة الديانة اليهودية الحرة. تمرد اليهود ونجحوا في هزيمة الجيوش اليونانية، وحاولوا السيطرة على المنطقة. القصة معقدة بفعل وجود طائفة مهمة من اليهود المتأثرة بمظاهر الثقافة اليونانية المغرية تقاتل بالفعل لحساب اليونانيين. ثابر اليهود التقليديون وانتصروا في النهاية. وبالرغم من أن الثوار حققوا أهدافهم في المحاربة والانتصار في الحرب، إلا أن حاخامات التلمود لم تركز على هذه الحقيقة فسردوا قصة حولت معنى الحانوكاة من الشجاعة العسكرية الى شيء أكثر روحانية. كان هناك سراج في الهيكل دائم الإنارة لكن اليونانيين أخمدوه. ولما أعاد اليهود تدشين الهيكل ذهب الكهنة لإعادة إنارة السراج، لكنهم لم يجدوا إلا وعاء صغيرا للزيت المبارك الذي يحمل خاتم الكاهن الأعظم، والذي يكفي لإنارة يوم واحد. كان المطلوب ثمانية أيام لإعداد كمية من الزيت المناسب كما أمرت التوراة بذلك (اللاويين 24: 1-2). لكن حدثت معجزة، فوعاء الزيت الصغير كان كافيا للإنارة مدة ثمانية أيام، حتى تم إعداد الكمية الجديدة (التلمود، شبات 21 ب). ولإحياء هذه الذكرى تقرر أن يقوم كل بيت بإنارة مصباح مدة ثمانية أيام تخليدا للمعجزة الإلهية.

يعتبر الحانوكاة في الحقيقة عيدا ثانويا ولقد اتخذ حجما كبيرا وسط بعض الجاليات اليهودية في الغرب، لأنه يقع في الوقت نفسه تقريبا التي يقع فيها عيد الميلاد المسيحي (Christmas). شعر كثير من اليهود في الغرب المسيحي كأقلية صغيرة غير مسيحية أن أطفالهم سيتأثرون بالدعاية الهائلة بالاحتفالات الوطنية بعيد الميلاد، وقد يؤدي ذلك إلى إبعادهم عن الديانة اليهودية. لذا كان تعزيز الاحتفال بالحانوكاة في مجمله كرد على هذا التهديد من أجل إرضاء حاجات أطفال اليهود والمحافظة على ديانتهم.

عيد المساخر (عيد البوريم)

يعد عيد البوريم عيدا توراتيا إلا أنه يظل عيدا ثانويا لأنه يخلد حدثا قد وقع خارج أرض بني إسرائيل. يقع البوريم في شهر آذار (اليهودي القمري) في فصل الربيع قبيل شهر تماما من عيد الفصح. إنه يحيي ذكرى إنقاذ الجالية اليهودية في فارس من مخططات الشر التي كان ينويها هامان وزير الملك[49]. توجد القصة بكاملها في سفر أستر الذي يعد أحد الأسفار القصيرة التي يضمها الكتاب الثالث وآخر جزء من العهد القديم. يشك العلماء في واقعية القصة لكنها ذات مغزى كبير بالنسبة لليهود، لأنها تمثل وتلخص خطورة حياة الأقلية في البلدان الأجنبية. وحسب ما ورد في القصة فإن البطلين اليهوديين إستر وموردخاي أفشلا مخطط الوزير الشرير، وأنقذا يهود فارس من دمار محقق. ومن الغريب أن اسم الله لم يذكر في أي مكان من الكتاب، وبالرغم من هذا فلقد تم ضمه إلى قانون التوراة العبرية، لأن القصة محبوبة جدا.

ليس مطلوبا من اليهود أن يتوقفوا عن العمل في عيد المساخر على غرار الحانوكاة وعلى عكس أعياد الحج ورأس السنة – ويوم الغفران ويوم السبت. ومثل الحانوكاة فإن البوريم عيد بهيج للغاية. يرتدي الأطفال ملابس خاصة وتعطى لهم هدايا والحلويات وعادةً ما يرتدي اليهود في هذا العيد ملابس تمويهية مثل لباس الملك الفارسي أو شخصية غريبة متقمصة من القصة. يرتل سفر إستير جهرا بالكامل في الكنيس. يفترض سماع كل كلمة عند ترتيل السفر، لكن المصلين مطالبون أيضا بالضرب بأرجلهم، وبمعنى آخر إثارة ضجيج كلما ذكر اسم الوزير المشؤوم (هامان)، ليتم محو اسمه من التأريخ. إن وجوب سماع الاسم وعدم سماعه في الوقت نفسه يشكل مصدر ترفيه للاطفال ودرسا للكبار. ويعد عيد المساخر أيضا مناسبة لإعطاء الصدقات للمحرومين.

صوم التاسع من (آب)

يقع صوم التاسع من آب وسط فصل الصيف، وهو يوم حزن جماعي. يخلد ذكرى تدمير الهيكل الأول والثاني معا. يرتل سفر المراثي جهرا في الكنيس ويتم صوم أربع وعشرين ساعة كاملة. وبالإضافة إلي تدمير الهيكلين فإن التقليد يؤرخ عددا من الكوارث والمآسي في التاسع من آب بما في ذلك مذابح الجاليات اليهودية في أوروبا من قبل الصليبيين. وهذا التاريخ هو التاريخ الرسمي الذي طردت فيه الجالية اليهودية من قبل المملكة المسيحية المتحدة في إسبانيا.

الأعياد الحديثة

إن قصة الشعب اليهودي تستمر في الانكماش، ولقد تأثر القرن العشرون بالحزن وبالسعادة معا. فلقد قربت المحرقة (الهولوكوست) الشعب اليهودي إلى الإبادة أكثر من ذي قبل (أبيد ثلث يهود العالم)، بينما أعطى تأسيس دولة إسرائيل اليهود أول فرصة للحكم الذاتي في خلال ألفي سنة. يتم إحياء ذكرى هاتين المناسبتين في المجتمعات اليهودية في العالم كله.

يوم المحرقة (هاشوءاة)

يحيي اليهود ذكرى يوم المحرقة (الهولوكوست) المسمى في بعض الأحيان يوم الهولوكوست والمقاومة (المحرقة والبطولة: موعد التمرد اليهودي في غيتو وارسو سنة 1943م) في أواخر فصل الربيع بعد عيد الفصح. ويحيي هذا اليوم ذكرى محاولة الإبادة الجماعية لليهود من طرف النازيين والكثيرين من معاونيهم المستعدين في كل أنحاء أوروبا ويحيي أيضا ذكرى البطولة من قبل اليهود الذين رفضوا الانسياق إلى المذبحة بالرغم من أنهم لا يملكون أملا في الانتصار. ولقد اتخذت المقاومة اليهودية طرقا غير الطرق العسكرية التقليدية. فعلى سبيل المثال، لقد قام بعض العمال اليهود المستعبدين الذين يصنعون الذخائر النازية بإدخال عيوب وخلل عليها لكي لا تكون فعالة. ولقد قاوم آخرون بطرق أخرى.

عيد الاستقلال

يقع عيد الاستقلال أسبوعا بعد يوم ذكرى المحرقة، ويخلد تأسيس دولة إسرائيل. فهو عيد مهم خاصة في إسرائيل لكن معظم اليهود في الخارج يحتفلون به أيضا. وكما هو الحال بالنسبة لذكرى الهولوكوست لا توجد شعائر رسمية ذات الطابع العالمي بسبب حداثة الذكرى.

الفصل الثاني عشر
مدار الحياة اليهودية

يحتفل التقليد اليهودي، ككل الأديان والثقافات العالمية، بأهم المناسبات في الحياة بطقوس واحتفالات وصلوات خاصة. يعبر كل دين وكل ثقافة عن شخصيته في الطريقة التي يحتفل فيها بهذه المناسبات، وليست الديانة اليهودية استثناء لهذه القاعدة. ففي لب طقوس مدار الحياة يكمن الاعتقاد أن البشرية في شراكة مع الله في تأريخ العالم. وإن كان الله هو الخالق، فنحن أيضا نساهم في العالم، وقد تكون أفعالنا سلبية وإيجابية كذلك. وبالتالي فإن مكانتنا في الحياة تقتضي أن نتماثل للإرادة الإلهية حسب طاقتنا.

الولادة والختان

يعتبر إنجاب الأطفال واجبا إلهيا بالرغم من أن الذين لا يستطيعون الإنجاب لا يعاقبون ولا يستبعدون. ومن واجب الوالدين تربية أطفالهما، وتعليمهم مهنة وحتى مهارة السباحة لتزويدهم بالمهارات الضرورية للحياة الآمنة والسليمة والمنتجة. كانت الديانة اليهودية ديانة هذا العالم التي تركز دائما على الحياة في هذا العالم، لا لشيء إلا من أجله وليس من أجل الدخول في عالم مقبل. تعتبر ولادة الطفل مناسبة سعيدة لأنه قدم إلى هذا العالم نظيفا ومحايدا ليس معصوما ولا مذنبا. ومن واجب الوالدين والأسرة والمجتمع ضمان تحقيق الطفل قدراته لكي يساهم مساهمة إيجابية وسعيدة للعالم. يعتبر المولود من أم يهودية، يهوديا بالتقليد.

تفرض التوراة ختان كل الذكور في اليوم الثامن من ولادتهم (التكوين 17: 1-14، اللاويون 12: 3)، لكن حتى وليد الأم اليهودية غير المختتن نادراً أن يعتبر يهوديا مع ذلك. يسمى حفل الختان بالعبري "بريت ميلاه" بمعنى "عهد الختان". جاء الختان ليكون مفهوما بأنه علامة العهد الذي بين الله وبني إسرائيل منذ قصة إبراهيم في سفر التكوين. تقع فريضة الختان على الأب إلا أنه ينيب عنه عادة خبيرا للقيام بذلك يسمى "موهيل" (المطهر). يتم حفل الختان في اليوم الثامن من الولادة إلا إذا كانت الظروف الصحية للوليد لا تسمح بذلك[50]. ففريضة الختان تنسي حتى أمر الالتزام بالسبت، وبالتالي قد يتم القيام بحفل الختان في السبت أو العيد.

إن حفل الختان مناسبة بهيجة وسارة تجلب حشودا من الأهل والأصدقاء إلى منزل أهل الطفل. وبما أن المشاركة في طقس الختان شرف فإنه يتم تعيين ذوي القرابة جدا لحمل الطفل في أثناء الاحتفال الذي يشتمل على القراءات والصلوات, بالإضافة إلى العملية الطبية التي يتم بعدها تناول مأدبة دسمة وسعيدة.

إن حفلة "بريت" (تنطق "بريس" على النحو الييدشي) تشكل مناسبة إعلان اسم المولود. يمكن اختيار أي اسم لكن جرت العادة على تسمية الأطفال بأسماء الاقرباء في الأسرة. يتم

تسمية الأطفال في التقليد الأشكينازي فقط باسم أحد الأقرباء الذين ماتوا لتكون حياة المتوفى قدوة ونبراسا للطفل الجديد. وفي التقليد السفاردي فغالبا ما يسمي الأطفال باسم أحد الأجداد الذي مازال على قيد الحياة من أجل أن يتطلع الطفل إلى الجد الحي كمرشد موجه خاص. هذا ويتجنب الكثير من اليهود تسمسة الطفل بإسم أبيه كما هو الحال لدى معظم المسلمين والمسيحيين.

لم تفسر الديانة اليهودية سبب كون الختان علامة العهد الرباني فوق ما جاء في سفر التكوين من المثال والأمر الموجه إلى إبراهيم. وينطبق فقط على الوليد الذكر. لا تعرف اليهودية ختان الأنثى ولا تشويه الأعضاء الجنسية بأي شكل من الأشكال. لكن هذا لا يعني أن الإناث مستبعدات من الميثاق. وبالعكس فإن الميثاق الإلهي يشمل كل اليهود. لكن طقس الختان والحفل الخاص به يدوران حول الذكور فقط. وتعلن في العادة ولادة الأنثى في الكنيس لكن بصخب وحماس أقل بكثير من ولادة الذكر. ولقد بدأت حركة في أواخر السبعينات من القرن الماضي بالقيام بطقس الترحيب بولادة الإناث في المجتمع على غرار "بريت ميلاه" والاحتفال بالمواليد الذكور. لقد اتخذ هذا الاحتفال أشكالا مختلفة، ولم يتم تقنينه إلى الآن، لكنه قد أصبح شائعا إلى حد ما في عدد من المجتمعات.

يتم الدعاء للجنسين بالهداية الإلهية لضمان تربيتهما على سنة التوراة وأن يتزوجا ويسيرا على التقليد، وأن لا يتوقفا أبدا عن أعمال الخير والمحبة. يتلو الأب في احتفال "بريت" هذا الدعاء: "تبارك الله الذي أمرنا بإدخاله في عهد أبينا إبراهيم" ويجيب الحاضرون بصوت جماعي: "وكما يدخل في العهد، ليدخل كذلك في دراسة التوراة والامتثال بها والزواج والأعمال الصالحة".

بار متسفاة/ بات متسفاة (البلوغ)

يبدأ الأطفال المدرسة في سن مبكرة، ويتوقع منهم دراسة التوراة والنمو في تحقيق الحياة اليهودية. يبدأ المراهقون في النضج فكريا وجسديا ويتوقع منهم في هذه المرحلة من التطور أن يتحملوا مسؤولية أفعالهم، وأن يساهموا في رفاهية المجتمع الكبير. عندما يبلغ الولد ثلاث عشرة سنة يصبح "بار متسفاة" أي "مسؤولا حسب الشريعة", هذا يعني أنه وصل إلى البلوغ الشرعي، ومطالب الآن أن يقوم بالواجبات الدينية التي يقوم بها الكبار. ويمكن عده الآن من النصاب الشرعي في العبادة. يتوقع من "بار متسفاة" أن يصوم في عيد الغفران (يوم كيبور) وأن يقوم بأداء الشعائر والواجبات الأخلاقية الأخرى.

يتم الاعتراف الرسمي بالولد كبارمتسفاة باستدعائه لقراءة التوراة بعد بلوغه الثالثة عشرة بوقت قصير، ويبرهن عن مهارته بترتيل الأدعية المطلوبة أمام جماعة المصلين وبالإنشاد من التوراة والقراءة من سفر الأنبياء. يتوقع منه أن يدرس التوراة للمجتمعين بتحليل ومناقشة النصوص التي قرأها، وقد يقود أيضا جزءا من الصلوات الجماعية. وبإمكانه منذ ذلك الحين أن يشارك ويقيم أي من الشعائر اليهودية التي يبين قدرته عليها. وبالرغم من

أن الاحتفال بهذا الحدث المهم في حياة اليهودي كان تقليديا مقتصر على الصلاة في المعبد اليهودي، فلقد أصبحت العادة في كثير من الأحيان الاحتفال بعد ذلك بمأدبة سارة مصاحبة في بعض الأحيان بالموسيقى والرقص.

كان الاعتراف بالبلوغ الشرعي ينطبق حتى وقت قريب على الأولاد فقط. لكن قد بدأ الاعتراف ببلوغ البنات أكثر فأكثر في النصف الثاني من القرن العشرين "بات متسفاة" (ينطق أحياناً باس متسفاة). وكما تعلمنا في الفصل العاشر لقد استبعدت الديانة اليهودية النساء من المشاركة في معظم الشعائر الدينية، مع أن هذا الموقف قد تغير كثيرا خلال الأجيال القليلة الماضية، فلقد أصبحت النساء الآن في الطوائف اليهودية الليبرالية ملزمات على قدم وساق مع الرجال ويتوقع منهن أن ينخرطن في الأنشطة القيادية والشعائرية نفسها. تتمسك اليهودية الأرثوذكسية بفصل الجنسين فيما يتعلق بالواجبات والشعائر، لكن حتى الارثوذكسية تعترف بتطور نوع من "بات متسفاة" للبنات. وبالرغم من أنه لا يسمح لهن بالقراءة العلنية من التوراة، فإنهن يبرهن على تعليمهن وعلمهن بطرق أخرى. تصبح البنات بات متسفاة في السن الثانية عشر نظرا لأنهن ينضجن فكريا وجسمانيا قبل الأولاد.

الزواج

لقد سبقت الإشارة إلى أن الزواج بالعبري هو "قدوشين" بمعنى "قداسة". فالعلاقة الزوجية مقدسة. فهو ليس فقط للإنجاب أو العشرة بالرغم من أنها من المظاهر المهمة في الزواج. فقد جاء في التلمود "إن من لم تكن له زوجة ليس برجل حقيقي". يعيش الرجل غير المتزوج "بلا بهجة ولا بركة ولا توراة، ولا حماية ولا سلام" (يفموت 62 ب – 63 أ). إن الرغبة الجنسية ليست شرا ولا عارا لكنها قد تكون خطيرة. ومن أجل هذا يجب أن تنتظم من خلال مؤسسة الزواج. فالدافع الجنسي، حسب التقليد، مفيد وجيد للفرد وللمجتمع بشرط أن يكون منظما تنظيما سليما: "لولا فضل الدافع الجنسي (يتسير هاراع) لما بنى أي واحد بيتا ولا تزوج ولاخلف" (تكوين رباه 9: 7). إن من يفشل في الإنجاب بسبب إنكاره للدافع الجنسي "كمن أراق الدم، وقلل من طبيعة الله وساهم في إخراج حضور الله من إسرائيل" (شولحان عروخ، ها إيزر 1: 1).

إن تعدد الزوجات مسموح به في الديانة اليهودية، ويصف العهد القديم أنبياء وشيوخ بأكثر من زوجة. ولكن بالرغم من شرعية التعدد، يبدو أن الزواج الأحادي هو القاعدة في كل من العهد القديم والتلمود. تفترض كثير من النصوص زوجة واحدة فقط[51]. وليس التعدد معروفا على وجه التقريب بين حاخامات التلمود. وكانت احتمالات اتخاذ اليهود أكثر من زوجة واحدة كبيرة في العالم الإسلامي نظرا للسماح بتعدد الزوجات في الإسلام. ولقد منع الحاخامات التعدد في العالم المسيحي الذي يحرم تعدد الزوجات من أجل تجنب الإدانة واحتمال الانتقاد من قبل المسيحيين.

على الزوج في الشريعة اليهودية توفير الطعام والكسوة والمعاشرة لزوجته (الخروج 21: 10). وعليه أن يمتنع من إشباع حاجاته الأساسية عند الضرورة من أجل توفير ما يلزم لزوجته وأطفاله (التلمود حللين 84 ب). الطلاق مباح، لكن لا يتم تشجيعه. الزوج فقط هو الذي يمنح الطلاق رسميا، لكن يمكن أن تلجأ الزوجة إلى محكمة شرعية للضغط على الزوج العنيد ليقوم بذلك من خلال العقوبات. وبالرغم من أن الديانة اليهودية تسمح بالطلاق فلا يوجد فيها دليل على الزواج المؤقت (زواج المتعة) كالذي حدث في الإسلام.

وعلى نحو تقليدي يعطي الزوج لعروسه كتوباة (عربي: كتاب عقد الزواج) وهو وثيقة الزواج يضمن لها الأمن الاقتصادي في حالة وفاة الزوج المبكرة أو الطلاق. إن هذه الممارسة متحدرة من "موهار" التوراتي (الخروج، 22: 16، عربي: مهر)، يعتبر ملكا شرعيا للعروس كما يضمن لها وثيقة الزواج (كتوباة). للزوجة حق التملك وإدارة الملكية. يميل عقد الزواج في الزيجات الحديثة بين اليهود غير الأرثوذكس أن يركز على الجوانب العاطفية والروحية بدلا من الجوانب الاقتصادية وواجبات الزوج والزوجة تجاه بعضهما البعض.

إن حفل الزواج بسيط ويتم الاحتفال به تحت ظلة (حوباه) ترمز إلى بيت الزوجين الجديد ويقام اليوم الحفل عادة في الهواء الطلق بدلا من الكنيس، وبالإمكان الاحتفال به في أي مكان معقول. يمكن لأي يهودي بالغ أن يقود مراسيم الزواج، بالرغم من عادة قيام الحاخام بذلك اليوم. ولكي يكون الاحتفال ملزما، فلا بد أن يكون عقد الزواج موقعا من قبل شاهدين لا تربطهما علاقة دم بالعريس أو العروس.

يشتمل الحفل الفعلي على جزئين يسمى الجزء الأول إيروسين (خطوبة). وفي الأيام الغابرة يدخل الشاب والبنت في معاهدة الارتباط بينهما في هذا الاحتفال العلني، ويعود كل منهما لبيت أهله للانتظار شهورا أو سنوات حتى يتم الزواج. يتمم الجزء الثاني، "قدوشين" (التقديس) عملية مراسم الزواج. أما اليوم يدمج الجزءان المنفصلان في الأصل في حفل واحد.

يشتمل جزء الخطوبة ("إيروسين" مرتبط بالكلمة العربية للزواج "عرس") على دعائين لحمد الله وشكره على مؤسسة الزواج. يتم "ختم" وتأكيد الصفقة بالرشف المشترك بين الخاطبين من كأس من الخمر كما هي العادة في عدد من الطقوس اليهودية. ويبدأ في هذه النقطة جزء القدوشين الذي يضع فيه العريس خاتما في إصبع العروس ويرتل بالعبري ما يلي: "مع هذا الخاتم أنت في ذمتي حسب شرائع وتعليمات موسى وشعب إسرائيل". ولقد كان الحفل في الأيام الغابرة يؤكد على الملأ أن العروس محرمة على الآخرين طوال فترة الزواج. ولقد جرت العادة في العصر الحديث، حيث أصبح تعدد الزوجات بين اليهود غير موجود تقريبا، أن تعطي المرأة كذلك خاتما للرجل لتكون العلاقة بذلك متبادلة. بعد حفل تبادل الخواتم تتم القراءة العلنية لوثيقة الزواج (كتوباة). ويتبع هذا إنشاد سبع تبريكات بحمد الله وشكره على خلق الرجل والمرأة. والهدف منها هو دوام حياة الزوجين معا في

المودة والسعادة. ولتأكيد هذه التبريكات يرتشف العريس والعروس من كأس خمر جديدة، وينتهي الحفل بدوس العريس (أو كلاهما) على الكأس وتحطيمها. وبذلك يتذكر الزوجان تدمير هيكل بيت المقدس حتى في لحظة سعادتهما الكبرى. وينتهي الحفل باعتبار الاثنين متزوجين. ويتبع ذلك وليمة واحتفاء تختلف تفاصيلها من مكان إلى مكان، ومن مجتمع إلى مجتمع.

تأمر التوراة بني الإنسان أن يثمروا ويتكاثروا (التكوين 1: 27-28) وعلى المتزوجين أن ينجبوا إن استطاعوا إلى ذلك سبيلا. لقد كان عدم القدرة على الإنجاب من أسباب الطلاق في العصور القديمة. إن منع الحمل مباح في تقليد الديانة اليهودية تحت ظروف معينة، وبعد أن قد تم تأسيس الأسرة. يمنع التقليد اليهودي الإجهاض بسبب الملاءمة، لكن عندما يكون الحمل شاقا وحياة الحامل في خطر فإن الإجهاض يكون واجبا. فحياة الأم تأخذ أولوية مطلقة على حياة الجنين حتى في أواخر مراحل التطور – بل حتى إلى غاية وقت الولادة نفسه (المشناة، أوهالوت 7: 6). تعتبر حياة الجنين حياة لكن ليست حياة كاملة إلى حين دخول عملية الولادة المتأخرة جدا.

لقد كان للممارسة المعروفة بطهارة الأسرة أثر قوي خصوصا على الأرثوذكس وكان معسكر بني إسرائيل مقدسا في أثناء التيه في الصحراء بعد نزول التوراة من على جبل سيناء لكن قبل دخولهم أرض إسرائيل. وكان لا بد لوظائف الجسم أن تتم خارج المعسكر وكان مطلوبا من الرجال والنساء البقاء خارجا إذا كانوا في وضع النجاسة المسمى "تومعاه" يسمح لهم بالدخول ثانية بعد مشاركتهم في عملية التطهير المعروفة "بالطهارة". وكان من أسباب النجاسة الخروج اللاإرادي لإفرازات الجسم. وبذلك فإن الرجل الذي أفرز سائله المنوي ليلا يعتبر نجسا وكذلك المرأة إذا حاضت (اللاويون 15). وتضيف التوراة بأن الجماع مع الحائض حرام لإن ذلك ينقل النجاسة (اللاويون 15: 24، 2: 18).

لقد تم التخلي عن معظم القواعد القديمة المتعلقة بالطهارة في الممارسة اليهودية بعد تدمير الهيكل، لكن الأحكام المتعلقة بفترة الحيض ما تزال سارية المفعول. يمنع نكاح المرأة في أثناء فترة حيضها ولفترة مباشرة بعده. تقوم المرأة بالغطس تماما في بركة مبنية خاصة لهذا الغرض تسمى "مكفيه" (لكن بإمكانها أيضا استعمال النهر أو البحر)، عندما تكون مستعدة وبعد ذلك تكون مباحة لزوجها. يلتزم اليهود الأرثوذكس بهذه العادة بشكل صارم، لكن الطوائف اليهودية الليبرالية أقل صرامة. إنه من المؤثر ملاحظة أوجه التشابه مع الإسلام فيما يتعلق بالطهارة والنجاسة المرتبطة بإفرازات الجسم التي تضع المرء في وضع غير مطهر، وتضع قيودا على المرأة خلال فترة الحيض. وبالإضافة إلى هذه البنود للطهارة والنجاسة فإن اليهود مازالوا متمسكين بعادة غسل اليدين قبل قراءة الدعاء على الخبز. وقد جاءت هذه العادة من عملية الطهارة القديمة التي كان يقوم بها الكهنة قبل تقديم القربان في الهيكل.

التقدم في السن

هناك مقولة مشهورة في التلمود تنسب إلي الحاخام يهودا بن تيما:

في الخامسة (يكون الطفل مستعدا) لدراسة التوراة.

في العاشرة للمشناة

في الثالثة عشرة (مسؤولية الالتزام) للأوامر والفروض.

في الخامسة عشرة للتلمود

في الثامنة عشرة للزواج

في العشرين للكسب

في الثلاثين لبلوغ أشده

في الأربعين لبلوغ الفهم

في الخمسين لإسداء المشورة

في الستين للعمر المتقدم

في السبعين لدخول الشيخوخة

في الثمانين يعكس العمر القوة

في التسعين للانحناء من جراء ثقل السنين

في المائة كأن المرء مات وذهب منسحباً من العالم

يعكس هذا النص النظرة اليهودية لمدار الحياة: التقدم في العمر هو وقت للنضج والفهم وهو وقت لإبداء المشورة، لكنه أيضا الوقت الذي يبدأ فيه الإنسان بالتخلي عن الزعامة في الأمور اليومية. ورد في أحد المزامير أن المستقيمين "يثمرون أيضا في الشيخوخة، ويظلون موفوري العافية والنضرة ليشهدوا أن الرب مستقيم وليس فيه سوء (مزمور 92: 15-16). فالديانة اليهودية تعتبر الشيخوخة فترة الوقار والهيبة. وتأمر التوراة بالقول: "قف في حضرة كبار السن، ووقر الشيوخ، واتق إلهك" (اللاويون 19: 32). الكلمة العبرية لكبير السن هي "زكين" من اللحية (زكان، عربي: ذقن). يعرف التلمود "زكين" بالشخص الذي يحفظ التوراة (قدوشين 32 ب). فهي فترة الحياة التي تكسب الشخص الاحترام.

تعتبر مرحلة الشباب في العالم الحديث مرحلة الجمال والقوة بينما نجد أن كبار السن عادة يشعرون فيه بالرفض باعتبارهم قدامى وهامشيين. لا تقبل الديانة اليهودية هذا، مثلها في ذلك مثل الإسلام. يتلقى كبار السن الدعم من المجتمع ويشجعون على المشاركة والمساهمة

بالنصائح. فالأسرة والمجتمع يتحملان المسؤولية على كبار السن ويعملان لتبقى مساهماتهم مفيدة وحياتهم مريحة على الصعيدين الجسماني والاجتماعي.

الموت والحداد

الموت طبعا شيء مخيف، لكن الديانة اليهودية تعده جزءاً من الحياة ومن العالم الذي خلقه الله. تذكر الصلوات اليومية الله بأنه هو "الذي يسبب الحياة والموت" (مميت ومحيي)، التعبير ذاته الموجود في القرآن (يحيي ويميت، مثلا 3: 156، 15: 23، 5: 43).

لا توجد قوة عليا أو شريرة يدخل الله معها في صراع، إن الله ليس في صراع مع قوة عليا أو شريرة. وبالعكس فإن الله هو مصدر الحياة ومصدر الممات. لكن هناك أمل بأن الله سيقضي على الموت يوما ما: " سيدمر الموت إلى الأبد. إن ربي الله سيمسح الدموع عن كل الوجوه (إشعياء 15: 8).

يعتبر البعث ويوم القيامة عنصراً أساسيا في الديانة اليهودية. وبالرغم من أن هذه المفاهيم غير مبينة في التوراة، فإنها بالتأكيد جزء كامل من التلمود. لكن لا تركز اليهودية على الجنة وجهنم، لأن من واجب الإنسان اتباع أوامر الله انطلاقا من محبته لله، وليس بسبب إغراء الجزاء أو خوف العذاب. فعلى سبيل المثال، إن وصف جهنم ليس مفصلا في الديانة اليهودية لكنها تعتبر مكانا بإمكان المرء أن يكفر فيه عن ذنوبه. وحسب التقليد اليهودي فإن الأشرار سيذهبون إلى جهنم ويكفرون عن سيئاتهم هناك وسيخرجون منها بعد سنة من العذاب.

لقد اختلف حكماء التلمود حول بعض المسائل مثل طبيعة الجنة وجهنم، والبعث، والآخرة. ولقد قرروا أنه من الأفضل أن لا يتم ضياع وقت وطاقة كبيرة في تحليل طبيعتها ومعناها نظرا لأن هذه المسائل لا يمكن فهمها أبدا؛ فمن الأفضل أن يكرس الإنسان نفسه لتحسين هذا العالم وتحسين سلوكه فيه. ومع هذا فإن التلمود قد أعطى بعض العزاء في الفترة الانتقالية من هذه الحياة إلى الحياة الأخرى. وعلق التلمود على النص: "أيها الرب السيد، يا قوة خلاصي، أنت وقيت رأسي في يوم القتال (نشيك) (المزمور 14: 8) بالسؤال ما هو يوم القتال؟ تقول إحدى الأجوبة على هذا السؤال: " هو اليوم الذي يُقبل فيه العالمان بعضهما البعض (نوشكين). يذهب هذا العالم ويدخل عالم الآخرة (يروشلي يفموت 15: 2).

تدعو الديانة اليهودية إلى بذل كل المجهودات لمعالجة المرضى وإلى الامتناع عن كل ما من شأنه أن يعجل الوفاة، ومن جهة أخرى فإنه من المقبول إزاحة العوائق عن الموت. وردت قصة في التلمود عن حكيم كان يحتضر وحال دونه الوفاة صلوات زملائه الذين كانوا يصلون بدون انقطاع. امتدحت خادمة الحاخام بسبب إسقاط جرة احدثت ضجة أروعت الزملاء وقاطعت صلواتهم لمدة كافية لإزهاق روح الحاخام (كتوبوت 1.4 أ). وحسب بعض أهل العلم في الشريعة اليهودية، فإن هذا يعني بأنه لا مانع بالسماح من فصل

الأجهزة الطبية المغذية عن المريض الذي يحتضر تحت ظروف معينة، لكن هذه القضايا معقدة. فكل حالة لها ظروفها الخاصة تؤخذ بعين الاعتبار عند اتخاذ القرار.

وعندما يقترب الشخص من الموت (ذكرا أو أنثي) ويبدأ بلفظ أنفاسه الأخيرة، فإن الحاضرين يقومون بمساعدته على النطق بـ"شماع يسرائيل"، الكلمات العبرية التي تؤكد وحدانية الله، وهذا مشابه للممارسة الإسلامية في قراءة الشهادة عند الوفاة. سيلاحظ القارئ المسلم عددا من أوجه التشابه بين الممارسات اليهودية والإسلامية في دفن الموتى من غسل الجثة إلى وجوب مصاحبة الميت إلى مثواه الأخير وبساطة الدفن.

ومن العادات عند السماع بوفاة، قراءة الكلمات "باروخ ديان هاميت"، أي "هو الحي الباقي". ويقوم الحزين بعد ذلك بإحداث شرخ بسيط في لباسه كعلامة. لا تترك جثة الميت أبدا بمفردها حتى الدفن. إنها "مراقبة"، حتى في مكان تجهيزها، وذلك احتراما لها وحمايتها من إمكانية التدنيس في آن واحد.

تعتبر الجثة نجسة ويكون من لمسها نجسا. فلا بد من غسلها وكفنها في كفن أبيض بسيط قبل دفنها. تسمى هذه العملية "الطهارة". والتعطير غير مقبول لأنه يؤخر عملية التحلل الطبيعي.

توضع الجثة المكفونة مباشرة في القبر في بعض الأماكن. وفي معظم الأماكن توضع الجثة في تابوت مغلق من خشب بسيط لأن اليهودية لا تقبل بتابوت مفتوح. الموت هو أكبر ظواهر المساواة والتوابيت الفخمة ليست من علامات الإيمان. إن هذه المتطلبات مبنية على المقطع "فمن تراب أخذت، وإلى تراب تعود" التكوين 3: 19، انظر القرآن 2: 55). تدفن الجثة خلال أربع وعشرين ساعة كلما كان ذلك ممكنا. إن إحراق الجثة غير مسموح به في الديانة اليهودية التقليدية نظرا لتوقع عودة الجسد إلى التراب لكن اليهود الليبراليين قد يختارون إحراق الجثة.

تعتبر مصاحبة الجثة أمرا في غاية الأهمية الى درجة أن الحكماء والحاخامات مطالبون بمقاطعة دراستهم للتوراة للقيام بذلك (كتوبوت 17أ). إن مراسيم الجنازة التي تتم عادة في المقبرة بسيطة إلى حد ما. إنها تشتمل على صلاة الميت الله الرحمن الرحيم (إيل مليه رحاميم) وعلى صلاة الترحم. أضيفت بعض المزامير من التوراة عبر القرون وتلقى عادة كلمة في رثاء الميت كذلك.

يؤخذ التابوت بعد ذلك ويوضع في القبر. يمزق أهل الميت بعض الأحيان ثيابهم في هذه المرحلة ويرددون "تباركت أنت أيها القاضي الحقيقي" ويقوم أهل الميت وأقرباؤه بإلقاء التراب على التابوت إما حفنة أو مجرفة لكل شخص. يتم ترتيل القاديش مرة أخرى، وبعدها يشكل المجتمعون صفين من المواسين ويقوم المنكوبون بالمشي في الجناح الذي تم تشكيله ويردد الحاضرون "الله يؤاسيكم مع الذين يندبون صهيون والقدس" ويصب النادبون وأصدقاؤهم الماء على أيديهم كنوع من الطهارة عند مغادرتهم المقبرة. ويسير الموكب إلى بيت الحداد الذي هو بيت أحد أقرباء المتوفى المختار ليكون مركز الحداد للأيام السبعة المقبلة المعروفة ب "شفعاة".

الحداد عملية، والحداد الخالص هو الذي يسمح لأولئك الذين يشعرون بالخسارة العميقة أن يحزنوا بشدة، لكن ليس وحدهم، ويشجعهم الأقارب والأصدقاء على التغلب على أحلك أوقاتهم والرجوع ثانية إلى المجتمع معترفين بالخسارة التي أصابتهم، لكنهم يستعدون للتحرك في الحياة. وتعترف الديانة اليهودية بأن لهذه العملية عدة مراحل، المرحلة الأولى، المسماة "الفجع"، هي مرحلة بين العلم بفقدان المحبوب والدفن. فخلال هذه الفترة القصيرة لا يتوقع من النادب اتباع أي من الأوامر باستثناء اتخاذ إجراءات الدفن. ففي هذا الوقت العصيب لا يستطيع فيه المفجوع تقبل المواساة ولا يتوقع من أحد مواساته. ويقول التقليد ما يلي، "لا تواسي صديقك في الوقت الذي يكون فيه فقيده ممددا أمامه" (أفوت 4: 23). تقوم مراسم الجنازة والدفن بالتخفيف والسلوان عن النادبين وهم ينظرون إلى جثة محبهم تتوارى في القبر.

المرحلة التالية هي فترة الأيام السبعة المعروفة ب "شفعاه" هذه فترة الحداد العميق. تضاء شمعة على شرف المتوفى في البيت وتغطى كل المرايا. لا يسمح للنادبين بالعلاقات الزوجية أو بقص الشعر والحلاقة والعمل في مهنهم أو حتى بدراسة التوراة باستثناء النصوص المتعلقة بالتأسف والحزن. ومن المتوقع أن تأخذ الخسارة والحزن كل أفكارهم في تذكر المفقود الغالي. لا يكون أهل الحداد وحدهم في أثناء هذه الفترة لأن المجتمع المحلي يأتي إليهم بالأطعمة ويواسيهم بالطريقة التقليدية. لا يستقبلون الزوار. فالزوار يدخلون البيت بكل هدوء ويهيئون الطعام لأهل الحداد والضيوف ويجلسون بهدوء لإتاحة الفرصة للنادبين أن يتحدثوا عن الميت ويعبروا عن حزنهم أو عن أي شعور آخر، ويشجعونهم على التعبير عن مشاعرهم وعلى الأكل. يتم تأدية الصلوات اليومية في بيت الحداد لضمان بأن النادبين يستطيعون قراءة القاديش، وهي صلاة لحمد الله تتلى بمناسبة الوفاة.

المرحلة التالية هي "شلوشيم" وتنتهي في ثلاثين يوما بعد الدفن (ثلاثة وعشرون يوما بعد الشفعاه). فالبيت، خلال هذه الفترة، لم يعد مليئا بالزوار الذين يأتون بالطعام. الكل يعود إلى عمله وإلى الكنيس، ويستأنف الحياة الطبيعية في الغالب، لكنهم لا يستطيعون قص الشعر واللحية بعدُ، ولا الخروج للمتعة والحفلات أو الزواج. تعتبر هذه فترة انتقالية بين الحزن العميق وبين الفترة التي تعود فيها الحياة إلى مجراها الطبيعي، ويستمر الأهل والأصدقاء في الزيارة والمؤاسات.

ينهي إتمام الشلوشيم فترة الحداد إلا بالنسبة للأولاد الذين يستمرون في الحداد على أبويهم مدة سنة. يتخلى بعضهم عن الحلاقة طوال المدة لكن ذلك ليس واجبا. بإمكانهم حضور المهرجانات والاحتفالات لكن يتلون "القاديش" يوميا في الصلوات التي يتم فيها النصاب الشرعي. تشتمل هذه المدة السنوية في الحقيقة على أحد عشر شهرا لأنه حسب التقليد فحتى المذنبون الذين ارتكبوا خطايا فظيعة يجازون لا محالة يوم القيامة بعد أحد عشر شهراً.

تنتهي فترة الحداد رسميا بوضع حجر كعلامةٍ على رأس القبر. يحيي أولاد المتوفى ذكرى آبائهم بتلاوة القاديش وإضاءة شمعة أربعاً وعشرين ساعة وسيلتحقون بـ "يزكور" وهو رسم خاص لذكرى الموتى يقام آخر يوم أعياد الحج وفي يوم الغفران.

الفصل الثالث عشر
الالتزام الشخصي

يُدرّس التقليد اليهودي بأن التوراة تشتمل على 613 فرضا إلهيا، و248 فرضاً يجب القيام بها، و 365 نهياً يجب تجنبها. وعلى هذا فإن الوصايا العشر ليست إلا جزءا بسيطا من جسم الشريعة اليهودية، وليست أكثر أو أقل قيمة من الأوامر الأخرى. تميل الديانة اليهودية أن لا تركز على الوصايا العشر لهذا السبب، وكذلك لأن المسيحية تاريخيا كانت تنتقد اليهودية بتركيزها على الشريعة، وقد كانت تعلم أن الوصايا العشر تمثل الأوامر الإلهية الوحيدة في التوراة التي يجب على بني الإنسان اتباعها.

إن الديانة اليهودية، كما نوقش في الفصل السادس لا تفصل بين الأوامر بوضعها في الفئات المعروفة في الغرب الحديث مثل القانون المدني، وقواعد الشعائر الدينية والقانون الجنائي والمبادئ الأخلاقية والسلوك الاجتماعي. إن الأوامر الإلهية لم ترد على شكل فئات في التوراة وليست كذلك أيضا في المدونة القانونية والتعليقات اليهودية. إن عددا كبيرا من الأوامر الواردة في التوراة لا يمكن الالتزام بها، لأنها تتعلق بتقديم القرابين في الهيكل أو بممارسات أخرى قديمة. لكن أضيف عدد آخر من الأوامر في التوراة الشفوية وفي أدب الحاخامات في التلمود والمدراش وفي المدونة وتعليقات القرون الوسطى.

كان اليهود قبل العصور الحديثة يعيشون حياة تقليدية متسمة أكثر بالثقافة بدلا من التشريع الديني. فكان من الطبيعي أن تكون حياة يهودية كاملة، لأن اليهود كانوا يميلون إلى العيش في الغالب منعزلين عن غير اليهود؛ وبالتالي فإنهم كانوا يتصرفون كمجتمع متحد. فالالتزام بقوانين الطعام، مثلا، شمل جميع مناحي الحياة في التجمع اليهودي. فإمكانية تناول الأطعمة غير الكاشير لا تخطر على البال في الواقع، وبما أن الأطعمة غير الكاشير ليست متوافرة لليهود بسهولة، فإنهم لم يفكروا أكثر من اللازم في الموضوع. فتناول الكاشير بكل بساطة يعتبر جانبا طبيعيا من حياتهم. لقد تغير الوضع اليوم بشكل جذري. لقد أصبح اليهود مندمجين في المجتمع الحديث في معظم مناطق العالم فهم يسكنون ويعملون ويتفاعلون اجتماعيا مع غير اليهود. يتسوق اليهود في مراكز التسويق ذاتها مثل كل الناس، وليس في الدكاكين اليهودية الصغيرة التي كانت الأماكن الوحيدة لشراء الأغذية في الغيتو. لقد أصبح فعلا من الصعوبة بمكان إيجاد وإعداد أطعمة الكاشير، وبالتالي فإن اليهود يواجهون اليوم تحدي اختيار كيفية الالتزام بالتشريع الغذائي، هل سيتقيدون بالقوانين التقليدية بصرامة، أو بدون صرامة، أو سوف لا يتقيدون بها بالمرة؟ يوجد اليوم مجال واسع في عادات طعام الكاشير.

لكن القضية ليست فقط فيما إذا كان المرء على استعداد للالتزام بكل القواعد. فبعض اليهود يلتزمون بأكثر مما هو مطلوب في التقليد. وقد أضاف بعضهم، على سبيل المثال، في

محاولتهم لوقاية أنفسهم من اغراءات العالم الحديث قيودا غذائية لم تكن أبدا في الحسبان قبل العصر الحديث. حيث بإمكان المرء أن يلاحظ اليوم في دولة إسرائيل وفي أماكن تجمع الجاليات اليهودية المهمة في الشتات أن العادات الغذائية تختلف من التساهل إلى الصرامة الشديدة التي تضيف قيودا جديدة على التقليد. تنطبق هذه الملاحظة أيضا على التصرفات اليهودية الأخرى. لا يلتزم كثير من اليهود بالتقليد بحذافيره، ويلتزم به آخرون بشدة لوقاية أنفسهم من تحديات الحداثة والحرص من إمكانية الإهمال البعيد غير المقصود لإحدى ظواهر التشريع. وبتعبير بسيط، لقد كان معظم اليهود يمارسون شكلا من الديانة اليهودية المعتدلة. أما اليوم، فإن الممارسة اليهودية تمتد من الذين لا يمارسون إلى الذين يعتبرون أكثر صرامة مما ينبغي لتحقيق مطالب الشريعة الإلهية.

أصبح اليهود مندمجين إلى درجة عالية في الثقافات المحيطة ولا يتوقع منهم أن يعيشوا في غيتوات منعزلة. ولقد كان لقيم العالم الغربي الحديث العلماني تأثير بالغ على السلوك حتى في دولة إسرائيل. إن القوانين والثقافة الوطنية لدولة إسرائيل تعزز بقوة الحياة اليهودية، لكنها ليست قوانين يهودية كما تم تحديدها في هالاخآه في التقليد اليهودي. وبالعكس إنها قوانين صادرة عن الكنيست (أي البرلمان)، وكثيرا ما تتعارض مع التعاليم القانونية اليهودية. يلاحظ المرء فورا التشابه مع العالم الإسلامي في عدد من الدول القومية ذات الأغلبية المسلمة الساحقة والتي قد لا يتم تصنيفها بالدول الإسلامية التي تعتبر فيها الشريعة قانون البلد.

وكنتيجة لتأثير الحداثة فإن هناك ممارسات يهودية في غاية التنوع تمتد من الأرثوذكسية المتطرفة إلى العلمانية التامة. هناك ميول لانتقاد ما يقوم به اليهود الآخرون خصوصا على هامش التقييم. قد تكون هذه الانتقادات بصوت عال لكنها نادرا ما تقود إلى العنف.

الصـدقة

لا تعتمد الديانة اليهودية على السخاء بالإحسان والعطاء، مثلها في ذلك مثل الإسلام، بل إنها تطالب بالعطاء كجزء من الشريعة الإلهية. فالإحسان ليس خدمة للفقراء بل هو حق من حقوقهم، وإضافة إلى هذا فإن المانح مجبر على العطاء. ففي عصور التوراة عندما كان كل بني إسرائيل تقريبا مزارعين فقد كانت زوايا الحقول لا تحصد من أجل ترك نصيب للفقراء، إضافة إلى هذا فلا يلتقط ما يتناثر ويسقط في أثناء الحصاد والقطف ويترك للمساكين (اللاويون 19: 9-10، 23: 22). إن التوراة تؤكد على ضرورة إطعام الجائع وكسو العاري والاهتمام باليتيم، والأرملة والفقير. يصف سفر التثنية منح الصدقة على أنها من الصفات الإلهية (10: 17-18).

> لأن الرب إلهكم هو إله الآلهة ورب الأرباب الإله العظيم الجبار المهيب الذي لا يحابي أحداً ولا يرتشي. إنه يقضي حق اليتيم والأرملة ويحب الغريب فيوفر له طعاما وكساء؛ فأحبوا الغريب لأنكم كنتم غرباء في ديار مصر.

يتعلم اليهود أن يقلدوا طيبة الله في طرقهم الإنسانية المحدودة. ففي مقطع مثير يشبه ما جاء في القرآن فلقد أخذ تقليد طيبة الله إلى مجاز في غاية المبالغة (سورة التغابن 64: 17 "إن تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم").

إن الكلمة للصدقة المفروضة هي تسداقاة (عربي: صدقة) واستعملت في القرآن بمعنى الزكاة (البقرة 2: 196، 263-264، النساء 4: 114، التوبة 9: 103). تعني اللفظة في العبرى "مستقيم" أو "عدل" وهي مطلوبة من كل واحد. إن الذين يعملون في الصدقة مطالبون بالتصدق على المحتاجين (جتين 7 أ). إن قوانين الصدقة معقدة، ولكن يتوقع أن تكون عشرة في المئة من الثروة. يعتبر إعطاء عشرين في المئة أو أقل عملا حقيرا. ولا يتوقع التصدق بأكثر من خمس ثروة المرء مخافة أن يفتقر المرء ويصبح معتمدا على الصدقة بدوره. لا يمكن المبالغة في أهمية الصدقة. لقد ورد عن الحاخام آسي، أحد حكماء التلمود الكبار بأن الصدقة مهمة مثل كل الأوامر الأخرى مجتمعة (بابا بترا 9 أ).

تعترف اليهودية بعدد من أنواع المساعدة الأخرى للمحتاجين. وتشتمل هذه على أعمال الخير والجميل (غميلوت حسديم)، كالعناية بالميت ودفنه، وتوفير الأعمال للعاطلين، وغير ذلك. يتم ترتيل المقطع التالي من التلمود (شبات 27 أ) كل يوم في صلوات الصباح:

> هذه هي الأعمال التي تثمر في هذا العالم، والتي يكون الجزاء عليها في الآخرة: إكرام الوالدين، القيام بأعمال الخير، الحضور إلى بيت الدراسة صباحا ومساء، توفير الضيافة، زيارة المريض تجهيز العروس المحتاجة، العناية بالميت، الخشوع العميق في الصلاة، إقامة السلام والصلح بين شخصين، ودراسة التوراة تتساوى معها كلها (لأنها تقود إلى مثل كل هذه الأعمال).

الفضائل الإنسانية

تركز الديانة اليهودية، مثل معظم الديانات، على أهمية الحياة بحسب أعلى الفضائل. وتشتمل هذه الفضائل على التواضع واحترام الآخرين، والحياء والصدق على الصعيد الشخصي وفي الممارسات التجارية، وكثير من الفضائل الأخرى بالطبع. إن هدف الحياة ليس فقط الوجود والإنجاب والزواج، بل إن الهدف هو التمتع بالحياة بكاملها بشغف ورحمة معا، والمساهمة قليلا لتقريب العالم نحو الكمال. إن العهد القديم والتلمود، وكذلك الكتابات اليهودية المتعددة حول الدين تعلم كثيرا الفضيلة وكيفية التمتع بالحياة كاملة والتقيد بالمطالب الإلهية. توجد هذه الدروس على شكل أمثال، وأقوال مأثورة وقصص. لا يتسع هذا المكان إلا لعدد قليل من الأمثلة عن هذا الباب الواسع جدا. وهذا مثال من المدراش (اللاويون رباه 33: 1):

قال الحاخام شيمون بن جمليئيل مرة لخادمه التباعي: "اذهب واشتر لي طعاما جيدا في السوق". ذهب التباعي واشترى له لسانا. وقال له (مرة أخرى): "اذهب واشتر لي طعاما

سيئا في السوق". ذهب التباعي واشتري له لسانا آخر. فقال له الحاخام: "ما هذا؟ لما قلت لك أن تأتي بطعام جيد اشتريت اللسان ولما قلت أن تأتي بطعام سيء أتيت باللسان أيضا" أجاب التباعي: الخير يأتي منه والشر ياتي منه. وعندما يكون اللسان طيبا لا يوجد أحسن منه، وعندما يكون سيئا فلا شيء أسوأ منه".

إن القصة مثيرة، ليس فقط في رسالتها المباشرة، بل كذلك في رسالتها غير المباشرة ألا وهي أن الحاخام الكبير الحكيم شيمون بن جمليئيل تعلم درسا من خادمه المتواضع. إن خطر الكلام الخبيث يعتبر موضوعا بالغ الأهمية، لأن تأثيره يمكن أن يكون في غاية الضرر والأذى. لقد علم الحاخام حاما بن حنينة في التلمود ما معناه أن اللسان يمكن أن يقتل تماما كما يمكن لليد أن تقتل (أرضين 15 ب). وقد انتهت مناقشة في المقطع نفسه من التلمود إلى نتيجة مفادها أن الكلام السيء يدمر ثلاثة أشخاص, المفتري والسامع والمفترى عليه.

وفي موضوع آخر حول مسؤوليته تجاه نفسه وتجاه المجتمع، فقد ورد عن الحكيم الكبير أنه قال في المشناة: "إذا لم أكن لنفسي، فمن سيكون لي؟ وإذا لم أكن إلا لنفسي فمن أنا؟ وإن لم يكن الآن فمتى؟" (أفوت 1: 14). وقد أعطى عدداً من الدروس بشكل قريب من التقليد الإسلامي والحكمة العربية القديمة. ومثال على ذلك المقولة الذكية وسهلة الحفظ لحاخام في التلمود (إروفين 65 ب): "يمكن الحكم على شخصية المرء من ثلاثة أشياء: بكوسو، بكيسو، بكعاسو: بكأسه، وبجيبه، وبغضبه.

إن دراسة التوراة كانت دائما عملية مشرفة في العالم اليهودي لآلاف السنين، وكان الحكماء والعلماء يحظون دائما بتقدير كبير وبالرغم من هذا، يجب ملاحظة هذا التصريح الصادر عن أحد أحصف الحكماء الأكاديمية في يفنة كما ورد في التلمود (شات 17 أ):

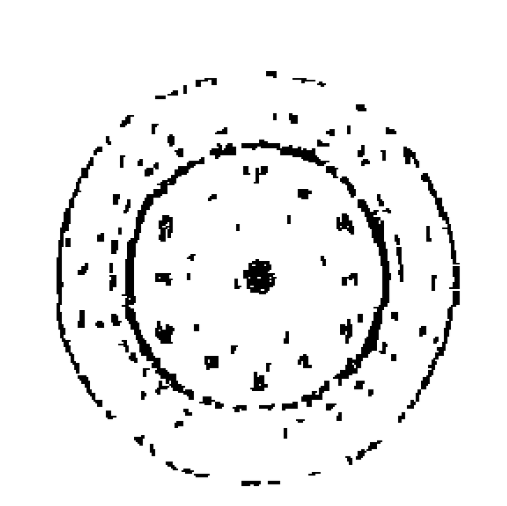
> إنا خليقة الله، وصاحبي (الجاهل) خليقة الله. عملي في المدينة (أو في الأكاديمية) وعمله في البادية (أي في المزرعة). أقوم مبكرا للذهاب إلى عملي، ويقوم مبكرا للذهاب إلى عمله، كما لا يمكن له أن يتقن عملي فإنه لا يمكن لي أن أتقن عمله. هل ستقول بأنني أقوم بعمل ويقوم هو بعمل غير مهم؟ لقد تعلمنا أنه غير مهم كبيرا كان أم صغيرا ما دام قلبه موجها إلى الله.

يوجد في الديانة اليهودية عدد من المدارس الفقهية المختلفة مثلها في ذلك مثل الديانة الإسلامية. وردت قصة في التلمود (إروض 13 ب) حول نزاع مستمر قائم بين مدرسة شماعي ومدرسة هليل:

قالت الأولى: "إن الشريعة توافق آراءنا". وقالت الأخيرة: إن الشريعة توافق آراءنا" وبعد ذلك أعلن صوت من السماء: "كلاهما كلمات الله الحي، لكن الشريعة تتفق مع آراء مدرسة هليل" لكن بما أن "كلاهما كلمات الله الحي"، فلماذا وقفت الشريعة بجانب آراء مدرسة

هليل؟ لأن الذين ينتمون إلى المدرسة كانوا طيبين ومتواضعين. درسوا آراءهم ودرسوا آراء مدرسة شماعي وكانوا في غاية التواضع بأنهم قاموا بذكر آراء شماعي قبل ذكر آرائهم... يعلم هذا أن المتواضع برفعه الله وأن الذي يترفع فإن الله يتواضع معه. إن العظمة تفرّ من الذي يبحث عنها وتتبع العظمة الذي يفر منها.

تدعو الديانة اليهودية إلى التواضع في اللباس والأكل وطريقة الحياة. يجب أن تكون الممارسات التجارية عادلة إلى درجة أن زائر دكان ليست لديه نية الشراء لا يجب أن يسأل عن سعر البضاعة حتى لا يرفع من توقعات صاحب الدكان. هذه القيم ليست بالطبع خاصة بالديانة اليهودية، لأن معظم الحضارات الدينية تدعو إلى الفضائل الأخلاقية نفسها. إن الهدف هنا ليس محاولة إثبات تفوق الديانة اليهودية، بل إن الهدف هو إيضاح أن اليهود مثل المسلمين ومثل أتباع معظم الأديان قد تعلموا مجموعة من التعاليم الأخلاقية الممتازة التي يجب اتباعها. وفي الغالب فإن الأفكار المسبقة أو الميل الطبيعي في الإنسان للرفع من مكانة ذويه على حساب الآخرين هي التي تحول دون تعزيز الأخوة والانسجام بين الشعوب والأديان. فبدلا من الافتراض أن الآخر ذو مكانة دنيئة، فإن المنطق يوحي أن آلاف السنين من التجربة الدينية لدى الآخر ومئات الملايين من أتباع الدين قد تكسبه احتراما مهما. وكما هي العادة في كل المجموعات البشرية فإن المرء يستطيع أن يجد أناسا في غاية الشر، كما يستطيع أن يجد أناسا في غاية الطيبة؛ ومعظم الناس يقعون في مكان ما في الوسط.



الجزء الرابع
مصير الإنسان

تفترض الديانة اليهودية، مثل المسيحية والإسلام، أن الوجود يستمر بطريقة ما بعد الوفاة. وكما ذكر في الفصل السابق، فإن اليهودية، على العموم، لم تركز كثيرا على محاولة اكتشاف تفاصيل الحياة الأخرى؛ ويشتمل التقليد على عدد واسع من الآراء. لقد ظهر مجالان عامان يحظيان بالاهتمام في النقاش، الأول يهتم بماذا يحدث بعد الوفاة مباشرة، وهو اهتمام معروف بعامة بعد الممات. والثاني وهو مرتبط بالأول، يتعلق بماذا سيحدث في المستقبل عندما يبعث الموتى يوم الحساب.

الفصل الرابع عشر
احتمالات وهدف

بعد الممات

لم يرد في التوراة ذكر الآخرة وأن الجنة للمتقين والعذاب للمذنبين. إن الجزاء والعقاب، بحسب المصادر التوراتية مثل سفر التثنية 13 أو المصادر النبوية مثل سفر إرميا 3: 10، يهتمان فقط في هذا العالم وليس في الآخرة. إذاً، بحسب التوراة، فإن كل الموتى سواء كانوا سعداء أم أشقياء يدخلون إلى عالم مظلم موجود في باطن الأرض يقال له شؤول، الهاوية. حتى أن النبي الكبير والكاهن صموئيل دخل مجال هذه الهاوية. هناك فقط استثناءان ممكنان لهذه القاعدة في العهد القديم. الاستثناء الأول هو أخنوخ الذي جاء في سفر التكوين (5: 24) أنه "سار مع الله. ثم توارى من الوجود لأن الله نقله إليه". الاستثناء الثاني هو النبي إيليا الذي نقلته مركبة من نار إلى السماء (كتاب الملوك الثاني 2: 11). إن ما قد يبدو تناقضا في هذين الوصفين لم يعتبر مشكلا في الفترة التوراتية، لكن الحاخامات حاولوا فيما بعد أن يفهموه.

لقد لاحظ كثير من الناس ما قد يبدو تناقضا بين العدالة الإلهية في الجزاء والعقاب والمشاهدة اليومية أن المستقيمين يتعذبون بينما يزدهر الأشرار. لم يكن هذا المشكل موضوع اهتمام كبير إلا في أواخر الفترة التوراتية. لقد تم التوصل إلى الحل بالاعتقاد أن الجزاء والعقاب سيتمان بالكامل في هذا العالم وفي الآخرة. لقد وقع هذا في الفترة الأولى للمشناة والتلمود، وقد اشتملت هذه النصوص المقدسة على أفكار وآراء حول حياة بعد الموت في الجنة (غان عيدن) وفي جهنم (غيهنوم).

يشير العهد القديم إلى واد خارج بوابات بيت المقدس يسمى "جي هنوم"، وادى هنوم الذي كانت عادة الكنعانيين أن يمارسوا فيه تقديم القرابين البشرية للصنم مولك. لقد ذكر العهد القديم أن بعض الإسرائيليين قد قدموا أبناءهم في النار للأصنام هناك، وقد شجبهم بشدة (كتاب الملوك الثاني 23: 1، إرميا 19: 2، 5-6). فلقد كان وادي هنوم الذي في العهد القديم، وتمارس فيه هذه العادة، مكانا فاسدا تمارس فيه ديانة خاطئة، لكن لا وجود فيه لمعنى حياة بعد الممات في جهنم. إن ارتباط وادي هنوم بالنار والموت (إرميا 19: 6)، أدى فيما بعد إلى إعطاء اسم لجهنم في الديانة اليهودية، وأصبحت اللفظة جزءا من اللغة العربية واللغات الأوروبية أيضا. فالعلاقة بين هذا المكان والنار والموت توراتية، لكن يبدو أن مفهوم جهنم والجنة في الحياة الآخرة لم يدخل في التقليد اليهودي إلا مع أواخر الفترة التوراتية أو بعدها.

وعلى ضوء الحياة الأخرى المذكورة في التلمود والمدراش فإن الروح تخرج من الجسد بعد الموت إلا أنها تظل في علاقة مؤقتة معه مدة سنة تقريبا حتى يتم تحلل الجسم تماما. اختلفت آراء الحكماء حول ما يحدث بالضبط خلال هذه المدة وبعدها. يرى بعضهم أن هذه السنة هي فترة التطهير للروح، ويرى آخرون أنها فترة التطهير للأرواح الشريرة فقط. يتمسك بعضهم أن أرواح الفائزين يدخلون الجنة مباشرة بينما تظل أرواح المذنبين في عذاب جهنم، أو أنها لا تستطيع تحرير نفسها من الجسد المتحلل حتى تمر سنة. وهذه الفترة هي الفترة التي يقرأ فيها الأولاد صلوات القاديش على المتوفين من الوالدين، لأن أفعال الأطفال الحسنة ستساعد أرواح الوالدين على الدخول إلى الجنة. وبعد انتهاء السنة يوضع الحجر علامة الرأس على القبر، وتنتهي قراءة صلوات القاديش ما عدا في ذكرى يوم الوفاة.

وكما ذكر أعلاه، فإن العهد القديم ظل صامتاً تقريبا حول موضوع الآخرة. لم يكن حكماء التلمود على ذات الرأي فيما يتعلق بمصير الروح بعد الممات. وشعر بعضهم أن الروح تظل واعية تماما، ويرى آخرون أنها تكون ساكنة، وهناك عدد من المناقشات حول مواضيع مثل ماذا يعرف الموتى عن العالم الذي خرجوا منه، وهل يستطيع الموتى الاتصال بالأحياء وغير ذلك. وبالرغم من اعتقاد الحاخامات في نوع الحياة الآخرة، إلا أنهم لم يهتموا كثيرا بتفاصيل ما يمكن توقع حدوثه هناك. لم يروا أي مشكل في اعتبار عدد من التأملات معتمدين في النهاية على ما ورد في المزمور 64: 3: "لاعين رأت يا رب إلا أنت".

البعث

إن فكرة البعث بمعنى الاعتقاد أن الموتى سيبعثون أحياء في أجسادهم وسيعيشون مرة أخرى هي فكرة مختلفة تماما عن فكرة حياة روحية في الجنة أو العذاب وعن فكرة خلود الروح. وإن كانت هذه المفاهيم الثلاثة منفصلة ومميزة منطقيا إلا أنها مرتبطة وتتعلق كلها بما يحدث بعد الموت، وغالبا ما تدمج المناقشات الدينية حول الآخرة ما بينها. ليس لدى التوراة كثير ما تقوله حول هذه المفاهيم. لكن الله يوصف بما لا يدع الشك أنه قادر على إحياء الموتى (مثلا التثنية 32: 39، صموئيل الأول 2: 6، حزقيال 37: 1-14). لم يرد تصريح واضح حول قيام الموتى على نطاق واسع في وقت ما في المستقبل إلا في سفر دانيال من أسفار العهد القديم المتأخرة (12: 2): "ويستيقظ كثيرون من الأموات المدفونون في تراب الأرض، بعضهم ليثابوا بالحياة الأبدية وبعضهم ليذوقوا ذل العار والازدراء إلى الأبد" لكن انتظار الانبعاث في المستقبل كان سائداً إلى حد ما في التلمود والمدراش وفي الأدب اليهودي المتأخر. فالانبعاث يوقظ الموتى من أجل الحساب، وسيدخل الحياة الأبدية (هعولام هاباه) الذين يستحقونها.

لدى الديانة اليهودية عدد قليل من المبادئ الاعتقادية، لكن مفهوم البعث أصبح طريقة مهمة جدا للتمييز بين المؤمنين الحقيقيين والمشركين.

> يعطي المشناة سنهدرين (10: 1) معنى أهمية الفكرة النفسي. كل شعب إسرائيل له نصيب في الآخرة كما قيل: "ويكون شعبك جميعا أبرارا ويرثون الأرض إلى الأبد، فهم على غرسي وعمل يدي لأتمجّد". (إشعياء 6: 21). لكن هؤلاء هم الذين لا نصيب لهم في الآخرة الذين لا يؤمنون بالبعث.

والبعث يجمع الجسد والروح معا للحساب النهائي – لأنهما لا يحاسبان منفصلين كما تم شرحه في نقاش بين الحاخام يهودا الأمير والضابط الروماني في التلمود:

> قال أنطونينوس للحاخام: إن الجسد والروح يستطيعان التحرر من المحاسبة. يستطيع الجسم الادعاء أن الروح هي المذنبة. (والدليل هو) فمنذ اليوم الذي تركتني، وأنا هامد مثل الحجر في القبر لا أستطيع القيام بشيء. يستطيع الروح أن يقول: إن الجسد هو الذي أذنب (والدليل هو) منذ اليوم الذي تركته، أطير في الهواء مثل الطير (ولا أرتكب أي خطيئة) أجاب الحاخام: سأقول لك حكاية. بماذا يمكن تشبيه هذا الوضع؟ يمكن تشبيه ملك من بني البشر يملك حديقة جميلة يوجد فيها تين رائع. عين الملك حارسين لحراسة الفاكهة أحدهما مبتور الرجلين والآخر أعمى. وفي أحد الأيام قال الأعرج للأعمى: إني أرى تينا جميلا في الحديقة، تعال خذني على ظهرك لنقطفها

> ونأكلها: وهكذا ركب الأعرج على ظهر الأعمى وأخذا التين وأكلا منها. وفي وقت لاحق جاء صاحب الحديقة وسألهما: أين التين الجميل؟ أجاب الأعرج: "هل لدى أرجل لأمشي بها؟ فأجاب الأعمى: "وهل لدى عيون لأرى بها؟" ماذا فعل الملك؟ وضع الأعرج على ظهر الأعمى فحكم عليهما معا.

وهكذا سيأخذ عز وجل الروح ويضعها في الجسد ويحاسبهما معا لأنه مكتوب. "ينادي السماوات من الأعلى، والأرض أيضا من تحت لكي يدين شعبه "تشير إلى الجسد".

من سيبعث يوم القيامة للحساب؟ إن الآراء ليست متماسكة حول هذا. يشير بعضهم إلى أن إسرائيل فقط هي التي ستبعث وتحاسب، لكن معظم المصادر تعتقد أن هذا ينطبق على البشرية جمعاء. من الذي سيرث الآخرة؟ إن نص المشناة الذي استشهد به أعلاه يذكر أن كل بني إسرائيل سيرثون الآخرة باستثناء الذين يرتكبون بعض الخطايا المحددة. يتابع النص بإدخال غير الإسرائيليين في النقاش. فبحسب الحاخام يوشع بن حنانية، فإن للمتقين من غير اليهود مكانا في الآخرة (توسفتا سنهدرين 3: 2). تختلف الآراء ولا تعتبر ذات أهمية كبرى لأن الحاخامات يعترفون أنها ليست إلا مجرد تخمينات ولا تحدد التشريع الديني. كل الحاخامات قد يعترفون بإمكان أن البشرية كلها ستخضع للمحاسبة وأن المستقيمين من جميع الأديان قد يرثون الآخرة. يستشهد بالمزمور 64: 3 ("لا عين رأت يا رب إلا أنت") لتدعيم النتيجة النهائية ألا وهي بأن الله وحده فقط هو العالم بأجوبة مثل هذا النوع من الأسئلة الظنية. وتنتهي المناقشات اليهودية بذات الطريقة التي تنتهي بها المناقشات الإسلامية المماثلة التي لا يتوصل فيها إلى جواب شاف بالقول: "الله أعلم".

خلاص العالم

لا بد من تذكر النظرة التوراتية لتأريخ العالم من أجل فهم النظرة اليهودية حول الخلاص. لقد خلقت الإنسانية مع قدرة خاصة ومميزة لتجاوز قيود الغرائز والقيام بالعمل الإبداعي وحتى التأثير على الطبيعة. لكن إبداعاتها وتصميمها قد تكون خطيرة لأن بإمكانها أن تقود إلى كارثة بذات السهولة التي يمكن أن تقود بها إلى التفوق. وبسبب طبيعتها المميزة فإن الإنسانية لا يمكن أن تحقق مقدرتها كنعمة وبركة إلا إذا عملت واستنارت بالأوامر الإلهية. إن التوراة توفر التوجيه والأساس لنوع السلوك الإنساني الذي سيقود إلى الخير واحتمال الخلاص النهائي.

ومن وجهة النظر اليهودية، فإن الخلاص النهائي الذي سيأتي بالفوز لكل العالم سيكون تحت قيادة المخلصين للإرادة الإلهية كما جاء في التوراة. إن المفكرين والحكماء اليهود يكتبون أساسا لأهل ملتهم ونادرا ما يكتبون لغير اليهود، لهذا السبب فإن منطلقهم يميل إلى الخصوصية (الشعبية) بدلا من العالمية. فإن نصوصهم كثيرا ما تصاغ على ضوء تأثيرها على اليهود. وقد كان هذا بالخصوص هو الوضع في الفترات التي كان فيها اليهود

مضطهدين. ففي تلك الفترات، كان التقليد اليهودي كثيرا ما يصف الخلاص النهائي بأنه الإسعاف والمواساة لشعب يتعذب ويتم ذلك بعض المرات على حساب القوميات والشعوب التي كانت تضطهد بني إسرائيل.

لقد جاء في التوراة أن الله فدى بني إسرائيل من العبودية المصرية في العصور القديمة (التثنية 7: 8، 13: 6) وسيأتي بالخلاص النهائي إلى شعبه في آخر الأيام (إشعياء 27: 1، 35: 1). "ويقبل الفادي (الله) إلى صهيون (إشارة شعرية إلى القدس) وإلى التائبين عن معاصيهم من ذرية يعقوب، يقول الرب" (إشعياء 59: 2). وإن كان المقطع السابق يتضمن أن الخلاص مشروط بالتوبة، فإن المقاطع الأخرى تصرح بأن العفو الإلهي ومحبته يتجاوزان الإثم الإنساني. في لحظة غضب جامح حجب وجهي عنك، ولكني بحب أبدي أرحمك، يقول الرب فاديك (أشعياء 54: 8).

إن كثيرا من المقاطع التوراتية التي تتناول خلاص بني إسرائيل هي من انتاج عصر كان فيه بنو إسرائيل يتشوقون إلى العودة إلى أرضهم وتأسيس نظامهم السياسي والديني القديم. لهذا فإن نبوءات الإنقاذ كثيرا ما تركز على أن الله سيعيد إسرائيل إلى وطنها القديم تحت الحماية الإلهية. يظهر الطابع الوطني لبعض هذه النبوءات بجلاء في المثال التالي (إرميا 32: 37-41):

> ها أنا أعود فأجمعهم من جميع البلدان التي شتتهم إليها في غضبي وغيظي وسخطي الشديد وأردهم إلى هـذا الموضع وأسكنهم آمنين. فيكونون لي شعبا وأكون لهم إلها، وأعطيهم قلبا واحدا وطريقا واحدا ليتقوني كل الأيام، وذلك لخيرهم وخير أولادهم من بعدهم وأقطع معهم عهدا أبديا أن لا أكف عن الإحسان اليهم وأضع تقواي في قلوبهم لئلا يرتدوا عني. وأسر بالإحسان إليهم، وأغرسهم في هذه الأرض بالحق من كل قلبي ونفسي.

إن من الكلمات التوراتية التي تعطي معنى الخلاص الإلهي هي "بدا" المقابلة للكلمة العربية فدا بمعنى يخلص. الكلمة العبرانية الثانية بذات المعنى تقريبا هي غئال (Ga'al) التي لا مقابل لها في العربية، لكنها استعملت على نطاق واسع في الكتابات اليهودية في قرن ما بعد الفترة التوراتية. أما اللفظة غؤولاه (Geullah) "الخلاص" قد تشير في معظم الأوقات إلى الإنقاذ الوطني لشعب إسرائيل وتضمنت معنى الحرية الوطنية في اللغة العبرية الحديثة المنطوقة في دولة إسرائيل. أما في التلمود فإن الخلاص الوطني يعتمد على التوبة وأعمال الخير. (مثال ، شبات 118 ب ، يوما 86 ب).

إن النظرة اليهودية للخلاص قد أصبحت عالمية بالكامل تحت تأثير الإسلام. فلقد كتب الحكيم الكبير في القرن العاشر سعد بن يوسف الفيومي (سعديا جاؤون) الذي ترأس أهم

أكاديمية يهودية في بغداد، بأنه بالرغم من أن اليهود هم الذين اختارهم الله فإن النجاة تكون من نصيب كل المستقيمين. ومنذ هذه الفترة فصاعدا، فإن الكتابات حول الخلاص النهائي اتخذت بالفعل نبرة أكثر عالمية لكن لا يمكن لأي واحد أن ينكر أن المفهوم استمر في الحفاظ على ظاهرة وطنية قوية. وكما ذكر في الفصل الخامس أعلاه، فإن فكرة الخلاص الوطني التي تعتبر عميقة في التقليد اليهودي هي التي مكنت الحركة الصهيونية الحديثة أن يكون لها تأثير قوي على اليهود في جميع أنحاء العالم.

المسيحانية

لقد تطور مفهوم المسيحانية عبر العصور كما كان الأمر مع الأفكار اليهودية المعقدة. إن اللفظة العبرية "الماشيح" (عربي: المسيح) وتشير في الأصل إلى ملك أو كاهن أدخل إلى المركز رسميا عن طريق مسح رأسه بالزيت (كتاب صموئيل الأول 1: 1). فلما أصبح داوود ملك بني إسرائيل صار محبوبا كالملك الكبير وسمى بالذي "تمسَّح"، ولقد اعتقد أن حكم أسرته سيستمر إلى الأبد. فلما انهارت إمبراطوريته الكبيرة نشأ اعتقاد أن بيت داوود سيعاد يوما من قبل ملك قوي من أسرة داوود ماشيح آخر مثل داوود نفسه. إن التشوف لإعادة بيت داوود أخذ بسرعة معنى بأن الملك المقبل سيتميز بحماسته من أجل العدالة، وسيكون مزودا بقدرة إلهامية للفصل في كل القضايا بصفة عادلة. وهكذا فإن المسيح المتوقع (الذي مسح رأسه بالزيت) لم يكن فقط زعيما عسكريا وسياسيا كبيرا، بل إنه أيضا قاض عادل سيحكم بالكرامة والعدل. ولقد استمرت هذه الفكرة في التطور بعد الفترة التوراتية. واعتقد اليهود في الفترة الرومانية أن الله سيبعث ملكا كبيرا من بيت داوود لكسر أغلال عبودية الإمبراطورية الكافرة وسيحكم على مملكة مجددة سيعود إليها اليهود الذين يعيشون في المنفى والشتات.

إن الخلاص المسيحاني أسقط من أي سياق تأريخي مباشر مع دخول فترة التلمود. فالمسيح أصبح يعتبر الآن كملك سينقذ وسيحكم إسرائيل في ذروة التأريخ البشري، وسيكون الأداة التي ستؤسس المملكة الإلهية العادلة على الأرض في آخر الأيام. وسيعيد فترة السعادة الفيزيقية والروحية معا. يجب التنبيه هنا أن كل الآراء اليهودية عن المسيح تفهم بأن المسيح ليس إلا أداة إلهية، وليس المنقذ والمخلص كما ورد في المسيحية. ففي الديانة اليهودية الله وحده هو المنقذ والمخلص. فليس المسيح إلا عبارة عن أداة إلهية. وهكذا فإن المفهوم اليهودي عن المسيح الذي سبق الفكرة المسيحية كمنقذ إلهي، هو مشابه تماما للمفهوم الإسلامي الذي أصبح مرتبطا بالمهدي المنتظر الذي سيعيد الدين والحكم العادل إلى العالم.

إصلاح العالم

كل الديانات المسؤولة تعتبر أجوبة مخلصة لما يعتقد منتحلوها بأنه من المطالب الإلهية. وبالطبع فإن الديانات المختلفة لا تتفق مع بعضها حول المطالب الإلهية وعادة ما لا تتفق داخليا عن كيفية القيام بها في الحياة الواقعية وبالرغم من هذا فإن من أهداف كل الأديان الجدية أن تأخذ بيد الأفراد والمجتمعات والعالم الأوسع إلى مكان أفضل.

تهتم الديانة اليهودية، مثل كل الأنظمة الدينية المخلصة بالصواب والخير ليس فقط لأتباعها، بل كذلك للعالم أجمع. ومثل كل الديانات المسؤولة فلا بد أن توازنٍ بين حاجات الفردِ ومطالبه وبين حاجات ومطالب الجماعة الدينية الكبيرة والعالم ككل. إذاً إن لليهودية جانباً خاصاً من الاهتمام باتباعها وجانباً عالمياً من الاهتمام بصحة ورفاهية العالم كله يهوديا كان أم غير يهودي. وبما أن هذا الكتاب يتناول اليهودية كحضارة دينية، فلقد ركز بالكامل تقريبا على الجانب الخصوصي، وبشكل واضح فإن اليهودية، مثل معظم الأديان، تفضل المؤمنين بها على المؤمنين بالأديان الأخرى، وعلاوة على هذا، فإن تأريخ الشعب اليهودي، الطويل، كما ورد أعلاه، تأريخ جعلهم أقلية ضعيفة ومعرضة للأذى مما شجعهم على المحافظة على أنفسهم والانطواءِ بدلا من التطلع إلى الخارج تجاه الآخرين. وبالرغم من هذا فإن لدى الديانة اليهودية جانباً عالمياً مهماً.

يعبّر النص التالي من التلمود (شبات 54 ب) بوضوح عن معنى ازدواجية مسؤولية الديانة اليهودية عن الخصوصية والعالمية: "إن كل من يستطيع شجب أهله ومنعهم من ارتكاب الخطيئة ولم يفعل، فإنه مسؤول عن ذنوب أهله، وإن كان يستطيع أن يشجب ويمنع مواطنيه من ارتكاب الذنوب ولم يفعل، فإنه مسؤول عن ذنوب مواطنيه، إن كان العالم كله، فإنه مسؤول عن كل العالم". وعلى ذات النمط، فإن معايير تقرير كفاءة شخص ليكون شاهدا شرعيا أو قاضيا تشتمل أن يكون المرشح "مهتما برفاهية العالم" (سنهدرين 24 ب).

إن هذا النوع من الاهتمام العالمي يسمى "تيكون عولام" بالمعنى الحرفي "إصلاح العالم" أو "وضع العالم في الطريق المستقيم". لقد كان دائما جزءا أساسيا من الديانة اليهودية لكن التركيز قد يكون قويا في بعض الفترات وضعيفا في فترات أخرى. وكدين يعتبر دين أقلية معرض للأذى يعيش في المنفى عدة قرون، فإن اليهودية لديها ميول الأنطواء على نفسها مرتكزة على ظواهر التقليد الخصوصية من أجل وقاية نفسها ضد الضغوط الخارجية التي امتدت من الاضطهاد إلى التحويل عن الدين.

ففي القرن الماضي في الغرب، عندما تحرر اليهود من وضع الأقلية المضطهدة ودخلوا في الحياة العامة فإنهم كانوا في كثير من الأحيان في مقدمة الحركات الاجتماعية والأخلاقية التي تسعى الى جلب العدالة والأخلاق للمجتمع الحديث. ولئن لم تنجح كل هذه المجهودات، لكنها تعكس مركزية اهتمام اليهودية بصلاح العالم ليكون مكانا أفضل. فعلى سبيل المثال ، فإن اليهود لم يشكلوا إلا نسبة قليلة من سكان الولايات المتحدة لكنهم كانوا أغلبية البيض

الناشطين الذين شاركوا في حركة الحقوق المدنية من أجل المساواة في الحقوق للأمريكيين المنحدرين من أصول إفريقية. كان اليهود المنظمين الأساسيين للنقابات العمالية في الولايات المتحدة في بداية القرن العشرين وكانوا يشكلون جزءا مهما من القيادة ومن قاعدة الحركات الاشتراكية والشيوعية في أوروبا بما في ذلك الثوار الذين أطاحوا بنظام القيصر في روسيا. وبالرغم من أن الشيوعية والاشتراكية قد خذلتا مبادئهما المثالية وأصبحت الشيوعية تمارس عداء مكشوفا، بل مهلكا، نحو اليهودية واليهود – فإن الذين أنشأوها والناشطين الأوائل كانوا مندفعين بفكرة تحسين وضع المحرومين. فإن الدافع الإنساني الذي يعد أساسيا في الحياة اليهودية مازال مستمرا في التجلي في كثير من الأماكن وبطرق عديدة. كان اليهود، من بين أخرين، ناشطين في حركة إنقاذ البوسنة ومساعدتها، وبعثوا بإسعافات لضحايا الزلزال المدمر في تركيا كما هو الحال لضحايا التسونامي في شرق آسيا ويدعمون الأعمال الخيرية في الولايات المتحدة على مستويات تتجاوز مشاركة أي مجموعة أخرى.

إن الاهتمام بالفقير، والجائع، واليتيم والأرملة كلها من ميراث أنبياء بني إسرائيل الكبار:

"إن بذلت من بيت وسط بيتك النير إيماءً بالإصبع احتقارا، ونُطْقاً بالشر فَسَتُجْزَ به شراً، وإن بذلت نفسك للجائع، وأشبعت حاجة الدليل. فإن نورك يشرق في الظلمة، وليلك الدامس يصبح كالظهر، ويهديك الرب دائما ويسد حاجتك حتى في زمن القحط والأرض المجدبة. فيقوي عظامك" (إشعياء 58: 1-11). لكن المسؤولية عن المحتاجين وردت في التشريع وكذلك في وصايا الأنبياء. فإن التشريع يفرض الاهتمام بالمرضى واليتامى، والفقراء والأرامل والمحتاجين الآخرين وتنطبق كثير من هذه القوانين على غير اليهود أيضا: "لا تضطهد غريبا ولا تضايقه، فقد كنتم غرباء في ديار مصر. لا تسئ إلى أرملة أو يتيم. لأنك إن أسأت إليهما وصرخا إليَّ أسمع صراخهما" (الخروج 22: 2-29). "لا تحابوا في القضاء واستمعوا للصغير كما تستمعون للكبير. لا تهابوا إنسانا لأن القضاء لله" (التثنية 1: 16-17).

ولقد طالب الملك داوود ربه أن يقبل حتى صلوات غير الإسرائيليين في الهيكل في بيت المقدس:

> "أما الغريب الذي لا ينتمي إلي شعبك إسرائيل والذي يقبل من أرض بعيدة من أجل اسمك، لأن الغرباء يسمعون باسمك العظيم وبما أجرته يدك القوية وذراعك المقتدرة فيحضرون ويصلون في هذا الهيكل، فاستجب انت من السماء مقرك وافعل كل ما يناشدك به الغريب فيدعو باسمك بين كل أمم الأرض فيخافوك كما يخافك شعبك إسرائيل..." (الملوك الأول 8: 41-43).

إن اليهودية، مثل كل الأديان، لا بد أن توازن بين اهتماماتها. فلقد كانت أكثر من ألفي سنة بعد تدمير الهيكل تميل إلى الجانب الخصوصي للتقليد من أجل المحافظة على نفسها كأقلية صغيرة في عالم أغلبيته الساحقة من المسيحيين ومن المسلمين. واليوم في العالم الذي أصبح صغيراً بفضل التطورات الهائلة في تكنولوجيا الاتصالات والمواصلات وفي العالم الذي أصبح أكثر خطورة نظرا لتطور أسلحة الدمار الشامل، فإن الديانة اليهودية لا بد أن تعيد تقييم موقفها بين قطبيي الخصوصية والعالمية. ومن واجب كل الأديان اليوم أن تتخلى عن الانطواء الذاتي والانفتاح على غير المؤمنين بها في المودة والصداقة. فإن الجغرافية لم تعد تعزلنا عن الآخر ونحن مجبرون على العيش مع الذين لا يتفقون مع معتقداتنا الدينية. إن الطريقة التي نستطيع النجاح بها في هذا العالم الجديد المختلف والمزدحم ستحدد قدرتنا على القيام بما نعتبره مفهومنا للإرادة الإلهية. وبالفعل فإنها ستحدد قدرتنا على البقاء.

الفصل الخامس عشر

الخاتمـــة

لقد خلق الله بحكمته عالما متنوعا من كثير من الأجناس النباتية والحيوانية والبشرية بمميزات خارجية وداخلية معتبرة. يعترف كل من التوارة والقرآن بالتنوع البشري. وهل يكون غريبا إلى هذه الدرجة أن لا تتفق البشرية حول المخططات الإلهية بالنسبة لنا، نظرا لميول الناس إلى الاختلاف في كل شيء؟

يتفق اليهود والمسلمون والمسيحيون أن الله واحد، حي, رحيم، قدير وخالق الكون. ويختلفون في الفوارق البسيطة جدا المطمورة والناشئة من محاولاتنا الإنسانية الفانية لفهم قوة خالدة هي فوق الإدراك البشري، وتوجد انقسامات مهمة حول المخططات الإلهية حتى داخل الأديان التوحيدية الثلاثة الكبيرة كما هو واضح من مختلف الحركات الدينية داخل كل منها.

لقد نظرت التقاليد الدينية الثلاثة والمؤسسات التي تمثلها إلى بعضها البعض بارتياب وعدم الثقة عبر التاريخ. فإذا كان الله واحدا، خيّرا، رحيما، وعالما بكل شيء، فلماذا أنزل ثلاث رسالات منفصلة – بالطبع تشترك في كثير من الأمور لكنها أيضا تحتوي على كثير مما يبدو أنه متناقض؟ الجواب الذي يكاد يكون شائعا كان الافتراض بأن تنزيلا واحدا فقط هو الصحيح والدقيق وبقية التنزيلات الأخرى غلط ودون جدوى أو أنها مشوهة. أي الديانات تمثل الحقيقة الإلهية؟ لقد كان الجواب دائما سهلا: تنزيلنا. سيلاحظ القارئ كيف أن هذا البرهان يلغي نفسه إذا صرحت به كل الأطراف المعنية.

لكن يوجد جواب معقول للخروج من هذا المأزق، فلقد اتبع ملايين المؤمنين معتقداتهم عبر عدد كبير من القرون. خرجت حكم كثيرة من هذه الأديان ونبعت منها رحمة واسعة، وابتدع ما لا يستهان به من الجمال على شرفها إلى درجة الاعتقاد منطقيا أن الإرادة الإلهية مرتبطة بها كلها. ومن المنطق افتراض أن الادعاءات الدينية لكل حضارة كبيرة لا بد على الأقل أن تمنح لها فرصة الإمكانية. ومن جهة أخرى فإن الشر والكراهية والإثم وحتى المذابح وجرائم أخرى فظيعة قد ارتكبت باسم كل دين من هذه الأديان. لكن أفعال الشر لا تثبت أن الأديان غير صحيحة. فأفعال الشر تثبت بكل بساطة أن ضعف الإنسان يستطيع أن يسيء فهم الرسالة الإلهية وتشويهها. فالرسالة الإلهية هي لله. والمؤسسات الدينية التي تفسر الرسالة وتسير على نهجها هي إنسانية، وبالتالي فهي معرضة للخطأ. إن واقع الضعف الإنساني لا يلغي إمكانية سريان الحقيقة الإلهية في الأنظمة الثلاثة.

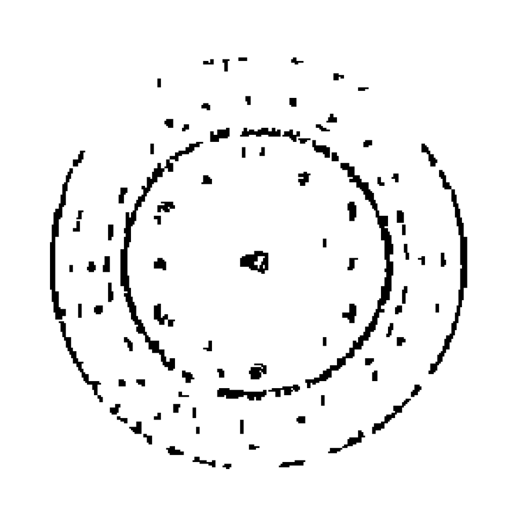
لقد جاء في القرآن أن الله خلق البشرية وجعلها أمما عديدة (هود 11: 118): "وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ". وإن كان صحيحا بأن الآية التالية تقترح أن هذا الاختلاف هو طريقة لاختبار الناس في اتباع الطريق المستقيم، إلا أنها لا تندد بكل

الطرق التي ليست من الإسلام. "إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ" (البقرة 2: 62). ففي النهاية فإن الفرد هو المسؤول عن هدايته (النحل 16: 93، الشورى 42: 8).

قد نتفق كلنا من خلال تجربتنا الخاصة أنه عندما يحضر عدد من الشهود حدثا معينا فإن كل واحد يلاحظه من وجهة نظر معينة وزاوية شخصية. وعندما يسألون في مقابلات منفصلة عن وصف الحدث فإنهم يصفونه دائما مختلفين، ويعطونه معاني مختلفة ومتباينة. وإن كانوا كلهم يتفقون بأن الحدث قد وقع فعلا، إلا أنهم يختلفون عن التفاصيل والمعنى، ليس ممكنا على الإطلاق أن يفهم شاهدان أي حدث بذات الطريقة تماما، وذلك بالرغم من إمكان اتفاقهما على بعض المظاهر، وبالرغم أيضا من أنهما قد يجدان أن آراءهما قد تقع ضمن بعض الخطوط التي قد تشترك فيها مجموعة أكبر. فإن الله أيضا يراه كل واحد، ومن زاوية شخصية معينة، لكن جماعات تتفق حول بعض مظاهر اعترافها بالله، وتمثل هذه الجماعات الطوائف الدينية.

ويؤكد القرآن على هذه الظاهرة في سورة البقرة (2: 147-148): "الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ. وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعاً إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ". إن هذه الآية، بحسب المفسرين المسلمين التقليديين، تشير إلى اتجاه الصلاة. فكل ملة لها قبلتها أو الجهة التي تتوجه اليها نحو الله في أثناء أداء الصلاة: كل ديانة ترى الله من زاوية مختلفة.

إن الله، الموجود في كل مكان، يمكن أدراكه في كل مكان، وستدرك المجتمعات المختلفة الله إدراكا مختلفا كما يعترف القرآن بذلك. المقصود المهم هو الجهاد، بل وحتى الاستباق إلى عمل الخير. وهذه منافسة شريفة. أينما نكون ومن أي زاوية ندرك فيها الله، فإننا عندما نجاهد في سبيل الخير فإن الله سيؤلف ويجمع بيننا لأن الله فعلا على كل شيء قدير.



اليهود في جدول أحداث التأريخ *

قبل العصر الحالي (قبل الميلاد: حسب التأريخ المسيحي) (B.C.E.)

حوالي 1700 – بداية "فترة الأجداد" (المرحلة البطريركية) التي عاش فيها إبراهيم وسارة وهاجر في الجيل الأول، إسماعيل وإسحاق ورفقة في الجيل الثاني، ويعقوب، راحيل وليئة وعيسو في الجيل الثالث، يستقدم يوسف أباه وإخوته أواخر هذه الفترة حسب السرد الزمني التوراتي للعيش في مصر بمباركة فرعون (التكوين).

حوالي 1250 – الفترة التقريبية للخروج التوراتي أو النزوح من مصر إلى صحراء سيناء حيث عاش هناك بنو إسرائيل أربعين سنة بحسب السرد الزمني التوراتي (الخروج والعدد).

حوالي 1210 – التأريخ التقريبي "لغزو" بني إسرائيل أرض كنعان (يشوع).

1210-1010 – الفترة القبلية وتسمى أيضا فترة القضاة حيث كان بنو إسرائيل يتكونون من اتحاد كونفدرالي غير متين لاثنتي عشرة قبيلة تعيش في مناطق قبلية منفصلة داخل أرض إسرائيل (القضاة). 1020 – ينصب شاؤول ملكا ويباركه النبي صموئيل (صموئيل الأول).

1010 – يلتحق داوود، أصغر أبناء يسي من أرض قبيلة يهودا، بشاؤول ضد العدو الفلسطيني (صموئيل الأول)

1005 – يسقط شاؤول وابنه يوناتان في المعركة، ويبدأ داوود حكمه كملك من عاصمته حبرون (الخليل) (صموئيل الثاني).

* تم تسجيل معظم هذه الأحداث بأسلوب الحاضر التاريخي (Historical Present) الذي يحسن استعماله في الأعمال المسرحية

1000 أو 990 – يستولي داوود على أورشليم (القدس) من اليبوسيين (قبيلة كنعانية)، وتصبح عاصمة قبائل إسرائيل المتحدة. يستولي داوود على أراض واسعة تمتد من سيناء إلى أعالي الفرات.

967 – يتوفى داوود ويصبح سليمان ملك إسرائيل المتحدة. ينشيء سليمان تحالفات مع كثير من الأمم المجاورة، لكن بعض شعوب الأراضي التي استولى عليها داوود تنفصل وتكوّن دولا مستقلة. يبني سليمان ميناء وأسطولا في خليج العقبة، ويقوم بالتجارة مع بلدان بعيدة (الملوك الأول).

950 – يبني سليمان الهيكل الأول في أورشليم، ويوحد نظام تقديم القرابين تحت قيادة كهنة الهيكل.

928 – يتوفى سليمان وترفض القبائل الشمالية الاعتراف بابنه رحبعام. تنشق وتكوّن مملكة منفصلة تسمى إسرائيل بعاصمتها السامرة أو شخيم (نابلس الحالية). تبني معابد مستقلة في الشمال أيضا بالرغم من شعور الولاء لدى الكثيرين لهيكل أورشليم. تسمى المملكة الجنوبية التي ما تزال عاصمتها أورشليم بيهودا على اسم أقوى قبائلها.

928-722 – فترة المملكة المنقسمة. تتحالف مملكتا الشمال والجنوب بعض الأحيان وتتحاربان في بعض الأحيان. ينشط في هذه الفترة الأنبياء إيليا وإليشع، وهوشع وعاموس وإشعيا (الملوك الأول والثاني، إشعيا، هوشع، عاموس، ميخا والمزامير).

721 – تسقط مملكة إسرائيل الشمالية تحت الجيش الأشوري وقد تم ترحيل عدد من سكانها إلى الأراضي الأجنبية. يندمج المهجرون – ويسمون بالقبائل العشر المفقودة – في أوطانهم الجديدة ويفقدون هويتهم كبني إسرائيل. نجحت مملكة يهودا الجنوبية في البقاء تحت الملك حزقيا.

715 – يساعد الملك حزقيا على تقوية النظام الديني وتوحيد مملكة يهودا الناجية.

609 – ينهزم الأشوريون على يد البابليين الذين أصبحوا الآن أقوى إمبراطورية فيما يعرف بالشرق الأوسط حاليا.

721-586 – تنجح يهودا في البقاء مملكة مستقلة، ومن حين إلى آخر تدفع الجزية للإمبراطوريتين البابلية والمصرية. ينشط في هذه الفترة الأنبياء إشعياء، وإرميا وصفنيا وناحوم (الملوك الثاني، إشعيا، صفنيا، ناحوم، راعوث، الأمثال).

587-586 – تفتتح بابل أورشليم وتدمر الهيكل. يعدم مسؤولو يهودا أو ينفون إلى بابل مع آلاف آخرين، وتصبح يهودا محافظة بابل (الملوك الثاني، حزقيال، إرميا، والمراثي).

539 – يهزم كورش، ملك فارس، بابل.

538 – يسمح الملك كورش برجوع سبايا يهودا الذين كانوا في بابل إلى يهودا موطنهم الأصلي، وإعادة بناء الهيكل (عزرا، الإصحاح الأول).

515 – نهاية إعادة بناء الهيكل ويتم تدشينه، لكن يهودا غير قوية. يعمل خلال هذه الفترة النبيان حجاي وزكريا (حجاي، زكريا)، وينشط آخر أنبياء العهد القديم ملاخي حوالي 450 (ملاخي).

445-370 – الفترة التقريبية التي جاء فيها نحميا وعزرا من فارس إلى يهودا للمساعدة في إعادة بناء تحصينات أورشليم وإدارة المجتمع وتعليم اليهود شرائع التوراة بعد فترة طويلة من التدهور الديني والاجتماعي.

333-323 – يغزو الإسكندر الكبير معظم الشرق الأوسط من مصر إلى الهند بما في ذلك يهودا التي ستزدهر لفترة تحت حكم يوناني غير قاس.

يموت الإسكندر ويتم تقسيم إمبراطوريته على كبار قواده. كتبت آخر كتب **العهد القديم**، الجامعة ودانيال في هذه الفترة.

260 – تتم الترجمة السبعونية للتوراة إلى اليونانية حوالي هذا التاريخ. وتنمو أورشليم إلى مركز تجاري هيليني مع تزايد الأهمية لسكان يهودا من اليهود واليونانيين تحت البطالمة اليونانيين المتمركين في مصر.

175 – يخلف أنطيوخوس الرابع أخاه ويصبح حاكم الإمبراطورية السلوقية البابلية اليونانية التي انتزعت يهودا من إمبراطورية البطالمة المصرية اليونانية. ينقسم سكان يهودا إلى طوائف بعضهم يدعم الهيلينية المتزايدة وآخرين يعارضونها.

165 – بدأ تمرد بقيادة أسرة كهنة من مدائن (قرب اللد الحالية) ويتحول التمرد إلى ثورة كبيرة ضد الاتجاهات الهيلينية. تصد العائلة واتباعها المعروفون بالمكابيين المحاولات المستمرة للسلوقيين اليونانيين لاسترجاع السيطرة على يهودا.

164 – يطهر المكابيون الهيكل ويعيدون تكريسه في أورشليم، ولقد خلدت ذكرى هذا الحدث في عيد عيد الأنوار (عيد الحانوكاة) ولكن المعارك تستمر مع السلوقيين مدة عشرين سنة. يعيش اليهود في هذا الوقت في كل أنحاء البحر المتوسط بما في ذلك روماء وجنوب فرنسا وأسبانيا وفي كل شمال إفريقية. يؤسس المكابيون أسرة الملوك المعروفة بالأسرة الحشمونية، ويحكمون يهودا لأكثر من 150 سنة. وبالرغم من برنامجهم السياسي المضاد للهيلينية، فإن الحشمونيين يتأثرون تأثيرا بالغاً بها.

حوالي 100 – تبرز جماعتان من اليهود، الفريسيون والصدوقيون، وسط سكان يهودا وتبدأ بالتأثير على الأمور والممارسة الدينية.

63 – يغزو القائد الروماني بومبيوس يهودا، ويدخل إلى حرم الهيكل المقدس ويدنس حرماته. وتصبح يهودا دولة تابعة لروما.

40 – يعين مجلس الشيوخ الروماني هيرودس ملكا على يهودا. يتزوج لاحقا بمريم آن من الأسرة الملكية الحشمونية من أجل الحصول على الدعم الشعبي.

22 – يبدأ هيرودس برنامج بناء هائل في كل يهودا بما في ذلك ميناء قيسارية على البحر الأبيض المتوسط، وينشيء حصونا ومدنا في كل البلاد. وتشتمل هذه الإنشاءات على هيروديون وقصر ماسادا الحصين وإعادة تشييد ضخم للهيكل في القدس.

4 – يتوفى هيرودس.

العصـر الحالي (بعد الميلاد)

10 – يعيش الحاخامان الكبيران هليل وشماي في هذه الفترة. يشكل اليهود عشرة في المئة من سكان الإمبراطورية الرومانية، وعشرين في المئة في المقاطعات الشرقية في الشرق الأوسط.

33 – بيلاطس النبطي، الحاكم الروماني على يهودا، وصلب الواعظ اليهودي المسمى بيسوع الناصري في شهر نيسان/إبريل. إن أتباع يسوع (كلهم تقريبا من اليهود) الذين يسمون أنفسهم الناصريين، ينظرون إلى يسوع على أنه هو الماشيح المنتظر من سلالة الملك داوود.

36 – يطرد بيلاطس كحاكم بعد أن احتج السامريون على قساوته.

38 – يقع الهجوم على اليهود في الإسكندرية بمصر، ويقتل كثير منهم لأنهم رفضوا عبادة الإمبراطور الروماني كاليغولا. يدمر يهود يفنة (في يهودا) ضريحا أنشأه كاليغولا لنفسه. يأمر كاليغولا بوضع تمثال له من ذهب في هيكل القدس للانتقام. يلغى هذا الأمر بعد احتجاجات واسعة لليهود. ينمو التوتر بشكل متدهور بين اليهود وأسيادهم الرومان خلال العقود الثلاثة التالية مع فترات من العنف وكثير من الفوضى.

50 – تصل الطائفة اليهودية في مصر إلى مئات الآلاف وينتشر اليهود بأعداد كبيرة في كل البحر الأبيض المتوسط. يعتنق كثير من الرومان الإغريق الديانة اليهودية أو يبدأون بالممارسات اليهودية دون الاعتناق الرسمي.

66 – تتمرد أعداد كبيرة من اليهود في كل أنحاء يهودا ضد روما، ابتداء من قيسارية والقدس. ترد الإمبراطورية الرومانية بإرسال الجنرال فاسباسيان و60.000 جندي روماني. يستولي على معظم مدن يهودا في السنوات الثلاث التالية ويصل إلى جدار مدينة القدس. استدعي إلى روما وأعلن إمبراطورا وعين تيطس مكانه في الميدان. تسقط مدينة القدس ويحرق الهيكل. وفي الوقت ذاته ينشيء الحاخام يوحنان بن زكاي أكاديمية في مدينة

يفنة الصغيرة ويستمر في تعليم التقاليد اليهودية تحت الاحتلال الروماني. وبعمله هذا، فإنه ينشيء الإستراتيجية الفريسية الجديدة لنجاة الأمة اليهودية.

73 – تسقط ماسادا (فوق البحر الميت)، آخر حصن يهودي في يد الجيش الروماني.

79 – ينتهي فلافيوس جوزيفوس المؤرخ اليهودي الكبير من مؤلفيه المفصلين في التاريخ: "الحرب اليهودية" و "عصور اليهود القديمة" التي تعطي معلومات تاريخية نفيسة حول الحياة اليهودية والسياسة في يهودا.

80 – يستولي الحاخام جمليئيل الثاني على أكاديمية يفنة ويبدأ بتقوية وتنظيم الجماعات اليهودية في البلاد التي تمزقت بشكل فظيع من جراء الحرب ضد روما. يستمر الحاخامات الذين ذكروا في المشناة من دراسة وتعليم التقاليد وينظمون مادتهم على شكل أدب شفوي ينتشر في كل المنطقة في دوائر الدراسة الربانية. يبحث الطلاب عن العلم عند أقدام الربانيين المهرة.

حوالي 100 – ازداد أتباع عيسى، وانتشر تعليمه بشكل مهم في هذا الوقت ويعتبره عدد كبير من الرومان والإغريق واليهود أيضا المسيح، حاملا صفة إلهية. ترفض الجماعة اليهودية من يهودا هذه الفكرة وتحاول إبعاد اليهود الذي يؤمنون بعيسى عن بقية الجماعة اليهودية. يزداد التوتر والاحتكاك بين اليهود والمسيحيين.

132-100 – يستمر التوتر بين الرومان المحتلين ويهود البلاد بقيام عدد من الثورات المفتوحة في يهودا وفي المدن الرومانية مثل الإسكندرية وقورينة (غرب مصر في شمال إفريقيا)، وفي بابل. يعاقب اليهود عقابا شديدا.

132 – يقود شيمون بركسيبا المعروف أيضا ب "بركوخبا" (ابن النجم) تمردا مفتوحا ضد روما. يهزم اليهود الجيوش المشتركة في سورية ومصر والجزيرة العربية ويستولون على القدس، ويضربون عملتهم الخاصة، ويعلنون استقلالهم عن روما. وتشن روما هجوما معاكسا بمشاركة فيالق من الجيوش جاءت من مناطق بعيدة وحتى من انجلترا وتدمر المقاومة.

135 – تسقط بيتار، آخر معاقل اليهودية لروما. يحصي المؤرخ الروماني ديو كاسيوس أكثر من 600.000 قتيل. تدعم أوصاف المصادر اليهودية هذه الأعداد الكبيرة. يعاقب هادريان سكان يهودا بتحويل القدس إلى مدينة وثنية، باسم إليا كبتولينا، ويمنع اليهود حتى من دخولها وينشر الدمار في يهودا. تنتقل الزعامة الدينية اليهودية إلى الجليل في الشمال. تفر بعض الجماعات الناجية إلى الجالية اليهودية الهائلة في بابل (العراق) ويؤسسون فيها مدارس.

حوالي 200 – الجالية اليهودية في بابل كبيرة جدا ومنظمة تحت إشراف "رأس الجالوت"، "رأس المنفى" الذي يخضع لملك الفرس.

215 – يحرر يهودا هنسي (الأمير) الخلاصة الكبيرة للمعارف التقليدية والشريعة اليهودية التي كانت موجودة في معظمها بشكل شفوي في المشناة. تحتوي المشناة على القوانين التي يحكم بها الحاخامات المجتمع اليهودي. تؤسس أكاديميات إضافية في بابل تدرس فيها المشناة بتوسيع المعرفة الحاخامية في التجمعات اليهودية الكبيرة خارج أرض إسرائيل.

220 – يبدأ الاضطهاد الروماني لليهود في الانخفاض مثلما يزاد اضطهاده للمسيحيين. لم يعد اليهود يثورون ضد روما، بل طوروا حياتهم في الشتات فيما يعزز اليهودية كديانة حضارية. تقود الدراسة المكثفة للمشناة إلى استمرار توسع الشريعة والتقاليد الشفوية اليهودية التي ستؤدي في سنوات عديدة إلى ما يسمى فيما بعد بالتلمود. يستخدم تلمود القدس في الحكم على اليهود في إسرائيل، ويقع اتلمود البابلي الموازي تحت إشراف رأس الجالوت.

250 – يبدأ الأدب اليهودي التأويلي المعروف بالمدراش في الظهور في أرض إسرائيل جنبا إلى جنب مع الشعر العبري المعروف ب "بيوتيم". وينشأ أيضا شكل من التصوف اليهودي يسمى "معسيه مركفاه"، الذي يحاول جمع الممارسين مع الألوهية عن طريق سفر روحاني. تستمر الجالية اليهودية البابلية في تعزيز قوتها عبر تأسيس أكاديميات التعليم الناجحة جدا.

312 – يستولي الإمبراطور قسطنطين على زمام الأمور في إيطاليا، ويشجع المسيحية في مملكته. وكنتيجة لهذا، بدأت الكنيسة المسيحية المنظمة والتي كانت في منافسة مع الديانة اليهودية منذ إنشائها ورفضها من قبل المجتمع اليهودي، بإدخال اليهود إلى المسيحية وإهانتهم بطريقة عدوانية. يزداد دعمه للمسيحية بجعلها الدين الرسمي للإمبراطورية. وهكذا تصبح الإمبراطورية الرومانية من الآن فصاعدا الإمبراطورية البيزنطية (المسيحية).

337 – يخلف قسطنطينوس أباه إمبراطوراً على بيزنطة ويوسع قوانين أبيه المضادة لليهود. ويصبح الوضع في غاية الصعوبة بالنسبة ليهود أرض إسرائيل إلى درجة أنه خلال عقود قليلة صاروا لايستطيعون الاستمرار في برنامجهم الطموح في الدراسة المكثفة للتقاليد الحاخامية.

400 – يتم تحرير تقليد أرض إسرائيل المسمى "تلمود القدس"، الذي يشتمل على قرنين من الحكمة والتقليد الحاخامي. يضع هذا نهاية للدراسة الحاخامية المثمرة في أرض إسرائيل تحت ضغط مسيحي مكثف ورسمي. ويستمر برنامج الدراسة الحاخامي بنجاح كبير ولقرون عديدة تحت حكم الساسانيين من الفرس وبعد ذلك تحت الحكم الإسلامي. تستقر الجاليات اليهودية جيدا في الجزيرة العربية ، في الحجاز وفي اليمن معا.

638-400 – تستمر الجاليات اليهودية في الانحطاط كلما ازداد التشريع المضاد لليهود، وكلما ازداد الاضطهاد. يتم تدمير المعابد في بعض الأحيان، ويتم الضغط علي الجاليات وترغم في بعض الأحيان علي اعتناق المسيحية، كما يتم تنفيذ أفعال العنف بين حين وآخر

ضد الأفراد والجماعات اليهودية. ويتحول وزن القوة والإبداع اليهودي بشكل نهائي إلى بابل (العراق المعاصر).

502-456 – تفرض المملكة الفارسية سلسلة من القوانين المضادة لليهود نتج عنها إغلاق الأكاديميات اليهودية، واغتيال الزعامة الحاخامية وهجرة الجاليات اليهودية.

517 – يصبح اليهودي يوسف ذو نواس ملكا على مملكة قبيلة حمير العربية في اليمن، ويقود حركة قوية تغلبت عليها في خاتمة المطاف قوات الحبشة المسيحية.

حوالي 600 يتم تحرير ونشر التلمود البابلي.

613 – يأمر سيسبوت، ملك القوط المسيحي في أسبانيا أن يتحول اليهود إلى المسيحية أو المغادرة. يترك بعضهم، ويتحول آخرون ويظل غيرهم يهوديا في السر.

614 – يستولي الجيش الفارسي على مدينة القدس من البيزنطيين ويولي اليهود عليها. يقوم اليهود بأخذ الثأر من مضطهديهم من المسيحيين باستخدام العنف وبتهجير المسيحيين من المدينة.

622 – السنة الهجرية. ينتقل محمد وجماعته إلى المدينة التي يلتقون فيها مع مجتمع يهودي جيد التنظيم.

624 – غزوة بدر، يتبعها إجلاء القبيلة اليهودية بنى قينقاع عن المدينة.

625 – غزوة أحد يتبعها إجلاء القبيلة اليهودية بني النضير عن المدينة.

627 – غزوة الخندق، يتبعها تدمير القبيلة اليهودية بني قريظة في المدينة.

628 – الاستيلاء على خيبر بشروط مؤاتية لليهود.

632 – وفاة النبي محمد.

638 – يستولي المسلمون على القدس من البيزنطيين ويقيمون سياسة أكثر تسامحا تجاه اليهود، ويسمحون للجالية اليهودية بالاستقرار الدائم في القدس لأول مرة منذ القرن الثاني.

639 – يساعد يهود بابل في الغزو العربي لفارس على أمل حصولهم على سياسة أكثر تسامحا (وهم ينعمون بها) من سياسة الفرس الساسانيين.

711 – يساعد اليهود، أو بالأحرى اليهود المتسترون (يمارسون الطقوس المسيحية في الظاهر نتيجة الاضطهاد المسيحي والإجبار على التحويل) طارق بن زياد على غزو أسبانيا وذلك بالخدمة في قوات المخافر الأمامية والمساعدة في تمويلها. يعود كثير من اللاجئين اليهود في شمال إفريقية إلى إسبانيا.

717 – يبدأ عمر بن عبد العزيز بفرض قوانين التمييز ضد الأقليات الدينية في العراق باستبعاد اليهود وآخرين من الوظائف الحكومية، وإرغامهم على اتخاذ لباس خاص.

732 – يهزم شارل مارتل العرب في معركة تور ويضع حدا لتقدمهم في أوروبا.

755 – ترحب الدولة الأموية في إسبانيا بعاصمتها قرطبة باليهود وتسمح لهم بدخول جميع المهن. يجذب تسامح إسبانيا الإسلامية كثيرا من اليهود من البلدان الأخرى.

762-765 – يشيد المنصور الخليفة العباسي بغداد العاصمة الجديدة التي ستصبح مركز العلم والحضارة لليهود والمسلمين.

765 – يظهر عنان بن داود وهو يهودي عراقي، على رأس جماعة يهودية، تعرف فيما بعد بالقرائين تعارض نظام الحاخامية والاعتماد على التلمود. يعتقد بأن القرائين بعامة كانوا متأثرين بالبيئة الإسلامية السياسية منها والدينية.

786 – يعاني اليهود من الضرائب والقيود الشديدة تحت الخليفة هارون الرشيد وذلك بعد فترة من التسامح النسبي في الشرق.

853 – نطروناي، غاؤون (فقيه) أكاديمية سورا في العراق يصبح أول زعيم يهودي يكتب الرسائل الدينية القانونية باللغة العربية. كانت تكتب كلها فيما قبل فقط بالعبري أو بالآرامية اليهودية.

873 – يجبر باسل الإمبراطور البيزنطي عددا كبيرا من اليهود على اعتناق المسيحية.

حوالي 900 – يبرز اليهود كقوة فعالة في التجارة الدولية في العالمين المسيحي والإسلامي، ويسافرون بسهولة عبر الحدود الدولية متاجرين بعيدا من إسبانيا وفرنسا إلى الصين وذلك عقب شراء أراضيهم ومنعهم من ملكية أراض أخرى في البلدان الإسلامية.

940 – اليهودي حسداي بن شبروت يصبح الطبيب الخاص ووزير المالية لعبد الرحمن الثالث الخليفة الأموي في قرطبة. يدعم، مثل اليهود البارزين الآخرين طلاب العلم، والشعراء، والعلماء والفلاسفة اليهود مساعدا بذلك في تطوير أحد العصور الزاهية في الحضارة اليهودية في المدن الإسبانية، وفي المراكز الحضارية للمناطق الأخرى للعالم الإسلامي. يدعم حسداي المعجمي الكبير دوناش بن لبرات الشاعر وعالم اللغويات. يبدأ العصر الذهبي اليهودي في الأندلس تحت الخليفة عبد الرحمن الثالث ويستمر بعض مئتي سنة.

940-1146 – العصر الذهبي اليهودي في إسبانيا المسلمة.

942 – يتولى سعديا بن يوسف (سعد بن يوسف الفيومي) هغاؤون (فقيه) أكاديمية بومبديثا في العراق. فهو فيلسوف، وعالم لغويات وشاعر وعالم الشريعة ويترجم العهد القديم إلى اللغة العربية، ويكتب تفسيرا عربيا (بالحروف العبرية) مازال يستعمل إلى يومنا هذا.

1000 – يبدأ الحاخام جرشوم بن يهودا، المعروف بزعيم الجاليات اليهودية على أراضي الراين الألمانية، بتطوير المدرسة الألمانية (الأشكنازي) للتعليم اليهودي وكان من بين الأحكام التي أصدرها منع تعدد الزوجات بين اليهود الأشكناز، وهي عادة مستمرة بين اليهود الذين يعيشون في العالم الإسلامي.

1024-1038 – شموئيل هنغيد (إسماعيل بن نغريلا) يعين وزير حابوس ملك غرناطة المسلم. يستمر في الوزارة تحت باديس خليفة حابوس، وهو إيضا قائد قوات الملك وشاعر وعالم ورئيس الجالية اليهودية.

1030 – يؤلف أبو الوليد مروان بن جناح (المعروف أيضا بربينو يونا) الطبيب والعالم اللغوي اليهودي الإسباني كتابا باستعمال اكتشاف سلفه يهودا بن هيرج أن مصدر كل الكلمات العبرية مثل الكلمات العربية يتكون من ثلاث حروف ساكنة (على وزن فعل: المترجم). إن معجمه العبري: "كتاب المصادر" المكتوب بالعربي وترجع أهميته أن اللغويين يرجعون إليه حتى يومنا هذا.

1020-1057 – يكتب سليمان بن جبرول الشاعر اليهودي الفريد من ملقة بإسبانيا عملا مشهورا عما وراء الطبيعة باسم "منبع الحياة" ويترجم إلى اللاتينية ويقرأ في كل أنحاء أوروبا المسيحية.

1066 – يقوم المسلمون بأعمال الشغب ضد اليهود في غرناطة، ويقتل عدد من اليهود بما فيهم يوسف هنغيد، ابن وخليفة شموئيل هنغيد.

1080 – يؤلف راشي (الحاخام شلومو بن إسحاق) من مدينة ترويس بفرنسا تعليقا مفصلا حول معظم العهد القديم ومازال معظم اليهود يقرأونه إلى اليوم. سيكتب لاحقا أهم تعليق عن التلمود البابلي. سيكون راشي أحد اليهود الناجين القلائل من الحرب الصليبية الأولى.

1096 – يهجم المجتمعون في أراضي الراين الألمانية للحرب الصليبية الأولى، ويذبحون اليهود في كل المدن في المنطقة ويتابعون في ذبح اليهود في طريقهم إلى الشرق الأوسط. ولا يقبل المحليون في المجر سلوك الصليبيين البشع ويضعون حدا للاعتداءات على اليهود.

1099 – يستولى الصليبيون على القدس تحت إمارة غودفري البويوني ويذبحون عشوائيا اليهود والمسلمين. ويقتلون أيضا عددا من المسيحيين المحليين الذين اعتقدوا أنهم مسلمون أو يهود نظرا للتشابه في طريقة لباسهم الشرقية.

1144 – يتهم اليهود في نورويتش بإنجلترا بقتل طفل مسيحي بادعاء استعمال دمه في طقس. تعتبر هذه التهمة الأولى في سلسلة الاتهامات التشويهية والخاطئة التي انتشرت في معظم أوروبا في العقود والقرون التالية والتي أدت إلى العنف ضد اليهود.

1148 – يستولى الموحدون المسلمون (من المغرب) على إسبانيا من حكامها المسلمين الأكثر تسامحا ويغلقون مدارس التعليم اليهودية والمعابد ويجبرون اليهود على اعتناق

الإسلام. يهاجر كثير من اليهود إلى المنطقة الإسبانية المسيحية أو إلى أماكن أخرى. يضع هذا نهاية "للعصر الذهبي لإسبانيا المسلمة".

1140-1350 – يستمر "العصر الذهبي الإسباني" اليهودي في الشمال المسيحي، حيث تم الترحيب باليهود نظرا لتعليمهم ومهاراتهم، وذلك لكونهم في غاية الانفتاح على العالم ولأنهم تلقوا تعليما جيدا في بيئة إسبانيا المسلمة المتقدمة. يخدمون الملوك المسيحيين الذين رحبوا بهم ويطورون التكنولوجيا وحضارة شمال إسبانيا على حساب المناطق الجنوبية الإسلامية. يترجم اللغويون اليهود عددا من الأعمال العربية في الفلسفة والعلوم إلى الإسبانية وبذلك قدموهم للعالم المسيحي لأول مرة. يعتبر إبراهام بن داود ويهودا هاليفي، وإبراهام بن عزرا وكثيرون آخرون من كبار الشعراء والفلاسفة واللغويين وعلماء الدين في إسبانيا المسيحية. تتم ترجمة كثير من الأعمال اليهودية الكبيرة المدونة بالعربي في الأصل في إسبانيا المسلمة إلى اللغة العبرية.

1165 – يصل موسى بن ميمون مع أسرته إلى مصر بعد الفرار من اضطهادات الموحدين. عمل كطبيب خاص للوزير المسلم الفاضل، وكتب بعض أهم وأروع أعمال الفلسفة والقانون والدين اليهودي منذ التلمود.

1190 – يسمح صلاح الدين لليهود بالاستقرار ثانية في مدينة القدس بعد تحريرها من الصليبيين.

حوالي 1200 – تتدهور مكانة اليهود في أوروبا المسيحية بشدة، وتقود إلى الطرد النهائي من كل دولة تقريبا في أوروبا الوسطى والغربية.

1240 – فترة الأربعينات بعد الألف ومئتين. يتم إحراق التلمود علانية في باريس.

1290 – يطرد اليهود من إنجلترا.

1298 – مذابح رندفلايش في أوروبا الوسطى تمتد إلى منطقة جغرافية أوسع من مذابح الحرب الصليبية الأولى مع مقتل 3400 يهودي.

1306 – يطرد اليهود من فرنسا.

1315 – دعوة اليهود بالعودة إلى فرنسا.

1322 – يطرد اليهود مرة ثانية من فرنسا.

1329 – بكين تدعو اليهود للمساعدة في تجهيز الجيش الإمبراطوري.

1333 – يتولى كسيمير الكبير السلطة في بولندا ويأتي معه بموقف موات تجاه اليهود. يبدأ اليهود بالانتقال من أوروبا الغربية إلى بولندا الموحدة والمتنامية التي ترحب بهم نظرا لمهاراتهم، ومن أجل مقابلة قوة وتأثير الإثنية الألمانية. وتصبح الجالية اليهودية في بولندا أكبر جالية يهودية في العالم.

1348 – يصل الطاعون الأسود أوروبا من آسيا الوسطى، وبالرغم من أن اليهود يموتون من الطاعون جنبا إلى جنب مع كل واحد آخر، فإنهم يتهمون بالتسبب فيه بتسميم الآبار. حاولت سلطات الكنيسة لكنها فشلت في حمايتهم ضد الجماهير في كثير من مناطق أوروبا وتم قتل الآلاف منهم.

1354 – يجبر اليهود والمسيحيون في مصر وسورية تحت حكم السلطان الملك الصالح على ارتداء ملابس خاصة لتمييزهم عن المسلمين علاوة على قيود أخرى.

1391 – تنتشر أعمال الشغب ضد اليهود في كل أنحاء إسبانيا المسيحية التي أثارها فرانت مارتينز الذي يكره اليهود، والذي كان يتولى وظيفة عليا في كنيسة إشبيليا، وينتج عنها موت الآلاف، وإحراق عدد من المعابد اليهودية. يستقر كثير من اللاجئين اليهود في مدينة الجزائر التي تصبح مركزا جديدا لليهود. ويستمر اليهود في اللجوء إلى شمال إفريقية وإلى البلدان الإسلامية الأخرى كلما وضعت إسبانيا المسيحية قيودا إضافية على حرياتهم.

1438 – يتم إنشاء أول "ملاح"، أو حارة يهودية من قبل الحكومة في مدينة فاس بالمغرب من أجل حماية اليهود من العنف الجماهيري في المدينة. انتشر هذا النوع من الحارات في البداية من أجل مصلحة اليهود، لكنها أصبحت مع القرنين السادس عشر والسابع عشر غيتوهات لنفي اليهود المنبوذين.

1453 – يستولي الأتراك العثمانيون على القسطنطينية، يلجأ كثير من اليهود من أوروبا الغربية والوسطى إلى الإمبراطورية العثمانية بسبب اتباعها سياسة أكثر انفتاحا وليبرالية تجاه اليهود.

1478 – يسمح البابا سيكستوس الرابع لفرديناند وإزبيلا، حاكمي إسبانيا، بتنظيم محاكم التفتيش (Inquisition) من أجل اقتلاع المسيحيين الزائفين معظمهم من اليهود السابقين الذين تحولوا الى المسيحية.

1492 – يطرد اليهود من إسبانيا. يفر معظمهم إلى البرتغال التي سيطردون منها بعد سنوات قليلة. يفر الآخرون إلى الدولة العثمانية التي ترحب بهم، ويفر بعضهم إلى شمال إفريقية والى أوروبا الغربية والى عالم الأمريكيتين الجديد. تصل محاكم التفتيش في النهاية إلى الأمريكيتين.

1517 – تصبح فلسطين جزءا من الإمبراطورية العثمانية مسهلة بذلك حركة اليهود إلى أرض إسرائيل. تصبح مدينة صفد مركزا تجاريا وثقافيا مهما، وتزداد فيها الطائفة اليهودية بشكل كبير.

ويقام أول غيتو في أوروبا الغربية في مدينة البندقية، ربما اشتق الاسم من مصنع للمدافع في المنطقة.

1536 – يبدأ سليمان المعظم سلطان الإمبراطورية العثمانية في بناء الجدار حول مدينة

القدس. ويتم بناؤه بعد ست سنوات موفرا حماية للمدينة، وبذلك يجتذب اليهود وغيرهم للاستقرار فيها.

1580 – يظهر إلى الوجود "مجلس المناطق الأربع" في بولندا موفرا قدرا محدودا من الحكم الذاتي للجاليات اليهودية هناك. تجتذب الحياة اليهودية عددا من المهاجرين الذين يزيدون في عدد سكان اليهود هناك ليصبحوا أكبر تجمع للسكان اليهود في العالم.

1602 – تبدأ جالية يهودية بالعيش علانية في أمستردام التي تصبح ملاذا آخر لليهود الفارين من الاضطهاد من المناطق الأخرى في أوروبا المسيحية. وتصبح الجالية اليهودية في أمستردام ذات تأثير بالغ وتحاول مساعدة المتضررين اليهود في كل العالم. وتصبح أمستردام مركزاً للفكر اليهودي وللمفكرين الأحرار.

1622 – يجبر يهود مشهد في إيران على اعتناق الإسلام ويعرفون بالمسلمين الجدد (جديدي الإسلام). ويستمر معظمهم في ممارسة اليهودية سرا.

1648 – يتمرد فلاحو أوكرانيا وقازان دنيبر (Dnieper Cossacks) تحت قيادة بغدان حمييلنتسكي، ضد مالكي الأراضي، وذلك بنهب وكلائهم من اليهود وأسرهم ويقومون بذبح عشرات الآلاف من الضحايا اليهود في أكثر من 300 جماعة. يقود هذا إلى عودة هجرة اليهود على نطاق واسع الى أوروبا الغربية. أسفرت مذابح شميلنيكي عن أكبر خسارة في الحياة اليهودية في كل التاريخ اليهودي في أوروبا المسيحية باستثناء المحرقة (الهولوكست) في القرن العشرين.

1654 – تصل أول مجموعة من اليهود إلى أمستردام الجديدة (سميت نيويورك لاحقا) بعد طردهم من المستعمرات الهولندية في البرازيل عندما استولى عليها البرتغاليون.

1656 – يحرم باروخ سبينوزا من عضوية الجالية اليهودية في أمستردام بسبب إنكاره أن مصدر التوراة إلهي. سيصبح شخصية مرموقة في الفلسفة العالمية.

1665 – شبتاي تسفي، الماشيح اليهودي الدجال، يفتن عددا هائلا من اليهود الذين آمنوا بأنه المسيح المنتظر. يتخلى عدد كبير من اليهود عن ممتلكاتهم ومصادر رزقهم للالتحاق به. يستدعيه السلطان إلى القسطنطينية (إسطنبول) ويعطيه خيارين: اعتناق الإسلام أو الإعدام بسبب ادعاءاته المسيحانية. يتحول الى الاسلام.

1676 – يدمر حاكم اليمن كل المعابد اليهودية، ويحاول تهجير كل من ليس مسلما، لكن يتم السماح لهم جميعا بالعودة بعد أربع سنوات.

1740 – يستقر يسرائيل بعل شيم طوف مؤسس الحسيدية في مدجبج في بدوليا (أوكرانيا). يجتذب تركيزه على التوهج والسعادة الداخلية كثيرا من الأتباع الذين يبنون حركة يهودية في غاية التأثير.

1777 – يمنح يهود نيويورك المساواة أمام القانون، عندما يلغي دستور ولاية نيويورك التمييز الديني.

1789 – تمنح الجمعية العامة الفرنسية الحقوق المدنية والسياسية للبروتستانت، لكن النواب من الألزاس واللورين يرفضون الموافقة على تحرير اليهود.

1791 – تمنح الجمعية العامة الفرنسية كامل الحرية لليهود كأشخاص. يتطلب هذا العرض تفكيك الجالية اليهودية المنظمة.

1795 – يأتي التقسيم الثالث لبولندا بمليون يهودي تقريبا الى إدارة روسيا. بالرغم من أن القانون الروسي لا يسمح لليهود بالإقامة في روسيا منذ مئات السنين، فإن روسيا القيصرية تملك الآن أكبر جالية يهودية في العالم، وبحلول فترة الثمانمئة بعد الألف يصبح يهود روسيا من بين أفقر اليهود وأكثرهم حرمانا في العالم.

1800 – التعداد السكاني. يبلغ عدد اليهود في العالم 5ر2 مليون بين سكان العالم الذين يبلغ عددهم 720 مليون نسمة.

1802-1815 – تنكسر كثير من القيود المتبقية من حياة العصور الوسطى في كل أوروبا الوسطى نتيجة الانتصارات الفرنسية إبان الحروب النابوليونية، وتدخل مبادئ المساواة إلى عدد من البلدان. يؤدي تأثير سيطرة نابليون على أوروبا إلى تقدم تحرير اليهود أكثر مما تحقق خلال الثلاثمئة سنة الماضية. ينظر اليهود في ألمانيا بالخصوص إلى نابليون كأحد رواد تحريرهم.

1806-1810 – يسرائيل يعقوبسون رجل المال الألماني يجمع اليهود ذوي العقلية نفسها لتمهيد الطريق لإدخال إصلاحات من أجل تحديث الديانة اليهودية. ويفتح معبد الإصلاح في بيته ببرلين سنة 1815.

1818 – تدشن جمعية المعبد الإسرائيلي الجديد في هامبورغ أول إصلاح منتظم في الصلوات.

1824 – يعمد كارل ماركس في سن السادسة. لقد قام أبوه بتعميد أسرته وإدخالها في المسيحية لأنه لا يستطيع ممارسة مهنة المحاماة في بروسيا (ألمانيا).

1832 – يصبح الحاخام إبراهام جيجر حاخام ويسبادن بألمانيا التي يبدأ فيها مجهوداته الأولى لإدخال الإصلاحات في الطقوس الدينية في المعبد اليهودي.

1835 – يصدر القيصر نيقولا الأول قوانين لتعزيز القيود على الحقوق الاقتصادية والمدنية والاجتماعية لليهود في روسيا.

1836 – تسفي هيرش كليشر، حاخام أرثوذكسي ومفكر صهيوني أوّلي، يطالب عائلة روتشيلد الغنية من فرانكفورت باعتمادات مالية لشراء الأراضي في فلسطين من أجل استعمارها من قبل اليهود.

1844 – تلغي الحكومة الروسية آخر بقايا الحكم الذاتي اليهودي وتحول المراقبة الاجتماعية اليهودية إلى البلديات والشرطة.

1845 – ينسحب زكريا فرانكل، الحاخام الرئيسي لدريسدن، من مؤتمر الإصلاح الحاخامي بسبب ليبراليته المتطرفة. ويشكل طريقا وسطا بين الإصلاح والتقليد الذي يصبح حركة تعرف باليهودية المحافظة.

1875 – يؤسس إسحاق م. وايز الكلية العبرية المتحدة، في مدينة سينسيناتي بولاية أوهايو وهي أول معهد لاهوتي يهودي في الولايات المتحدة.

1878 – بيتح تكفاه (باب الأمل)، بلدة يهودية زراعية تقام في فلسطين، وفي غضون ذلك يزداد وضع اليهود سوءا بشكل بارز، ويحاول زعماء اليهود في أوروبا كلها أن يجدوا حلا للوضع الفظيع لإخوانهم. يقترح بعضهم تمويل مجتمعات لهم في فلسطين العثمانية.

1879 – يبرر المؤرخ الألماني هاينريخ فون ترايتشكي العداوة الألمانية ضد السامية المبنية على العرقية، ويهاجم الرغبة اليهودية في إنشاء ثقافة يهودية المانية "هجينة". تعطي شهرته العلمية لعداوة السامية قناع الاحترام.

1881 – تجتاح موجة من المذابح (Pogroms) ضد اليهود في روسيا – بعد اغتيال القيصر إسكندر الثاني – بمباركة وزير الداخلية إيجناتيف إن لم يكن من منظمي هذه المذابح. يبدأ اليهود نتيجة هذه المذابح ونتيجة الاضطهاد الحكومي المتزايد هجرة جماعية من أوروبا الشرقية إلى الأمريكيتين وأوروبا الغربية وفلسطين.

1882 – يصدر القيصر إسكندر الثالث قوانين أيار/مايو التي تضع قيودا إضافية على الحياة اليهودية وتسبب في كثافة هروب اليهود من روسيا.

1883 – تعتبر ريشون لتسيون (Rishon Le Zion) أول استيطان يهودي في فلسطين ينشئه اليهود المهاجرين.

1884 – يقام أول مؤتمر "لمحبة صهيون" في مدينة كاطويتس (Kattowitz) بألمانيا. ينادي يهود أوروبا للعودة إلى الفلاحة في فلسطين.

1890 – تؤسس جماعة "محبة صهيون" الخضيرة وهي قرية على السهل الساحلي في فلسطين.

1891 – تأمر الحكومة الروسية بطرد اليهود من موسكو.

1894 – يتّهم النقيب الفريد درايفوس، ضابط يهودي في الجيش الفرنسي، بتزويد الألمان بأسرار عسكرية ويعتقل. يحاكم من قبل محكمة عسكرية، وينزل من رتبته ويحكم عليه بالحبس الانفرادي في جزيرة ديفل (الشيطان) بعيدا عن ساحل جويانا الفرنسية. ويكتشف لاحقا أن التهمة كانت ملفقة. يتوصل ثيودور هرتسل الذي كان آنذاك مراسلا في باريس لجريدة من فيينا وبعد أن أدى ذلك الحدث إلى النتيجة (في كتابه "الدولة اليهودية") أن أوروبا لا يمكن أبدا أن تقبل اليهود كمواطنين متساويين مع بقية المواطنين.

1897 – ينعقد أول مؤتمر صهيوني في بازل بسويسرا تحت زعامة ثيودور هيرتسل يدعو إلى هجرة على نطاق واسع واستيطان فلسطين. وفي السنة نفسها يؤسس البوند (Bund) أي العصبة الديمقراطية الاجتماعية للعمال اليهود في روسيا، وبولندا وليتوانيا وذلك قبل سنة من تأسيس الحزب الديمقراطي الاجتماعي الروسي، يعمل لصالح البروليتاريا الروسي واليهودي ويناضل ضد القوانين التمييزية المناهضة لليهود.

1900 – يبلغ عدد اليهود في العالم حوالي 10.5 مليون من بين 8ر1 بليون من سكان العالم أي أربعة أضعاف عددهم سنة 1800. مازال يهود بروسيا وفلنا يتهمون ظلما بالقتل الطقوسي لكنهم يبرأون في المحاكمات العلنية.

1903 – مذبحة كشينيف، تنظمها وزارة الداخلية الروسية والمسؤولون المحليون تقود إلى مئات القتلى والجرحي من اليهود وإلى نهب وتدمير آلاف الدكاكين والبيوت. يؤثر هذا الحدث بشكل كبير على كثير من اليهود ليجدوا طريقهم إلى فلسطين، ولكي يبدأوا في تشكيل جماعات الدفاع اليهودية لمحاولة حماية أنفسهم من الغوغاء. وقد أثار هذا الحدث أيضا احتجاجا عالميا ضد روسيا من قبل التنظيمات اليهودية.

1904 – تسجّل ثلاث وأربعون مذبحة (Pogrom) في كل أنحاء روسيا.

1905 – تنفذ 660 مذبحة ضد الجاليات اليهودية الروسية خلال أسبوع واحد بوحي من الحكومة، وتقود إلى آلاف القتلى والجرحى وإلى أضرار بالغة للممتلكات. وكان هذا أيضا حافزا لعشرات الآلاف من اليهود للفرار من روسيا إلى الغرب وفلسطين.

ينشر ألبرت أينشتاين (يهودي) نظرية النسبية الخاصة التي تحتوي على معادلته المشهورة E=mc2، وينشر سجموند فرويد(يهودي) "ثلاث مقالات عن نظرية الجنس".

1906 – على إثر المذابح في روسيا ومولدافيا (ملدوفا حاليا) ومن أجل الاحتجاج عليها يتم تأسيس اللجنة اليهودية الأمريكية، وأولى وكالات الدفاع اليهودية الأمريكية التاريخية، للحصول والحفاظ على الحقوق اليهودية والمصالح اليهودية عبر العالم وفي الولايات المتحدة. إن تاريخه في الدفاع وتأييد القضايا اليهودية على الصعيد العالمي وخصوصا فيما يتعلق بالتعدد الديمقراطي، والحقوق المدنية والحرية الدينية، والتفاهم بين الأديان في أمريكا رمزاً للتثاقف والاندماج اليهودي في المجتمع الأمريكي، وصعود الجالية اليهودية للقوة السياسية والتأثير في الولايات المتحدة.

1909 – ينشأ أول كيبوتس (قرية إشتراكية)، دغانيا في فلسطين. تأسيس مدينة تل أبيب.

1913 – حكم على ليو فرانك بالإعدام لإدانته بقتل إمرأة مسيحية بيضاء في ولاية جورجيا بالولايات المتحدة، وبعد تخفيف حكم الإعدام عليه، قامت الغوغاء باغتياله. يخلد اغتياله والاستغلال السياسي العام لحالته من قبل المناهضين للسامية كفترة في غاية التسمم في تأريخ مناهضة السامية في أمريكا وتقود الى تأسيس جمعية مناهضة الافتراء التابعة لأبناء العهد (بني بريت).

1914 – يغتال أرشدوق فرانز فرناند في سراييفو مما يقود إلى الحرب العالمية الأولى التي دمرت مجتمعات يهودية كثيرة في شرق أوروبا.

1917 – يستولي البولشفيك على السلطة في روسيا بقيادة فلادمير لينين وليون تروتسكي. تهاجم القوات البريطانية القدس وينسحب الأتراك. تصدر الحكومة البريطانية إعلان بلفور تنظر "بعطف إلى إقامة وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين، وستعمل جاهدة في تسهيل تحقيق هذا الهدف، مع العلم الواضح بأنها لن تقوم بما من شأنه أن يلحق الضرر بالحقوق المدنية والدينية للمجتمعات غير اليهودية الموجودة".

1918 – تنتهي الحرب العالمية الأولى في يوم 11 تشرين الثاني/نوفمبر.

1919 – يتهم اليهود في أماكن كثيرة بالتسبب في إحداث المحرقة الفظيعة والتمزق الاجتماعي في كل أوروبا عقب انتهاء الحرب. يحل الاتحاد السوفياتي كل الطوائف الدينية اليهودية، ويحظر الحركات الصهيونية. يقوم الجيش الأبيض الروسي المضاد للثورة مع حلفائه الوطنيين الأوكرانيين تحت قيادة الجنرال بتليورا (Petliura) بتنفيذ عدد من المذابح وذلك إبان الحرب الأهلية الروسية التي قامت بعد الثورة. تقوم جماعة من الفلاحين الأوكرانيين بتنفيذ المذابح في أربعين جالية ويقتلون حوالي 6000 يهودي. ويتم تنفيذ ما مجموعه حوالي 685 مذبحة و249 أعمال شغب ضد اليهود في أوكرانيا سنة 1919.

1920 – تمنح عصبة الأمم بريطانيا العظمى الانتداب على فلسطين (من أجل تسهيل إقامة وطن قومي لليهود فيها). يثور العرب في مدينة القدس احتجاجا على السياسة البريطانية المفتوحة حول الهجرة اليهودية الى فلسطين. يقتل سبعة يهود. تنظيم قوى الدفاع اليهودية ويبدأ الصراع المسلح بين اليهود والعرب في فلسطين.

1922 – تحظر الحكومة البريطانية على اليهود شراء الأراضي والهجرة في منطقة الانتداب البريطاني الواقعة شرق وادي الأردن، وتعترف بإقامة إمارة هاشمية هناك.

1924 – يوقع كلفان كولدج قانون الهجرة لعام 1924 الذي ينهي الهجرة غير المقيدة بما في ذلك الهجرة الجماعية اليهودية إلى الولايات المتحدة.

1929 – تسفر التمردات العربية الواسعة عن مقتل 130 يهودياً. يرد البريطانيون بسياسة تحديد الهجرة اليهودية، مما يقود بدوره إلى زيادة الضغط السياسي من قبل كل الأطراف. وتنشب أعمال عنف أخرى على امتداد العقدين التاليين حتى نهاية الانتداب وتقسيم فلسطين 1948.

1933 – يصبح هتلر رئيس الوزراء في ألمانيا، ومباشرة تبدأ الحكومة تحت سيطرة النازيين بتنفيذ سلسلة طويلة من القوانين المعادية لليهود ومقاطعة المصالح اليهودية، وإحراق الكتب، وطرد اليهود من الوظائف الحكومية والجيش والوظائف الأكاديمية والضرب وفي النهاية القتل الجماعي. يبدأ اليهود في الهروب من ألمانيا ويهاجر كثير منهم إلى فلسطين.

يؤسس النازيون أول معسكر اعتقال في داخاو.

1935 – يصدر النازيون قوانين نورمبرغ. ومن بين الإجراءات القاسية ضد يهود ألمانيا فلقد حرموهم من حق الاقتراع، ومن حق تولي الوظائف العمومية، ومنعوا الزواج بين اليهود وغير اليهود.

1936 – تؤسس اللجنة العربية العليا في فلسطين وتطالب بوضع نهاية للهجرة اليهودية وبتأسيس حكومة فلسطينية ديمقراطية. وتبدأ "الثورة العربية" التي قام فيها كلا الجانبين بأعمال انتقامية عنيفة. وفي الوقت نفسه يزداد الاضطهاد الألماني لليهود مؤثراً على أعمال المعاداة للسامية في البلدان الأخرى، ويضغط بقوة على اليهود للهروب من أوروبا. يبدأ يهود فلسطين بتسهيل دخول اليهود غير القانوني من أجل انقاذ اليهود من أوروبا.

1938 – يدعو الرئيس روزفلت إلى مؤتمر إفيان في فرنسا حيث يناقش المندوبون من اثنتين وثلاثين دولة مشكلة اللاجئين. لم يتم تحقيق أي نتيجة باستثناء تأكيد رفض معظم الدول الغربية قبول اللاجئين اليهود. يقوم النازيون في كريستالناخت (Kristallnacht) ليلة 10-9 تشرين الثاني/نوفمبر بتدمير الممتلكات اليهودية في كل أنحاء ألمانيا والنمسا، ويتم إحراق عدد من المعابد وقتل كثير من اليهود في الشوارع وترحيل نحو 30.000 يهودي إلى معسكرات الاعتقال.

1939 – تبدأ الحرب العالمية الثانية بهجوم ألمانيا على بولندا. تهاجم روسيا بولندا من الشرق ويصبح البلد بملايينه من اليهود مقسما بينهما. يتم اغتيال آلاف اليهود خلال أسابيع من الاحتلال الألماني.

1940 – يتم إنشاء غيتو وارسو ويحكم إغلاقه، يتم إنشاء "مجلس يهودي Judenrat" في لوبلين، يتم إحكام إغلاق غيتو لودز.

1941 – يبني الألمان معسكر أوشفيتس II – بركناو أكبر معسكرات الموت النازية الخمسة الأساسية. يتم إعدام ما يقرب من مليون يهودي في أوشفيتس في أثناء الحرب

مع آلاف البولونيين والغجر وغيرهم قبل تحريره عام 1945 ويتم قتل معظم اليهود في حجرات الغاز وتحرق جثثهم في محرقات هائلة.

- يجتاح الألمان الاتحاد السوفياتي، وتبدأ القوات الألمانية الخاصة ووحدات الشرطة وفرق القتل المتحركة التابعة للجيش النظامي الألماني بالقتل الجماعي المنظم لليهود في أوكرانيا، وبسارابيا، وروسيا البيضاء وفي دول البلطيق.
- تبدأ معسكرات الموت الإضافية في العمل: ميدانيك وخيلمنو.

1942 – تعقد القيادة النازية مؤتمر وانزي الذي وضعوا فيه تفاصيل مخططهم بقتل 11 مليون يهودي في أوروبا. يبدأ اعتقال وطرد يهود هولندا ويتم النقل الأول ليهود فرنسا إلى أوشفيتس.

- يتم أول قتل جماعي في معسكر الإبادة في سوبيبور وينتهي من بناء معسكري الموت في بلسيك وتربلينكا ويبعد أول اليهود إلى معسكر الاعتقال في تيريزينشتات.
- يصل خبر مخطط النازيين لقتل يهود أوروبا إلى جيرهارت ريجنر الذي يبلغ وزارة الخارجية الأمريكية التي تؤكد التقرير فيما بعد.يعتقد الحاخام ستيفن وايز مؤتمرا صحافيا وبالتالي يحصل الزعماء اليهود في النهاية على لقاء مع الرئيس روزفلت، يقدمون إليه ملخصا عما هو معروف عن الهولوكوست حتى تاريخه. لكن لا تتقدم مشاريع القوانين المقدمة الى الكونغرس للسماح للاجئين باللجوء المؤقت في الولايات المتحدة، ولا تتخذ الولايات المتحدة أية إجراءات ملموسة من جراء ذلك باستثناء إصدار تصريحات الإدانة.
- يجتمع ممثلون عن الحركة الصهيونية العالمية من الولايات المتحدة، وكندا، وأوروبا وفلسطين ويصدرون "برنامج بلتمور" الذي ينادي بإنشاء كيان يهودي (دولة مستقلة) في فلسطين لإحلاله محل الانتداب البريطاني. إن الحدث مهم لأنه وضع البنية التنظيمية ليهود أمريكا كلها تقريبا وراء المشروع الصهيوني.

1943 – إنتفاضة غيتو وارسو، هناك انتفاضات أيضا في تريلينكا وسوبيبور ويتشكل أنصار اليهود في فيلنا.

- يلتقي يان كارسكي- ساعي المقاومة البولونية الذي تم تهريبه الى غيتو وارسو – مع الرئيس روزفلت ويقدم تقرير شاهد عيان عن الهولوكوست.
- يصل أول أفواج اليهود من سلونيكا إلى أوشفيتس ويتم نقل يهود ثراس (Thrace) إلى تربلينكا، يبدأ الإقصاء الجماعي من غيتو وارسو إلى تربلينكا

1944 – يتلقى وزير المالية الأمريكي هنري مورغانتو الابن "التقرير إلى الوزير عن قبول هذه الحكومة بقتل اليهود"، يفصل تاريخ اللامبالاة للولايات المتحدة تجاه القتل الجماعي لليهود، ويكوّن "مجلس لاجئي الحرب" كأول مجهود للولايات المتحدة لمساعدة ضحايا الهولوكوست للرد أساسا على إمكانية الإحراج لتقرير موظفي مورغانتو.

- بداية الإبعاد الجماعي ليهود المجر إلى معسكرات الموت في أوشفيتس بركيناو.
- ترفض استغاثات المقاومة اليهودية السرية الداعية إلى تفجير خطوط السكك الحديدية المؤدية الى أوشفيتس من قبل وزارة الحرب الأمريكية ووزارة الخارجية البريطانية بالرغم من أن القيام بمهمات إلقاء القنابل المكثفة باستعمال ما يزيد على 165 طائرة في محيط أقل من خمسة أميال من حجرات الغاز.

1945 – تبدأ مسيرة الموت لسجناء معسكر الإعتقال داخل ألمانيا، وتحصد 250.000 حياة يهودي.

- تحرر القوات السوفياتية وارسو، ولودز، وأوشفيتس، يحرر الأمريكيون بوخنوالد، تحرر القوات البريطانية برجن – بلسن.
- تستسلم ألمانيا للحلفاء دون شروط، وتبدأ محاكمة نورمبرغ لجرائم الحرب. تنتهي الحرب بالقضاء التام تقريبا على المجتمعات اليهودية في أوروبا، مما يشكل ثلث اليهود في العالم. إن الذين شاركوا في تدمير يهود أوروبا هم الألمان والمتعاونون معهم، ومن حكومات الأنظمة الصورية، وزعماء الدول الفاشستية باستثناء إسبانيا والبرتغال، والمشاركين مع المانيا في الحرب وكذلك مئات الآلاف من المناهضين للسامية، المنظمين منهم وغير المنظمين، في البلدان التي احتلتها ألمانيا وفي البلدان المتحالفة معها. يتم تدمير اليهود في أوروبا بشكل عام وسط جو من اللامبالاة من طرف الديمقراطيات الغربية، والسكوت النسبي للكنائس المسيحية ومع التواطؤ السلبي، إن لم يكن العملي، لنسب كبيرة من الأهالي في كل أنحاء أوروبا المحتلة.

1945-1947 – يجتمع الناجون في معسكرات اللاجئين والأشخاص المشردين. يقتل المواطنون المسيحيون، خصوصا في مناطق أوروبا الشرقية، عددا من مواطنيهم اليهود الناجين الذين حاولوا العودة إلى ديارهم للبحث عن أعضاء أسرهم الناجين. يقتل كثير من اليهود في مذبحة كيلسي التي بدأت بإشاعة بأن اليهود قتلوا طفلا مسيحيا في طقوسهم. تتصاعد الضغوط لأخذ اللاجئين اليهود إلى فلسطين.

- تنشب أعمال الشغب ضد الصهيونية في كل من مصر وليبيا، ويثور اليهود في تل أبيب احتجاجا على رفض بريطانيا زيادة الهجرة.

1946 – يتزايد العنف بين البريطانيين والمقاومة اليهودية السرية في فلسطين. تبحث اللجان البريطانية عن الحل لكنها تفشل.

- تفصل بريطانيا العظمى شرق الأردن من الانتداب وتمنحه الاستقلال.
- تنشأ لجنة الأمم المتحدة الخاصة بفلسطين.

1947 – تصوت الجلسة العامة للأمم المتحدة في تشرين الثاني/نوفمبر بعد مناقشات طويلة ومناورات سياسية وراء الكواليس، لصالح تقسيم فلسطين إلى دولتين مستقلتين يهودية

وعربية مع تدويل مدينة القدس. يعبر الصهيونيون عن ترددهم في دعم المشروع (الذي قبلته القيادة الصهيونية) بينما رفضه العرب بلا تردد. يبدأ اليهود والعرب في فلسطين في المناورة للاستفادة من الوضع الذي بدا واضحا أنه سيكون صراعا مسلحا.

1948 – تندلع الحرب وتدخل الجيوش من لبنان وشرق الأردن والعراق وسورية ومصر إلى فلسطين لمجابهة القوة اليهودية. يتم القتال على جميع الجهات في كل فلسطين.

1949 – تتم اتفاقيات الهدنة مع مصر، ولبنان والأردن وسورية وبذلك تنتهي المرحلة العسكرية للحرب التي تعرف "بحرب الاستقلال" لدى اليهود و"النكبة" لدى الفلسطينيين. استولى الإسرائيليون في المعركة على بعض المناطق التي حددتها الأمم المتحدة للدولة العربية المستقلة، وضمت الدول العربية المجاورة الباقي.

1949-1950 – (فترة الخمسينات). تتدهور أوضاع الطوائف اليهودية بشكل جذري في كل من العراق وسورية ولبنان ومصر. يحاكم اليهود بتهمة التجسس ومن نواح أخرى يضايقون من قبل الحكومات ويتعرضون للاعتداءات من قبل العامة المشاغبة. يهاجر معظم اليهود الذين يبلغ عددهم مئات الآلاف ويذهب كثير منهم إلى إسرائيل. يهاجم الفدائيون من البلدان العربية المدعومون من الحكومة عبر الحدود ويسببون في خسارة الأرواح والممتلكات في إسرائيل. تقوم إسرائيل بهجومات الانتقام في البلدان العربية المجاورة.

1950 – تغلق مصر قناة السويس أمام الملاحة الإسرائيلية.

1955 – يؤسس مؤتمر رؤساء المنظمات اليهودية الأمريكية الأساسية. يظهرتأسيسه الدرجة التي أصبحت فيها الجالية اليهودية موحدة على العموم وتستطيع أن تلتحم حول القضايا والمطالب.

1956 – تؤمم مصر قناة السويس انتقاما من انسحاب الولايات المتحدة من مشروع سد أسوان (السد العالي). تعتبر بريطانيا وفرنسا هذا تهديدا للسلام العالمي، وتبدأ في التخطيط للعملية العسكرية. تلتحق إسرائيل بالمشروع وتهاجم في تشرين الأول/أكتوبر شبه جزيرة سيناء بينما تحتل قوات بريطانية وفرنسية منطقة القناة. تنسحب مصر من سيناء. يهدد الاتحاد السوفياتي باستخدام الأسلحة النووية ضد بريطانيا وفرنسا. تضغط الولايات المتحدة على الأطراف بالانسحاب وتتخذ الأمم المتحدة قرارا بالانسحاب.

1957 – تنسحب إسرائيل من سيناء مع ضمانات بأن مصر لن تعوق ملاحتها وتجارتها كما كانت تعمل في السابق. تقع ردة الفعل المصرية على اليهود المحليين نتيجة للحرب مع إسرائيل ويهرب 20.000 يهودي.

1960 – يلقى عملاء إسرائيل القبض على أدولف آيخمان في الأرجنتين، يؤخذ إلى إسرائيل ويحاكم، ويعدم. فقد كان رئيس شعبة اليهود في الغستابو ومسئولا عن الإشراف على

نقل وقتل ملايين اليهود في أثناء الهولوكوست. كانت هذه المحاكمة التأريخية التي نقلها التلفزيون عبر العالم، عنصرا أساسيا في تحريك بداية الاهتمام الجدي بالقضايا التأريخية والفلسفية والأخلاقية والقانونية المرتبطة بالهولوكوست.

1966 – منح المواطنون العرب في إسرائيل مزيدا من الحقوق المدنية الواسعة بعد رفع الإجراءات الأمنية السابقة عنهم.

1967 – يطلب جمال عبد الناصر (1918-1970)، رئيس مصر ترحيل قوات طوارئ الأمم المتحدة من الأراضي المصرية في أيار/مايو ويلبى طلبه، وتتخذ القوات المصرية مواقع لها في سيناء. ويأمر بحصار مضيق ثيران مغلقا بذلك ميناء إيلات الإسرائيلي على خليج العقبة. ورغم التحذير السوفياتي من هجوم إسرائيلي وشيك على سورية، لا تلاحظ الاستخبارات المصرية حشودا للقوات الإسرائيلية لكنها تستمر بحشد قواتها في سيناء. ويهدد الرئيس ناصر في خطاب للجمعية الوطنية "أن يمحو دولة إسرائيل من الوجود". يقوم الأردن بالتعبئة ويدعو القوات العراقية لاتخاذ مواقع على الحدود مع إسرائيل. تعلن السعودية والجزائر والكويت وضع قوات تحت تصرف مصر. يخاطب الرئيس العراقي عبد الرحمن عارف قواته الجوية قائلا: "سنلتقي بإذن الله في تل أبيب وحيفا". تبدأ إسرائيل هجوما جويا مفاجئا يوم 5 حزيران/يونيو وتدمر القوات الجوية المصرية والأردنية والسورية. وإخيراً تنجح إسرائيل في الاستيلاء على قطاع غزة، الضفة الغربية، مرتفعات الجولان وسيناء وتنتهي الحرب يوم 15 حزيران/يونيو.

1967-1970 – "حرب الاستنزاف"، ويستمر تبادل إطلاق النار بالمدفعية والمناوشات وهجومات من كل الجانبين على الحدود الجديدة، خصوصا بين إسرائيل ومصر وتؤدي الانفجارات داخل الحدود الإسرائيلية وعمليات المنظمات الفلسطينية في المناطق المدنية إلى الانتقامات الإسرائيلية ضد أهداف حكومية أو عسكرية وبعضها ضد الأهداف المدنية في الدول العربية. يتم أول إعتداء على الطيران المدني في أثينا حيث احتجز إرهابيون طائرة تجارية إسرائيلية.

1969 – يصبح ياسر عرفات، زعيم حركة فتح، رئيس منظمة تحرير فلسطين.

1970 – يتم إختطاف أربع طائرات مدنية من قبل الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين. يتحرك الملك حسين ضد المنظمات الفلسطينية التي هددت نظامه، وتحرك سورية جزء من قواتها إلى الأردن لصالح الفلسطينيين، لكنها لم تدخل في معركة مع الأردنيين. تحذر إسرائيل (بالتنسيق مع الإدارة الأمريكية) سورية إذا استمرت بالتحرك ضد الأردن. تبدأ إسرائيل ببناء بعض المستوطنات في الضفة الغربية.

1970-1980 – يسمّح لعدد لا نظير له من يهود الاتحاد السوفياتي بالهجرة الى إسرائيل، الأمر الذي أدى إلى زيادة عدد سكان إسرائيل بمئات الآلاف.

1972 – يقتل إرهابيو منظمة "أيلول الأسود" اثنين من الرياضيين الإسرائيليين الأولمبيين ويحتجزون تسعة في القرية الأولمبية في ميونيخ. وفي تبادل لإطلاق النار مع شرطة ألمانيا الغربية لإطلاق سراحهم، يتم قتل كل الرهائن والإرهابيين. يزداد الإرهاب العالمي ضد الإسرائيليين واليهود. ترد إسرائيل باغتيالات انتقامية للإرهابيين والزعماء الفلسطينيين.

1973 – تشن مصر وسورية هجوما منسقا فاجأ إسرائيل مفاجأة تامة، وذلك في تشرين الأول/أكتوبر يوم العيد اليهودي الكبير – عيد الغفران (يوم كيبور). تنجح سورية ومصر في البداية باختراق الخطوط الأمامية الإسرائيلية لكنهما يفقدان الأرض بعدما تمت تعبئة القوات الإسرائيلية بالكامل ونجحت قوات إسرائيلية في عبور مضاد لقناة السويس. يدعم الاتحاد السوفيتي مصر وسورية ويعيد تجهيزهما، بينما تعيد الولايات المتحدة تجهيز إسرائيل. تبدأ البلدان العربية المصدرة للنفط الحظر النفطي على الغرب.

1974 – يتم تأسيس منظمة غوش إيمونيم الاستيطانية (الدينية القومية) وتنجح في بناء المستوطنات في الضفة الغربية وقطاع غزة وفي التأثير على الحكومة والسكان الإسرائيليين من أجل السيطرة اليهودية الدائمة على الأراضي التي تم احتلالها في حرب 1967. تزداد الهجمات الفلسطينية عبر الحدود اللبنانية ويقود هذا إلى عدد من الانتقامات والهجمات الإسرائيلية داخل لبنان مما يحدث خللا كبيرا هناك في التوازن السياسي اللبناني.

1974-1975 – توقع اتفاقيات فصل القوات بين إسرائيل ومصر وسورية. قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم 3379 ينص بأن "الصهيونية صورة من صور التمييز العنصري" ويتم إلغاء هذا القرار بتصويت الأمم المتحدة سنة 1991. تنشب الحرب الأهلية في لبنان.

1977 – يذهل الرئيس أنور السادات العالم، ويذهب إلى القدس ويخطب في الكنيست الإسرائيلي معلنا عن مستقبل جديد مبني على العلاقات السلمية. يتبع ذلك مفاوضات مكثفة بين السادات ورئيس الوزراء الإسرائيلي مناحيم بيغن تحت إشراف رئيس الولايات المتحدة جيمي كارتر(توقيع إتفاقية سلام 1979)، وتعاد شبه جزيرة سيناء إلى مصر عام 1982. تدعم الولايات المتحدة الاتفاق بدعم اقتصادي هائل لكلا البلدين.

1978 – بعد هجمات متكررة من لبنان تهاجم إسرائيل لبنان وتفرض السيطرة على منطقة واسعة في جنوب البلاد. وعند انسحابها تترك جزءا من المنطقة تحت السيطرة العسكرية لمليشيا محلية لبنانية متحالفة مع إسرائيل.

1980 – يتم تبادل السفراء بين مصر وإسرائيل. يقتل الإرهابيون الفلسطينيون ويجرحون بعض اليهود في عدد من الهجمات. ولأول مرة منذ تأسيس دولة إسرائيل، تبدأ منظمة يهودية مدنية سرية بالقيام بأعمال إرهابية ضد الفلسطينيين وتقتل وتشوه عددا من الأبرياء.

1982 – تهاجم إسرائيل لبنان بعد الهجمات الفلسطينية المتزايدة. وعلى أمل السيطرة على السياسة الداخلية اللبنانية وجدت إسرائيل نفسها غير قادرة على التحرك وتخرج من لبنان بصفة نهائية عام 2000. وفي أوج الإجتياح (1982) وفي منطقة من مناطق بيروت تحت

السيطرة الإسرائيلية يقوم المتحالفون مع إسرائيل بذبح حوالي 800 فلسطيني في مخيمي صبرا وشتيلا للاجئين. يجبر وزير الدفاع الإسرائيلي أريئيل شارون على الاستقالة، بعد ما ثبت أنه مسؤول بشكل غير مباشر من قبل لجنة تحقيق رسمية إسرائيلية.

1980 – (فترة الثمانينات) تستمر الهجمات الفلسطينية باختطاف الحافلات وتفجير السيارات وأعمال أخرى داخل إسرائيل. تقوم إسرائيل بهجمات مضادة. يتم بناء عدد كبير من المستوطنات في الضفة الغربية بلغ فيها السكان اليهود أكثر من 100.000 نسمة.

1987 – تبدأ "الانتفاضة الأولى" التي هي احتجاج جماعي شعبي من قبل الفلسطينيين في كل أنحاء الضفة الغربية وقطاع غزة وهي تعبر بوضوح عن عدم رغبة الفلسطينيين في العيش تحت الاحتلال الإسرائيلي.

1989 – يضفي التصويت في البرلمان الأردني صفة رسمية على قرار الأردن بالتخلي عن الضفة الغربية.

1990 – يهاجم العراق الكويت ويحتلها. وينتهي هذا بهجوم منسق على العراق من قبل قوات تحت قيادة الولايات المتحدة. تبقى إسرائيل خارج ميدان العمليات لكنها تتأثر من جراء سلسلة من الهجمات الصاروخية من العراق.

1990 – (فترة التسعينات)- يهاجر أكثر من مليون من يهود الاتحاد السوفيتي السابق وأسرهم إلى إسرائيل بعد انهيار الاتحاد السوفياتي.

1991 – مؤتمرٍ مدريد للسلام ويؤدي إلى سلام ثنائي بين إسرائيل من جهة والأردن والفلسطينيين معاً، وسوريا ولبنان من جهة أخرى.

1993 – (مفاوضات متعددة الأطراف) يلتقي إسحاق رابين وياسر عرفات في واشنطن ويوقعان سلسلة من الاتفاقيات (أتفاق أوسلو) التي بدأت عملية تحويل سلطة وخدمات محدودة للسلطة الفلسطينية.

1994 – توقيع معاهدة السلام الأردنية الإسرائيلية في وادي عربة.

1995 – يتم اغتيال إسحاق رابين من قبل متطرف يهودي إسرائيلي متدين وطني يعارض عودة أراضي إلي الفلسطينيين.

2000 – في قضية قانونية بارزة حول إنكار المحرقة (الهولوكوست) الذي يعد أحدى ركائز المناهضين للسامية، تنتصر العالمة الأمريكية ديبوراة ليبستاد (Lipstadt) في محكمة لندنية في دعوى قذف رفعت ضدها من قبل ديفد أورفينج، كاتب بريطاني زعم بأن هتلر لم يأمر بإبادة اليهود خلال الحرب العالمية الثانية. والحكم الصادر عن هذه المحاكمة يحطم أي احترام أكاديمي ممكن لإنكار الهولوكوست من قبل المؤرخين الذين "يعيدون النظر" (Revisionists).

- يخوض السيناتور جوزف ليبرمان من ولاية كانتيكيت الأمريكية وهو يهودي أرثوذكسي، انتخابات الرئاسة لمركز نائب الرئيس عن الحزب الديمقراطي. إنها المرة الأولى التي يخوض فيها يهودي الانتخابات الوطنية في قائمة حزب سياسي من الحزبين القائدين في أمريكا.

2001 – إندلاع "انتفاضة الأقصى" بعد فشل مفاوضات السلام مع الفلسطينيين وسوريا.

- انتخاب أريئيل شارون رئيساً للوزراء في إسرائيل وتراجع مستمر في عملية السلام.

2004-2005 – بعد موت عرفات وفوز أبو مازن في الإنتخابات الرئاسية الفلسطينية، وفي ظل قرار شارون الإنسحاب التام من قطاع غزة وشمال الضفة الغربية، تعود من جديد المحادثات الإسرائييلية-الفلسطينية.



المراجع والملاحظات

[1] يجب الإضافة هنا أن الإسلام لا يقبل كتب الأديان الناشئة لاحقا مثل حركات الأحمدية والبهائية.

[2] عندما أستعمل لفظة "الأسطورة"، هنا، فإنني لا أشير إلى معناها الشائع أي "غير الحقيقة". وبالعكس فإنني أشير إلى معناها الأساسي في قاموس ويبستر العالمي الثالث الجديد غير المختصر: قصة عادة غير معروفة الأصل لكنها على الأقل تقليد جزئي، تتحدث ظاهريا عن أحداث تاريخية وهي من النوع الذي يستخدم في تفسير ممارسة، أو عقيدة أو مؤسسة، أو ظاهرة طبيعية (2: 1497).

[3] قبل الميلاد B C E.

[4] التكوين رباح 38: 13؛ انظر القرآن 19: 41-50، 21: 51-67، 26: 69-86، 29: 16-18.

[5] انظر القرآن 2: 128، 3: 67 ؛ انظر كذلك 16: 12: "إن إبراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يكن من المشركين".

[6] صموئيل 13: 19، حزقيا 4: 2 إلخ.

[7] Fred Winnett, "The Arabian Genealogies in the Book of Genesis," in H. T. Frank and W. L. Reed,eds., Translating and understanding the Old Testament: .Essays in Honor of Herbert Gordon May (Nashville: Abingdon Press, 1970)

[8] انظر سفر التكوين 25، 27. وكذلك المو آبيين وبني عمون ينحدرون من لوط ابن أخ إبراهيم (سفر التكوين 19: 29-38).

[9] القرآن 2: 25-128؛ 3: 95-97؛ 37: 14.

[10] نظر القرآن 37: 99-113 الذي لا يذكر اسم أي الأبناء. عرف الذبيح المقصود من قبل المفسرين والتقليديين فيما بعد.

[11] انظر سفر التكوين 32: 29، 35: 1، 37: 13 إلخ.

[12] وللسرد القرآني لهذا، انظر 7: 103-138، 1: 76-91، 2: 9-79، 26: 1-66، 28: 3-4.

[13] سيناقش التلمود المؤرخ في القرنين الخامس – السادس، بتفصيل أوسع لاحقا.

[14] انظر القرآن 2: 51-54، 92-93، 4: 153، 7: 152.

[15] التثنية 5: 21، 11: 12-14، 15: 24، 16: 28، 17: 2-7؛ العدد 11: 4-6، 2: 2، 14: 5-41، 21: 4-5 إلخ.

[16] صهيون هو أحد أسماء أورشليم (الملوك الأول 8: 1، إشعيا 1: 27، إلخ).

[17] ستناقش التلمود والمدراش في الفصل السابع.

[18] جامع البيان عن تأويل آيات القرآن (بيروت 1405/1984)، 9: 3. (الجزء العاشر، ص ص 110-111).

[19] لقد ذكر فنحاص هذا نفسه في سيرة ابن هشام ونسبت إليه أقوال منحرقة مثل "إن الله فقير ونحن أغنياء" فجاء تنزيل سورة 3 آية 181 في قوله تعالى: "لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء" إلخ.

[20] يمكن الرجوع إلى هذه الأساطير في:
Gordon New by A History of the Jews of Arabia, [University of South Carolina Press 1988], pp 14-23.

[21] انظر كذلك: New by; p 33 ; Reubn Aharoni; Yemenite Jewry: Culture and Literature [Bloomington; Indiana: Indiana University Press; 1986].

[22] لفظة "يمين الله" (عبري: يمينو) هي رمز لقوة الله وقدرته في التوراة ولا تعني أن اليهود يجسدون الله.

[23] ترجمة النص بالعبري.

[24] المدارش.

[25] السيرة النبوية (بيروت: دون تاريخ) جيوم 197-198 المترجم: هذا النص ليس نقلا حرفيا عن المصدر.

[26] السيرة النبوية (بيروت دون تاريخ) 1: 212 جيوم 93-94.

[27] Norman Stillman: *The Jews of Arab Lands* [Philadelphia: Jewish Publication Society, 1978] 22: 28.

[28] Stillman 157-158.

[29] Quoted in auther Hertzberg; The zionist Idea [New York].

[30] المصدر نفسه، 44-431.

[31] (anthropomorphic) لقد كانت تعابير التجسيد الإلهي مشكلا كبيرا في القرآن حتى طور الأشعري (935) الصيغة المعروفة "بلا كيف" فرفعت حدة المشكل.

[32] مرشد الحائرين 2: 54.

[33] وردت في التلمود، السنهدرين 56 أ.

- الكلمات العبرية هي: Ahrah و ah'Yir

[34] لا يعتبر هذا مشكلا في الديانة اليهودية. لا ينطَق جهرا باسم الله سوى الكاهن الأعظم لهيكل القدس وفي يوم الغفران فقط في قدس الأقداس. ينطق به بعض المسيحيين كيهوفاه أو جهوفاه أو يهوه، لكن اليهود يتجنبون النطق بالاسم احتراما لجلال الله المطلق.

[35] الاستثناء الوحيد على ما يبدو لهذه القاعدة موجود في كنيسة إل دي إس (LDS Mormans) التي يوجد لديها معتقد النبوة المستمرة المحدودة.

[36] 37: 71 وبعدها ، 57: 25 وبعدها.

[37] انظر كذلك سورة الحجرات 49: 13. حتى سورة الكافرون يرى فيها بعض العلماء المسلمين تصريحا إلهيا سابقا فحواه أن الكفر، وإن كان شرا، فهو مسألة الإيمان الشخصي الذي لا يمكن التشريع حوله.

[38] تشير هذه اللفظة إلى عالم الأرواح المخيف الذي يتعذب فيه الأشرار في الآخرة.

[39] .Tosefta; Sanhedrin 13:2; Babylonian Talmud; San bledrin 1.5a

[40] تلمود القدس، شكاليم 6: 1، اللاويون ربر 1: 19 (Leviticus Rabbr).

[41] إنجيل متى 22: 21، مرقس 12: 17، لوقا 2: 25.

[42] يرى علماء التوراة أن هذا الوادي ليس نهر النيل بل هو نهر صغير على حدود مصر قرب غزة.

[43] سفر اللاويون 19: 19 وسفر العدد 29-34، سفر التثنية 21: 6-9، 22-23 إلخ.

[44] إن مثل هذه الوعود لرد شعب إسرائيل من المنفي إلى الارض مذكورة أيضا في سفر إشعيا 2: 1-9، 5: 1-16، 24-27، 26: 2-15، 29: 16-21، 32: 2-15، سفر إرميا 3: 18-19، 11: 4-5، سفر حزقيال 4: 15.

[45] اللاويون رباح 13: 2.

[46] من العادة الوقوف لأداء بعض أجزاء الصلاة. العميداة تسمى كذلك "شمونة عسرية" يعني ثمانية عشر لأنها كانت تشتمل في الأصل على ثماني عشرة تبريكة ودعاء.

[47] التثنية 6: 8 ، الخروج 13: 9، 13: 16.

[48] يجب التنبيه أن الأحاديث النبوية تضيف قيودا على الممنوعات التي وردت في القرآن حول أكل لحم المنخنقة، والدم والخنزير وما أهل به لغير الله. منعت الأحاديث أكل القردة ومعظم آكلة اللحوم والطيور. وقد حرم بعض الفقهاء أكل الحمير. وتعتبر بعض الحيوانات مكروهة وإن كانت في الأصل حلالاً. لمزيد من المعلومات انظر يوسف القرضاوي الحلال والحرام في الإسلام ص 39-79.

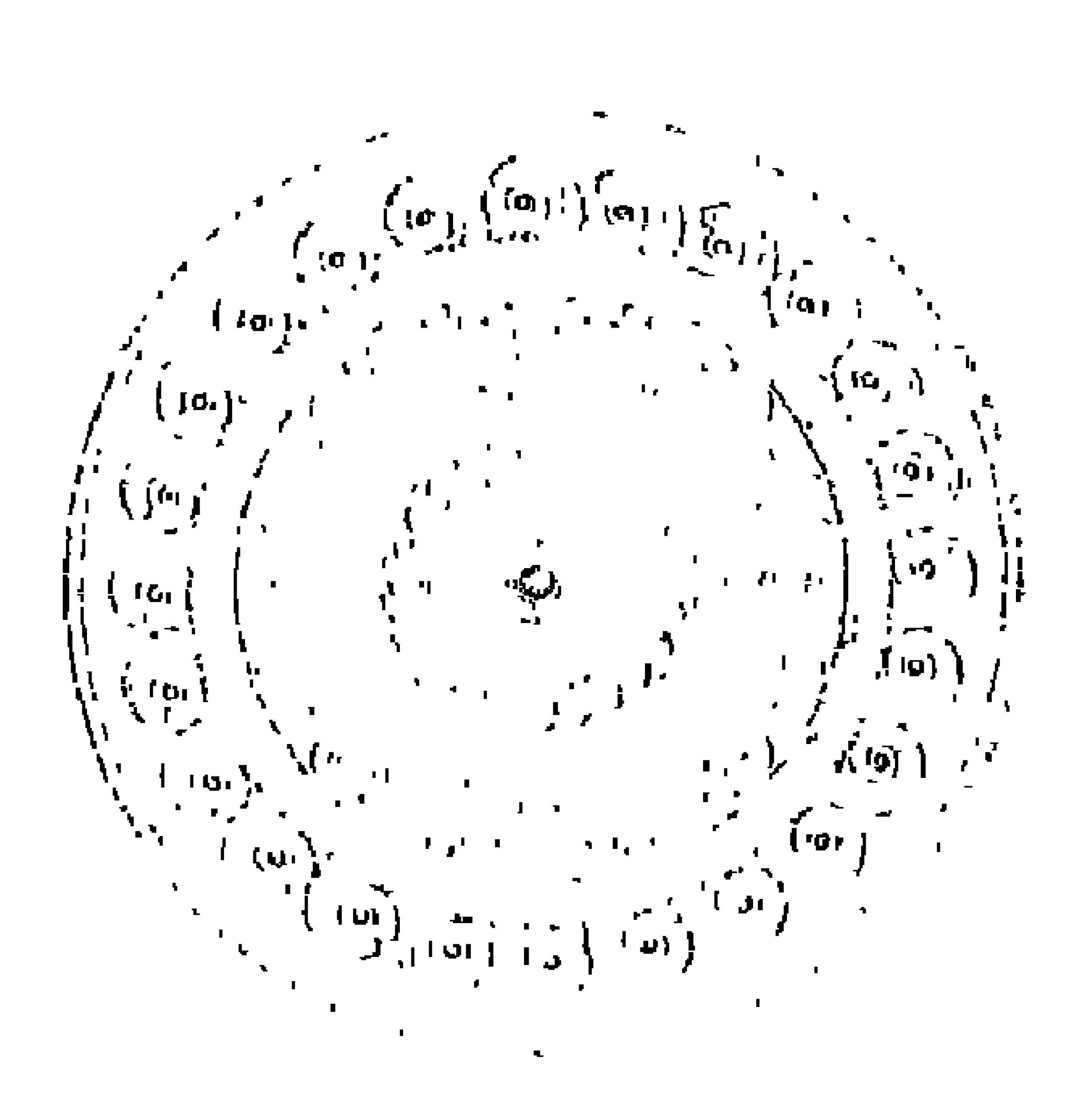
[49] تكون أيام السنوات التي يضاف إليها الشهر ذو الثلاثين يوما 348 بحيث يكون الفرق في الأيام بين التواريخ المطابقة في السنة الشمسية عشرين يوما بدلا من ثلاثين.

[50] ينطبق هذا أيضا على روش هشاناة ويوم كيبور إلا أنه لا يتم تجهيز الطعام في يوم كيبور إلا للأطفال والمرضى والعجزة والحوامل.

[51] هامان هو وزير ملك الفرس اهاش فيروش في سفر إستير. أما في القرآن فهو وزير فرعون (القصص 28: 6، 8، 38، العنكبوت 29: 39، المؤمنون 24، 36).

- لاحظ التشابه مع العادة الإسلامية القديمة في ضحية العقيقة والتسمية التي تتم عادة في اليوم السابع من الولادة.

[56] انظر المزمور 128، الأمثال 12: 4، 18: 22، 19: 14، 31: 1-31، الجامعة 25: 26، 1.



يأتي كتاب "ذرية إبراهيم- مقدمة عن الديانة اليهودية للمسلمين" لروبن فايرستون في إطار حوار الأديان وهو يهدف إلى تعزيز التفاهم المتبادل وتقليص الجهل والشكوك المتبادلة. ويمثل هذا الكتاب أول عمل من نوعه يعطي معلومات شاملة عن الديانة اليهودية مع تركيز خاص على القضايا ذات الاهتمام الخاص لدى المسلمين.

ويبين لنا هذا الكتاب التشابه الديني والأخلاقي المدهش بين الإسلام واليهودية غير أن العلم بهذا الارتباط مجهول في معظمه بين اليهود والمسلمين وقد وقع ضحية العداوة في العصور الحديثة.

